الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور–خنشلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مناهج البحث اللغوي

مع دليل لإنجاز الأعمال الموجهة

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة سنة أولى ماستر

السداسي الأول

تخصص لسانيات عامة

إعداد: د. جلال سليمة

أستاذ محاضر أ

2024-2023

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة 48

" ليس يغيب عن حصافة رجل (فقه العلم) أن الأجهزة النظرية التي نصطنعها للوصف أو التحليل أو التفسير ليست إلا حيلا أو قل (ألعابا) نبتدعها ابتداعا لنلاحق ونقارب بها الظاهرة المدروسة، حتى يقوى سلطاننا عليها؛ ومها بلغت من الكفاية الوصفية والتفسيرية، فإن هذه الأجهزة تظل غير مشاركة في وجود الظاهرة ذاته، إذ يبقى دائما في الإمكان أن نستبدل مكانها أجهزة أخرى لا تقل عنها إنتاجية إن لم تفقها، من غير ادعاء الاشتراك مع الظاهرة في الوجود ألبتة" طه عبد الرحمن "تجديد المنهج في تقويم التراث" ص 50

مقـدمـــة

لقد بلغت الحضارة الإنسانية مستوى من العلم والمعرفة لم تبلغه من قبل حتى وصفت هذه المرحلة بثورة المعلومات، اكتسحت كل مجالات المعرفة، وما كان ليحدث كل هذا التغيير إلا بفضل معرفة الإنسان أهمية المناهج في بناء المعرفة، فكانت علوم المادة والأحياء الرائدة في تحديد مناهجها الدقيقة التي بوأتها أن تكون علوما دقيقة كما اصطلح على تسميتها، مما حدا بالمتخصصين في العلوم الإنسانية أن يحذوا حذوها حتى يُعترف بها كعلوم تحدد موضوع دراستها واستقلت مناهجها.

وهذا ما تحقق بالفعل بعد مسيرة من الزمن أسهمت فيها جهود العلماء من كل الحضارات والمرجعيات لتصبح مناهج البحث في العلوم الإنسانية بما فيها مناهج البحث اللغوي مادة علمية تدرّس للطلبة في الجامعات ويتدربون على اكتسابها وتحقيق كفاءاتها حتى يتمكنوا هم أيضا من المساهمة في بناء صرح العلم الممتد في مشيئة الله، لقوله تعالى﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ج﴾**255** سورة البقرة

وبما أن المعارف والعلوم متجددة في نمو مستمر بحيث يستحيل على العقل البشري مهما ما أوتي من قوة الذاكرة أن يلم فقط بمعارف وتفاصيل التخصص الواحد فكيف بالجمع بين عدة تخصصات؟ وعليه اتجهت برامج التعليم العالي اعتماد المقاربة بالكفاءات في بناء الكفاءات التي تعمل على تكوين قدرات ومهارات الطالب حتى يصبح قادرا ومستعدا لمواجهة وحل أية مشكلة بمنهجية علمية تفضي به إلى نتائج علمية تسهم في التغيير نحو الأفضل.

فالتعليم العالي يعمل على استقلالية الطالب وفق ما ورد في دليل تطبيق نظام ل م د، هذه الاستقلالية التي تجعله قادرا على استثمار وتوظيف كل ما درسه في حياته العلمية لأجل بناء مستقبل حياته العملية، ولا يتأتى له ذلك إلا بالتمكن من منهجية البحث والتدرب على كيفية توظيف مناهج البحث في دراسة أي موضوع أو ظاهرة وحل المشكلات.

مناهج البحث هي أدوات الإنسان في التحكم في مختلف الظواهر الطبيعية والإنسانية بهدف معرفة طبيعتها والقوانين التي تتحكم فيها والتنبؤ بمستقبلها متى أمكن تحقيق ذلك، وغاية

مقـدمـــة

ذلك الاستفادة القصوى مما هو متاح للإنسان في هذا الكون الواسع الذي لا يعرف منتهاه إلا خالقه الذي حثّ الإنسان على العلم والتدبر في خلقه فأصبح الكون كتابا آخر داعانا للنظر والتفكر فيه، كما أمرنا بقراءة القرآن والتدبر فيه، لذلك رفع درجة العلماء في قوله :﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ 11 سورة المجادلة.

ولأهمية مادة مناهج البحث اللغوي في تكوين الطالب في تخصص اللسانيات العامة برمجت هذه المادة ضمن الوحدة المنهجية على مدار العام قُسم محتواها الذي يتضمن ستة مناهج هي: المعيارية والمنهج التاريخي والمنهج المقارن للسداسي الأول، والمنهج الوصفي والمنهج التقابلي والمنهج الاحصائي في السداسي الثاني. من أجل أن يستوعب الطالب المادة ويتمكن ويتدرب على استخدام المناهج في دراسة موضوعات البحث اللغوي المتنوعة من خلال الأعمال الموجهة التي تميّزت بمنح الطالب فرصة إنجاز بحوث تتناسب مع المناهج المدروسة.

وهذا ما يحقق استقلالية الطالب في بناء المعرفة والتمكّن من منهجية البحث والتدريب على حل المشكلات ضمن تخصصه. لذا حرصنا في هذه المطبوعة البيداغوجية على تقديم دليل ارشادي للطالب في كيفية إنجاز هذه البحوث وفق ما يقدم له من مادة معرفية في المحاضرات، يتضمن نماذج وأمثلة تتعلق بكيفية تطبيق المنهج في دراسة الموضوعات المقترحة في البرنامج.

وننبه إلى أن البحث اللغوي يشمل كل البحوث التي تكون اللغة موضوعها الأساسي، وبالتالي فهي لا تقتصر على معالجة البحوث التي تدرس مستويات اللغة المختلفة في إطار اللسانيات النظرية فقط، بل تضم كل بحوث اللسانيات التطبيقية المختلفة، والبحوث البينية أيضا حيث تتقاطع الدراسات اللغوية بغيرها من التخصصات العلمية. وهذا ما دفعنا إلى تغيير مفردات المادة المقترحة للأعمال الموجهة بالنسبة للمنهج المقارن لأن جميع البحوث اقتصرت على المقارنة بين اللغة العربية والعبرية، وهذا لا يسمح للطالب بممارسة هذا المنهج خارج هذا الموضوع.

وبناء على ما سبق فإن الكفاءة الأساسية من تدريس مادة مناهج البحث اللغوي هي تدريب الطالب على ممارسة البحث العلمي بمنهجيته الصحيحة التي تتأسس على اختيار المنهج العلمي المناسب لموضوع الدراسة وتطبيقه وفق خطواته الصحيحة التي تؤدي إلى نتائج علمية. لأن البحث من دون منهج هو مجرد رأي أو وجهة نظر في الموضوع. وعليه فإن مفردات المادة في شقيها المحاضرات والأعمال الموجهة تعمل في انسجام لأجل تكوين الطالب في كيفية اختيار المنهج المناسب لموضوع الدراسة وكيفية تطبيقه فيما هو مقترح من موضوعات، وبهذا فهو يتدرب على اكتساب كفاءة ومهارة البحث العلمي، وهذا هو الهدف الأساسي من التعليم العالي؛ إعداد باحثين يمكنهم معالجة وحل مختلف المشكلات في مجال تخصصهم.

لذا نتوخى من هذه المادة أن تحقق كفاءات أساسية تبني ملمح ومستوى تكوين الطالب الجامعي كما هو مسطر ضمن أهداف الجامعة، نذكر منها ما يأتي:

- يستوعب الطالب مفهوم المنهج والمنهجية والفرق بينهما، وأهمية كل منهما في تحصيل العلوم والمعارف، ودورها في بناء الكفاية البحثية.
- يتعرف على مختلف الجهود العلمية العربية والغربية التي تراكمت حتى ظهرت مناهج البحث بالشكل الذي يدرسه.
- يتزود بمختلف المعارف والمعلومات حول المناهج المقررة (التعريف، النشأة – الخطوات الإجرائية للمنهج – الأهمية–الإيجابيات والسلبيات....)
- يتمكن من ممارسة خطوات كل منهج مقرر في هذا السداسي من خلال إنجاز البحوث.
- يتعلم كيفية بناء موقفه العلمي من القضايا والموضوعات التي يدرسها خاصة ما تعلق بموضوع المعيارية لاختلاف الباحثين في اعتبارها منهجا.
- يكتشف أن المنهج التاريخي والمقارن مناهج صالحة لكل أنواع البحث العلمي، وتستخدمها كل التخصصات العلمية والإنسانية.

- يتبين أن المنهج التاريخي حين يطبق في دراسة مستويات اللغة فهو بصدد دراسة علم اللغة التاريخي أو اللسانيات التاريخية، أما حين يطبق على أي موضوع لغوي فهو دراسة تاريخية لهذا الموضوع.
- وكذلك هو المنهج المقارن حين يطبق في دراسة مستويات اللغة فهو علم اللغة المقارن أو اللسانيات المقارنة، وحين يدرس به أي موضوع لغوي فإن الدراسة تختلف في أهدافها ونتائجها.
- يتعرف على صعوبات تطبيق المنهج التاريخي والمقارن في دراسة مستويات اللغة.
- يتمكن من نقد هذه المناهج المدروسة (المعيارية – المنهج التاريخي–المنهج المقارن).

والمحصلة النهائية لدراسة مفردات هذه المادة موزعة بين المحاضرة والأعمال الموجهة أن يكون الطالب قادرا على اختيار المنهج المناسب لدراسة أي موضوع ويحسن العمل بالمنهج والمنهجية من بداية البحث إلى نهايته، مع ملاحظة أن الطالب قد درس مادة منهجية البحث في السنة الثالثة ليسانس وتعرف على هذه المناهج وإجراءاتها ضمن بعض مفردات هذه المادة، وإذْ تفرد لها مادة خاصة بها فلأهميتها في التكوين العلمي للطالب وإعداده للممارسة الأكاديمية والمهنية.

لذا حاولنا في هذه المطبوعة البيداغوجية تقديم مادة علمية رجعنا فيها إلى مختلف المراجع العلمية قديمها وحديثها نجمع منها مختلف الآراء ونوازن بينها في طرح يساعد على بناء الموقف العلمي للطالب بلغة علمية سهلة نربح بها الوقت والجهد لأن الغاية من دراسة المناهج هي إحكام تطبيقها، وليس الاستغراق في جمع المعلومات حولها وحول تاريخها، فالمعرفة بها دون التدريب عليها لا يساعد في تكوين الكفاءة، لذلك أردفنا كل محاضرة بما يقابلها من موضوع مقترح للدراسة في الأعمال الموجهة. وبما أنها عبارة عن بحوث ينجزها الطالب لا الأستاذ فإننا شرحنا له الكيفية التي يُنجز بها البحث، مع بعض النماذج التطبيقية والأمثلة

التوضيحية التي يسترشد بها، كما قدمنا له بعض المراجع المساعدة في إنجاز عمله. على أمل أن يبذل جهده في بناء معرفته وتحسين قدرته وتنمية مهارته البحثية التي لا تتحقق إلا بمقدار ما يبذله من جهد في إطاره الفردي أو الجماعي.

ولقد حددنا الكفاءات المستهدفة للمدخل كمحاضرة أولى، ولكل منهج على حدة في صفحة مستقلة تسمح للطالب من التقييم الذاتي لما ينبغي تحصيله من المادة العلمية المقدمة، كما أردفنا كل منهج بعد أن استوفى مجموع المحاضرات المخصصة له بخلاصة مقتضبة جمعت أهم الأفكار التي قدمنها في هذه المحاضرات.

ولأن المنهج المعياري اختلفت الآراء بشأن قبوله كمنهج، والمعيارية في حقيقتها وصف للأنحاء القديمة أطلقه اللسانيون الغربيون ولم يستخدموه كمنهج، واستعاره بعض اللسانيين العرب ليمنحوه مرتبة المنهج، وهو خلاف ذلك مما اضطرنا إلى استبدال المنهج المعياري بالمعيارية في بعض المواضع من المحاضرات حتى لا نربك الطالب في فهمه للمعيارية وحقيقة كونها منهجا أم لا، وقد وضحنا ذلك بالحجج والأدلة.

سيجد الطالب في الخاتمة أهم النتائج النظرية التي ينبغي أن يتوصل إليها من خلال دراسته لهذه المادة بتنوع مفرداتها، أما النتيجة العملية لهذه المادة أن يكون الطالب قد تدرب على كيفية توظيف هذه المناهج في دراسة أي موضوع أو ظاهرة من خلال ما أُنجز من بحوث تم عرضها في حصة الأعمال الموجهة وتقويمها ومناقشتها ونقدها من طرف نظرائه والأستاذ على وجه الخصوص فهو المسؤول على التحقق من تحقق الكفاءات.

والله ولي التوفيق وله الحمد والمنة

مدخل: ضبط المفاهيم والمصطلحات

الكفاءات المستهدفة:

- ✓تستوعب مفهوم المنهج والمنهجية وتفرق بينهما، من خلال ضبط التعاريف لغة واصطلاحا، واستنتاج الفرق بين المنهج والمنهجية
- ✓تستوعب مفهوم المنهج العلمي والمنهج اللغوي
- ✓تميّز بين مناهج البحث اللغوي ومناهج النظريات اللسانية
- ✓تكتشف أن علماء التراث العربي قد وظفوا مختلف المناهج في كتاباتهم، والكثير منهم قد التزم بخطوات منهجية البحث

تحديد المفاهيم وضبط المصطلحات (منهج، منهجية، منهج علمي، منهج لغوي)

تتمثل أهمية المدخل في تحديد المفاهيم الأولية المساعدة على فهم مادة مناهج البحث اللغوي، فمن خلال هذا التحديد تتضح لنا الرؤية في كيفية معالجة موضوعات المادة، ذلك أن المصطلحات مفاتيح العلوم كما قيل، وأهمية المصطلح تتعلق أساسا بتكوين الباحث (طالب العلم) لاستيعاب العلوم والمعارف، وقدرته على الإنتاج المعرفي بلغته وبمصطلح لغته.

كما ترتبط أهمية المصطلح بالدور الذي تؤديه وظيفة اللغة في بناء مجالات المعرفة والعلوم واستثمار طاقاتها التعبيرية لمسايرة التقدم الحضاري، وإثرائه بما يرتقي به إلى الأفضل؛ "إذ يكمن قياس تقدم العلوم بمدى نجاحها في بناء أنساقها الاصطلاحية المتعالقة مع أنساقها المفهومية ففيها يتم وصف الظواهر، وبها يتم بناء القواعد وصوغ المبادئ التي تفسر سلوك الظواهر."[1] وعليه فإن فهم المصطلحات المؤسسة لمادة مناهج البحث هو البداية الضرورية في تكوين الطالب منهجيا.

يمتاز المصطلح بثلاث وظائف حضارية: [2]

- وظيفة الفكر القائمة على إنتاج المعرفة في مختلف العلوم.

- ووظيفة اللغة، التي تجعل من المصطلح نظاما خلفه نظام الحضارة التي ينطق باسمها ويحمل خصوصيتها.

- وظيفة القيم متجسّدة فيما يُستنبط من قيم ضمنية أو صريحة، إلى جانب ما تقدمه هذه المصطلحات من معارف.

وبناء على ذلك، فأهمية المصطلحات لا تتوقف عند حدود ما تقدمه من معرفة متخصصة، بل تنفتح معارفه على عدة أصعدة، صعيد الفكر بإنتاج مختلف المعارف، وصعيد

---

[1] عز الدين اليوشيخي: واقعية المبادئ الأساسية لوضع المصطلح توليده، مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، العدد 1، 2001، ص 103.

[2] لحسن دحو: اغتراب المصطلح: أزمة مفهوم وتغريب هوية، مجلة مقاليد، جامعة ورقلة، العدد 1، جوان 2011، ص 165.

اللغة حين تثبت قدرتها على بناء حضارة تحتفظ بخصوصيتها، وأخيرا صعيد القيم الظاهر منها والخفي، سواء من حيث تحديد لفظة المصطلح أم من حيث دلالاته وإحالاتها.

لذا ينبغي "أن تحدد المفاهيم بنائيا ووظيفيا، لتتضح أصولها من حيث الطريقة التي تكونت بها ومن حيث الدور الذي تستهدفه أو الوظيفة التي تؤديها." [3] وهذا ما سنتناوله في هذا المدخل بخصوص أهم المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بمادة مناهج البحث اللغوي.

بالنسبة لمصطلحات مادة مناهج البحث اللغوي ليست غريبة عن الطالب، لأنه تعرف عليها في مادة منهجية البحث المقررة عليه في السنة الثالثة ليسانس، وبعض ما درسه من المناهج سيعاد تدريسه في هذه المادة أيضا، لكن بشكل موسع مصحوب بنماذج تدريبية على كيفية استخدام المنهج من أجل التحكم في توظيفه لدارسة الظواهر اللغوية المختلفة، لأنه لا يمكن دراستها دراسة علمية من دون أن نحدد المنهج المناسب لذلك.

1- مفهوم المنهج:

1-1-التعريف اللغوي:

ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس" **النّهج**، الطريق. و**نَهَجَ** لي الأمرَ: أوضحه. وهو مستقيم **المِنهاج**. و**المنهج** الطّريق أيضا، والجمع **مناهج**."[4] إضافة لما قاله ابن فارس، نجد في لسان العرب قول ابن منظور في المنهج: "وطُرُقٌ **نَهْجَةٌ**، وسبيلٌ **مَنْهَجٌ**: كنَهْجٍ. و**مَنْهَجُ** الطريقِ: وضَحُهُ. و**المِنْهَاجُ**: كالمَنْهَجِ وفي التنزيل﴿ **لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾".[5] فهذه المعاني الواردة في القولين تتفق على أن المنهج ، مأخوذ من الفعل نَهَجَ بمعنى أوضح، وهذا المعنى يلقي ظلاله على المعنى الاصطلاحي لأن نهج الموضوع ، يعني أوضحه ، أو نهج الظاهرة اللغوية، أوضحها، وهذا هو هدف المنهج أن يدرس الظاهرة ويوضح كل ما يتعلق

[3] عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، https://ebook.univeyes.com/178416، ص 8.

[4] أبو الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر،1979 ،ج5، ص361.

[5] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 4555.

بها حتى يتسنى فهمها وتفسيرها، وأما المنهج بمعنى الطريق، ومَنْهَجُ الطريقِ: وضَّحُهُ، نلحظ التصاق صفة الوضوح بالطريق، فهي تميزه عن غير من الطرق المقطوعة أو المسدودة أو المظلمة وغيرها ، وهذا ما يعني أن الطريق الواضح هو الذي يُبلغ السائر إلى وجهته أو غايته لأنه واضح لديه ويعرف بدايته ونهايته، وكذلك منهج البحث فهو طريق واضح نتبعه في خطوات معينة إلى أن نبلغ خاتمته حيث نصل إلى نتائج هي إضافة علمية في مجال البحث.

توجد معاني أخرى ذكرها ابن منظور للجذر "نهج" اكتفينا بما نراه يتناسب مع المعنى الاصطلاحي، لأن الغرض من التأثيل (التأصيل) اللغوي أن يكون المصطلح منفهما في صورته اللفظية. وجميع المعاني التي ذكرت تدعم المعنى الاصطلاحي وتثبت دلالاته في ذهن المتلقي، وهذا هو الغرض من الوقوف عند هذا القدر من المعاني اللغوية.

من خلال التعاريف السابقة نلاحظ أنه لا يوجد فرق بين المنهاج والمنهج لغة في المعاجم التراثية لكن المعاجم المعاصر ميزت بينهما، لأن كلمة منهاج قد شحنت بمعاني أخرى جديدة أثبتها الاستعمال اللغوي في مجال التعليم، وذكره أحمد عمر مختار في معجمه **معجم اللغة العربية المعاصرة**، في قوله:"**منهاج تعليمي**: مجموعة كاملة من الدراسات مطلوبة للحصول على شهادة متقدمة. ومناهج التعليم : برامج الدراسة وأسئلته وطرقه وأساليبه."[6] والفرق بين المنهج والمنهاج يصح فقط في حالة الإفراد، لأن المنهج والمنهاج تُجمع على لفظ واحد وهو مناهج، وتبقى الإضافة هي الفيصل في تحديد المصطلح، فنقول مناهج البحث اللغوي لنميزها عن غيرها من المناهج بما فيها المناهج التعليمية.

1-2-التعريف الاصطلاحي: أما اصطلاحا فهو بوجه عام "وسيلة محددة تُوصل إلى غاية معينة. والمنهج العلمي خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها"[7]. فالمنهج إذًا الطريقة المنظمة التي يلتزمها الباحث أثناء إعداد

[6]أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007م، ص2291.

[7]مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984، ص 393.

بحثه تشتمل على عمليات حسية كالملاحظة مثلا وأخرى ذهنية كالاستنباط والاستنتاج، غايته في ذلك أن يضيف معرفة جديدة لمجال البحث.

فالمنهج هو "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة."[8] وهذه القواعد قد تختلف من تخصص علمي إلى آخر، فهي قابلة للإضافة والتعديل حتى تكون متوافقة مع موضوع البحث.

ولفظ المنهج ترجمة لكلمة method في اللغة الفرنسية وغيرها من اللغات الأوربية، لأن أصلها كلمة يونانية كان أفلاطون يستعملها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، واستخدمها أرسطو بمعنى (بحث) والمعنى الاشتقاقي الأصلي لها يدل على الطريق أو المنهج المؤدي إلى الغرض المطلوب، ولكن معناه الاصطلاحي المتعارف عليه عرف سبيله للظهور مع بداية عصر النهضة.[9] أي مع القرن السابع عشر. أما علم المناهج methodology فقد تعدد استعمالاته من بينها أنه العلم الذي يبحث في الطرائق التي يستخدمها الباحثون لدراسة المشكلة والوصول إلى الحقيقة، فهو الدراسة التجريدية للأساس المنطقي الذي يقوم عليه العلم.[10]

لذا يختلف المنهج عن علم المناهج لأن الأخير " هو العلم الذي يدرس كيفية بناء المناهج، واختبارها، وتشغيلها، وتعديلها، ونقضها وإعادة بنائها، يبحث في كلياتها ومسلماتها وأطرها العامة."[11] فعلم المناهج يهتم بدراسة المناهج والأسس التي قامت عليها ومدى جدواها ودقتها في تحصيل العلوم. فهو" عِلم بيان طرق البحث العلمي واستقصاء أمرها، موضوعه المنهج والمناهج وآلياتها ومصادراتها ومتضمناتها .إنه منطق تطبيقي فعَّال، يفيد شتى العلوم المعنية بظواهر الكون الفلكية والفيزيائية والكيمائية والحيوية والاجتماعية والإنسانية، بقدْر ما

[8] عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977، ص 5

[9] المرجع نفسه، ص3.

[10] ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته واساليبه، دار الفكر، الأردن،2015، ط7، ص129.

[11] عبد الرحمان سليمان: مناهج البحث، عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 2014، ص 21.

يفيد البنية الحضارية بشكلٍ عام من حيث هو بلورة لأساليب التفكير المثمرة السديدة، ولوسيلةٍ فعَّالة امتلكها الإنسان لمواجهة الواقع والوقائع."[12]وعليه فإن دراسة مناهج البحث كمادة يحتاجها الطالب لإنجاز بحوثه العلمية، تختلف عن دراسة علم المناهج كمادة تختص بدارسة طبيعة المناهج ونقدها لأجل تحسينها وتطويرها.

ومناهج البحث نوعان؛ المناهج **الكمية** وتهدف إلى قياس الظواهر بلغة الأرقام والصياغة الرياضية، وهي المستخدمة في علوم المادة والطبيعة على وجه الخصوص، والمناهج **الكيفية** التي تهدف في الأساس إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة مما يتطلب الاهتمام بحصر الأقوال التي يتم جمعها وملاحظتها، وتستعين أكثر بالأحكام، وبدقة ومرونة الملاحظة أو بفهم تجارب الأفراد.[13] وهذه الأخيرة هي التي تعتمدها العلوم الإنسانية أكثر بما فيها علوم اللغة. وعليه فإن اختيار المنهج يتوقف على طبيعة الموضوع المدروس.

2-تعريف المنهجية: مصطلح حديث يتكون من جزئين المنهج وياء النسبة مع تاء التأنيث وتحمل معنى العلم كما هو الحال مع مصطلح الأسلوبية ويعرفها محمد بدوي بأنها " علم يعتني بالبحث في أيسر الطرق للوصول إلى المعلومة مع توفير الجهد والوقت، وتفيد كذلك معنى ترتيب المادة المعرفية وتبويبها وفق أحكام مضبوطة لا يختلف عليها أهل الذكر."[14]

فالمنهجية هي مجموعة الخطوات التي يتبعها الباحث لدراسة ظاهرة ما، بما فيها اختيار المناهج المناسبة لهذه الدراسة، فهي دليل الباحث لإنجاز بحثه بشكل منظم يتقدم فيه خطوة بعد الأخرى إلى أن يصل إلى نتائج البحث، وإعداده في شكله النهائي وإخراجه في صورته المتكاملة.

---

[12] يمنى طريف الخولي: مفهوم المنهج العلمي، مؤسسة هنداوي، مصر، 2020، ص 47.

[13] موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية-تدريبات عملية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2، 2006، ص 100-101.

[14] محمد البدوي: المنهجية في البحوث والدراسات الأدبية، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1998، ص9

وذلك بإعداد خطة أولية، وهي عبارة عن هيكلة للبحث يُعتمد في بنائها على مجموعة المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع، ففيها توزع المادة العلمية المجموعة، ويتم تنظيمها في شكل أبواب وفصول ومباحث مسبوقة بمقدمة ومتبوعة بخاتمة. فالمنهجية مجموعة من الخطوات والقواعد والأدوات التي يجب إتباعها قبل وأثناء البحث: كطريقة اختيار الموضوع، طريقة جمع المادة وتبويبها. كيفية الإحالة والتهميش، ترتيب قائمة المصادر والمراجع...إلخ

وبناء على ما تقدم، فإن المنهج جزء من المنهجية، لأن من شروط منهجية البحث العلمي اختيار المنهج المناسب لموضوع الدراسة، ويتوقف اختيار المنهج على طبيعة الموضوع والأهداف المتوقع تحقيقها، لأن "غياب المنهج في أي دراسة يعني غياب الجدية وصفة الأصالة فيه، فالبحث بلا منهج كلام في الموضوع أو مسألة أو الظاهرة وليس بحثا، ولهذا لا بد لكل بحث من منهج أو مناهج محددة توجه وتحكم مسيرته ويمكن في ضوئها تقييمه والحكم عليه".[15] وعليه فإن المنهج ضروري في أي بحث علمي يتوخى الوصول إلى إضافة علمية في مجال تخصصه.

ونشير إلى أهمية التفريق بين المنهج والمنهجية، فالمنهجية خطوات معلومة ثابتة مع جميع أنواع البحوث باختلافات بسيطة بين التخصصات، أما المناهج فتختلف من تخصص لأخر فعلوم المادة والطبيعة تعتمد على المناهج الكمية بالدرجة الأولى والعلوم الإنسانية على المناهج الكيفية. والمناهج قابلة لتغيير والتعديل لارتباطها بالمنطق وطرق الاستدلال والاستنتاج، لذلك هي محل للنقد والتقويم، فلكل منهج إيجابياته وسلبياته، أما المنهجية فخطوات إجرائية وتقنيات يجب التزامها ربحا للوقت والجهد وتحقيقا للطريقة العلمية الصحيحة.

3-المنهج العلمي والمنهج اللغوي: لا يوجد فرق كبير بين تعريف المنهج بشكل عام والمنهج العلمي أو اللغوي سوى هذه الإضافة الدالة على نوع من الخصوصية التي تلحق الطرق والقواعد المستخدمة في كل نوع من أنواع المنهج، فالمنهج العلمي يعتمد على التجربة

---

[15] هادي نهر: البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات والمناهج – الإجراءات)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009، ط1، ص 17.

الحية بالدرجة الأولى أما مناهج العلوم الإنسانية بشكل عام ومنها المنهج اللغوي فيتعذر استخدامه بالدقة التامة الموجودة في المنهج العلمي وذلك لصعوبة تعميم النتائج لأن الظاهرة الإنسانية متغيرة تحكمها الخصوصية الفردية، وتضبطها الأخلاق والقيم التي ترفض أن تجعل الإنسان حقل تجارب لما سيلحقه من ضرر.

وعليه لا يختلف تعريف المنهج العلمي عما قدمناه من تعاريف للمنهج فهو "طريقة وأسلوب البحث. وهي تُعبر عن محاولة الباحث في الوصول إلى المعرفة، أو التنقيب عنها بأسلوب علمي يخضع للتقصي الدقيق، والنقد العميق، وعرضها بطريقة تحقق التكامل والشمول."[16] وكذلك هو تعريف المنهج اللغوي لأن مناهج البحث لا تقتصر على علم دون آخر بل تشمل جميع مجالات البحث: الأدبي، اللغوي، التاريخي، الاجتماعي، النفسي...إلخ فهو إذن الطريقة الخاصة التي تصلح لكل علم على حدة بل لكل موضوع من هذا العلم .

" المنهج العلمي في جوهره آلية إيجابية فعَّالة، لتَعامل الإنسان مع وقائع عالمه، تقوم على التآزر والتحاور بين قدرات الذهن ومعطيات الحواس، وهذه آلية كامنة في كل عقلٍ بشري، وتبلغ أقصاها في البحث العلمي، تمامًا كما نقول إن القدرة الفنية كامنة في كل إنسان، وأي طفل لا بد أن يمارس الرسم، لكن هذه القدرة تبلغ أقصاها مع الفنانين العظام."[17]وعليه فإن المنهج العلمي يجمع بين تنظيم العمل بين القدرات العقلية ومعطيات الحواس متمثلة في المعلومات والبيانات التي نحصل عليها من عالم الطبيعة والحياة بأدوات البحث العلمي.

ولنوسع فهمنا للمنهج العلمي لابد أن نفهم المقصود من العلم بحد ذاته هذه الإضافة التي نسبنا إليها المنهج؛ فالعلم نظام من المعرفة العلمية المنظمة؛ فهو طريق للتفكير والبحث تؤكده أهمية أساليب الملاحظة الدقيقة وفرض الفروض والتحقق من صحتها عن طريق التجربة العلمية أو الطريق العلمي وهي تصف مجموعة من الخطوات توجه الباحث إلى استخدام طريقة

[16] فاروق السامرائي: المنهج الحديث للبحث في العلوم الإنسانية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1996

[17] يمنى طريف الخولي: مفهوم المنهج العلمي، مرجع سابق، ص 12.

علمية في حل المشكلة.[18] وفي هذا التعريف يتضح أن المنهج هو طريق الوصول إلى العلم. و"وظيفة العلم هي وضع القوانين العامة، التي تمكننا من ربط معارفنا عن الأحداث المتفرقة، فضلا عن إمكانية التنبؤات بها عن الأحداث التي لم نعرفها بعد."[19] وعليه فإن المنهج العلمي هو الطريق الذي ينبغي للباحث اتباعه حتى يستطيع أن ينتج معرفة يمكن تسميتها بالعلم. وتتميز المعرفة العلمية بما يأتي:[20]

-العلم منظم ودقيق في الصياغة يعبر عن المدركات الحسية للإنسان حول الطبيعة والظواهر المختلفة بلغة ذات صياغة محكمة ودقيقة، يعتمد على القياس والدقة والوصف.

- العلم كلي وعام لأن هدفه التعميم نتائج الدارسة على باقي الظواهر ذات الصلة أو الأشياء المرتبطة بها فهو يدرس الجزئيات ليصل إلى نتائج عامة.

- العلم موضوعي لأنه يلزم الباحث دراسة الجانب الموضوعي من الظاهرة ولا يتدخل فيها أي يدرس الموضوع كما هو في الواقع بالحياد العلمي دون تحيز أو تأثر بأحكام مسبقة.

- العلم يعتمد على المنهج العلمي الذي يقتضي من الباحث القيام بخطوات محددة لدراسة ظاهرة ما، بدءا من تحديد المشكلة ثم دراسة العوامل والعناصر التي تؤثر فيها وبعدها تحليل النتائج واختبار صحتها قبل تعميمها.

- العلم تراكمي لأن الحقائق العلمية ترتبط بعضها ببعض ذلك أن المعرفة مترابطة تسمح بأن تفسر قوانين ظاهرة ما ظاهرة أخرى، فكلما تطور العلم فإن مجموعة القوانين والحقائق التي يتم التوصل إليها تكون في مجملها هيكل منتظم ومتكامل.

---

[18] فاطمة عوض صابر وميرقت على خفاجة: أسس ومبادئ البحث العلمي، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، مصر، ط1، 2002، ص14-15.

[19] أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، 6-10-2023، نسخة pdf، https://www.noorbook.com، ص 20.

[20] نجلاء محمد إبراهيم بكر : أساسيات في التفكير المنطقي والبحث العلمي، ص 12- https://www.noor-book.com، 15، 6-10-2023.

ومع كل ما تمتاز به المعرفة العلمية فهي ليست حقائق مطلقة ثابتة، بل هي معرفة نسبية قد تصدق في زمنها، ثم تتغير مع تقدم البحث العلمي إلى حقائق أخرى جديدة تتجاوز القديمة، كما حدث مع نظرية نيوتن وأينشتاين في معالجة مفهوم الزمن من كونه مطلق إلى كونه نسبي. وعليه فإن العلم" فعالية نامية باستمرار، كل خطوة قابلة للتجاوز، للتقدم؛ لذلك ليس العلم بناءً مشيدًا من حقائق قاطعة، بل هو نسق من فروضٍ ناجحة، كل يوم فروض أنجح من سابقتها، أجدر وأقدر على الوصف والتفسير والتنبؤ والسيطرة .كل يوم جديد يتلافى أخطاء وقصورات القديم، فيلغيه أو على الأقل يستوعبه ويتجاوزه، ويقطع في طريق التقدم خطوة أبعد منه، في صيرورة تغيُّر مستمر نحو الأقرب من الصدق، الأفضل والأقدر."[21]

وهذا لا يقلل من أهمية العلم لأن كل معرفة علمية تحصل منها فائدة على مستوى مجالها العلمي أو مستوى انتفاع الناس بها في زمنها. كما أن الموضوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية يصعب تحقيقها كما هو الحال مع علوم المادة والطبيعة لصعوبة الفصل بين الذات الباحثة والموضوع المدروس، وهي لا تزال موضوع نقاش وجدال.

وعليه تتمثل أهمية العلم فيما يأتي:[22]

- تصنيف الظواهر والمشكلات وذلك بتحديد نوعها وطبيعتها حتى يسهل دراستها ووصفها وتفسيرها.
- فهم الظواهر وتقييسها، لمعرفة أسباب حدوثها وفوائدها والقوانين التي تحكمها والعلاقة بينها وبين الظواهر الأخرى.
- تعميم النتائج هدف العلم الرئيسي لتحقيق الاستفادة من دراسة ظاهرة ما في محاولة لاكتشاف في علاقتها بباقي الظواهر.
- التنبؤ بالظواهر، يسعى العلم بعد فهمها وتفسير القوانين التي تحكمها الى التنبؤ بمستقبلها يتوقع الاحداث قبل وقوعها، وقد يبدو واضحا في الأحوال الجوية

[21] يمنى طريف الخولي: مفهوم المنهج العلمي، مرجع سابق، ص 13.

[22] نجلاء محمد إبراهيم بكر: أساسيات في التفكير المنطقي والبحث العلمي، ص 7-10.

– التحكم في الظواهر المختلفة، حتى يتمكن العلم من التنبؤ بالظواهر فإنه يمكنه التحكم فيها بضبط العوامل المسببة لها لمنعها أو التخفيف من أثارها.

إن الحديث عن التنبؤ بالظاهر والتحكم فيها نسبي ولا يمكن تحقيقه مع جميع الظواهر وأبسط مثال على ذلك الأحوال الجوية فليست دائما صادقة فيما تتنبؤ به، وقس على ذلك، كما أن التحكم في الظواهر الطبيعية محدود، بل أن التقدم الحاصل في زمننا يثبت أن الإنسان لم يعد بوسعه التحكم في كثير من الظواهر التي كان سببا في ظهورها كالاحتباس الحراري مثلا. وعليه يبقى العلم البشري قاصر في فهم حقيقة الكون وعناصره، وكيفية عملها في انسجام وتناغم. ولكنه يمتلك خاصية إنتاج المعرفة وإعادة إنتاجها بأن يتم دائما تعديلها وتصويبها لأن البحث العلمي لا ينتهي في أي موضوع مهما بدا الإنجاز رائعا أو توهمنا تمامه في زمانه، سيظل دائما مجال البحث مفتوحا نحو ما هو أفضل. وبالتالي فإن إعادة الإنتاج هي قابلية العلم المستمرة للتقدُّم، لإنتاج معرفة أفضل.[23]وهذا ما يتحقق في كل لحظة وحين نلمس تجلياته في كل مظاهر حياتنا، إذْ غيرتها منجزات العلم والتكنلوجيا إلى ما لم نكن نتوقع حدوثه.

وما كان لتتحقق كل هذه الانجازات إلا بفضل استخدام مناهج البحث ومعرفة أهميتها في الوصول إلى المعرفة العلمية التي يمكن ضبطها وقياسها وتقنينها. وإن كان المنهج التجريبي هو الرائد في مسيرة التقدم العلمي في مجال علوم المادة والأحياء، فإن باقي المناهج لا تقل أهمية عنه في تقدم العلوم الإنسانية والاجتماعية بمختلف فروعها لصعوبة تطبيق المنهج التجريبي لاختلاف الظاهرة الإنسانية عن الظاهرة الطبيعية.

تعددت المناهج كما سبق الإشارة إليه منها المنهج التاريخي والمقارن والوصفي والاحصائي وجميعها صالحة لأن تستخدمه جميع العلوم، وهناك من المناهج من يختص بها علم بعينه وتسمى باسمه كالمنهج الفلسفي والأنثروبولوجي. لذا نجد اختلاف بين الباحثين في

[23] يمنى طريف الخولي: مفهوم المنهج العلمي، مرجع سابق، ص36.

تصنيف هذه المناهج وفي اختيار تسمياتها، فهي تختلف أحيانا من باحث لآخر فالمنهج التاريخي يسمه بعضهم استردادي. نكتفي بذكر بعض التصنيفات متمثلة فيما يأتي:[24]

1. تصنيف ويتني Whitney:

المنهج الوصفي، المنهج الاجتماعي، المنهج التاريخي، المنهج الفلسفي، المنهج الإبداعي، المنهج التنبئي، المنهج التجريبي.

2. تصنيف ماركيز Marquis :

المنهج التاريخي، منهج الدراسات المسحيّة، المنهج الانثروبولوجي، منهج دراسة الحالة، المنهج التجريبي، المنهج الفلسفي.

3. تصنيف جود و سكيتس Good and Scates :

المنهج الوصفي، المنهج التاريخي، منهج دراسة النمو والتطور، المنهج التجريبي، منهج دراسة الحالة.

من خلال هذه التصنيفات يتضح عدم اتفاق الباحثون حول تصنيف المناهج وتسمياتها، وعليه فإن الحال ذاتها في مجال البحث اللغوي، إذ كثيرا ما يجمع الباحثون بين مناهج البحث اللغوي ومناهج النظريات اللسانية، مع أن البحث اللغوي لا يتحدد فقط في دراسة مستويات اللغة، بل يتسع لكل بحث تكون اللغة فيه هي الأساس في معالجة الموضوع، لذلك نجد أن موضوعات اللسانيات التطبيقية هي بحوث لغوية تتم دراستها في الغالب بمناهج البحث العلمي المختلفة، وليس بمناهج النظريات اللسانية.

وعليه ينبغي التفريق بين مناهج النظريات اللسانية ومناهج البحث اللغوي التي هي قسيم مشترك بين كل العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهذه المناهج هي: المنهج التجريبي والمنهج التاريخي والمنهج المقارن والمنهج الوصفي والمنهج الاحصائي. غير أن "مناهج البحث في جذرها العميق، الذي يتمثل في مفهوم المنهج العلمي، لا تخرج عن واحدٍ من هذين الشكلين

[24] رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية، دار الفكر المعاصر، سورية، ط1، 2000، ص 148.

أو الطريقين :فإما استغلال قوى العقل المنطقية لاستنباط قضية من أخرى، وإما استشهاد الواقع والوقائع عن طريق الحواس، التي قد تستعين بالأجهزة، إنهما الآليتان الأساسيتان للعقل العلمي، توافرهما معًا يعني توافر المنهج العلمي."[25] وإن اختلفت أو تعددت المناهج وخطواتها.

الأعمال الموجهة:

إنجاز بحث حول: **استخدام لفظ المنهج في التراث العربي**

ما يقدم لك من مادة حول هذا الموضوع نزر قليل مما تزخر به بطون كتب التراث شاهدة على استخدامها للمنهج والمنهجية على حد سواء، وفي المراجع الحديثة التي تناولت هذا الموضوع مادة غزيرة تثبت أن علماء التراث العربي قد ألفوا كتبهم وأنتجوا علومهم وفق منهج البحث العلمي ملتزمين في الغالب بمنهجية البحث العلمي.

فيمكنك الرجوع إلى المراجع التي استخدمناها وغيرها لتساعدك في إنجاز البحث

1-التراث العربي ومناهج البحث:

إن طبيعة العلم أنه تراكمي ينمو ويتطور عبر الزمن بحيث يصعب دائما تحديد البدايات الحقيقة للعلوم ولنشأة المناهج في حد ذاتها. والفضل لهذا التطور يعود لكل الجهود قديمها وحديثها. وعليه فإن نشأة المناهج ليست نتاج النهضة الأوربية في القرن السابع عشر كما سبق الإشارة إليه، بل تمتد بجذورها في التراث الإنساني برمته، ومنه التراث العربي لأنه يمثل علامة فارقة في تطور العلوم وازدهارها، استفاد منه الغرب حتى استطاع أن يبدأ نهضته لأنه حين أشرقت شمس العرب على أوربا كانت حينها تعيش عصورها المظلمة.

وقد ألفت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه كتابها " شمس العرب تسطع على الغرب -أثر الحضارة العربية في أوربة" بيّنت فيه حقائق كثيرة يراد طمسها حتى يظل فضل العرب على أوربا مختزلا في أنها نقلت لهم علوم القدامى من الحضارات المختلفة.

[25] يمنى طريف الخولي: مفهوم المنهج العلمي، مرجع سابق، ص 56.

وسنتعرف في مادة مناهج البحث اللغوي على اسهامات علماء التراث في نشأة هذه المناهج سواء كممارسة إجرائية قامت عليها علومهم كما هو حال المنهج الوصفي في استنباط قواعد النحو العربي، والمنهج المقارن في المقارنة بين العربية والعبرية، أو كتنظير وتطبيق كما الحال في المنهج التاريخي مع ابن خلدون، لنكتشف أن أغلب خطوات هذه المناهج كان للتراثين نصيبا منها، وهذا ما سنتناوله في حينه مع كل منهج. ونكتفي هنا بهذا الموجز عن اسهامات العرب في المنهج والمنهجية على حد سواء من خلال دراسات كثيرة لباحثين عرب وغير العرب من المنصفين، لنطلع على جهودهم التي صنعت حضارة قادت العالم لقرون بالإيمان أولا والعلم ثانيا.

ولمعرفة ما إذا كان التراثيون قد وظفوا مناهج البحث في كتاباتهم لابد من العودة إلى كتبهم والنظر في الطريقة التي سارت عليها ومقارنتها بما هو عليه البحث العلمي اليوم، لنتعرّف على الكيفية التي عالجت بها الموضوعات التي تناولتها، ونتأكد من صحة خطواتها الإجرائية في معالجة قضايا العلم والمعرفة، ومدى قربها مما هو متاح اليوم في مجال المنهجية ومناهج البحث. وهذا العمل قد قام به بعض الباحثين الغربيين وآخرين عرب أثبتوا سبق علماء المسلمين إلى المنهج العلمي وتطبيق إجراءاته التي قادتهم إلى صناعة حضارة عظيمة شهد لها التاريخ.

2-المنهج في التراث العربي:

لقد درستَ واطلعتَ في مسيرتك التعليمية على علوم مختلفة كان للتراث العربي فضل في تطورها وإرساء مناهجها، مما يجعلك على يقين بأن التراث العربي قد زخر بمناهج مختلف لاختلاف التخصصات التي برع فيها علماء ذاك الزمن، وأن العالم العربي المسلم لم يكن ينجز بحوثه ويؤلف كتبه من دون طريقة واضحة، بل بمنهجية علمية تحترم منطق التفكير وتلتزم بشروط الكتابة العلمية، وإن لم يسم ذلك بمنهج الدراسة كما نفعل اليوم في أي بحث علمي، لكن لا أحدا يستطيع أن ينفي عن الأوائل وعيهم بأهمية عرض وشرح الطريقة التي سارت عليها كتبهم فابتدئوها بمقدمة يبينون فيها أهمية عملهم وسبب التأليف كما نجده في كتاب سر

صناعة الإعراب لابن جني، وقد سبق وأن وقفت على أمثال هذا النموذج في مادة مصادر اللغة والأدب.

لقد "اتبع العرب في إنتاجهم العلمي أساليب مبتكرة في البحث فاعتمدوا على الاستقراء والملاحظة والتدريب العملي والاستعانة بأدوات القياس للوصول إلى النتائج العلمية، ونبغ من هؤلاء الكثير منهم الحسن ابن الهيثم وجابر ابن حيان والخوارزمي في الرضيات والبيروني والرازي وابن سينا في الطب."[26] فقد كانت كتبهم ومؤلفاتهم مؤسِسة لكثير من العلوم لأنهم ساروا على منهج علمي أساسه الملاحظة والاستقراء والتجريب.

ومنهم من كان يُعرّف بمنهجه في مقدمة كتابه كما فعل ابن الهيثم في كتابه (المناظر) فقد شرح المنهج الذي سار عليه في مؤلفه، ولا يختلف كثيرا عن منهجية البحث كما هي عليه اليوم، إذ أنه ابتدأ بالدراسات السابقة في موضوع دراسته(الإبصار) وذلك باستئناف النظر في مبادىء ومقدمات الموضوع، والبدء في استقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات ليميّز بين خواص الجزئيات ويرتقي في البحث والمقاييس وانتقاد المقدمات والتحفظ في النتائج، بطلب العدل لا اتباع الهوى (الموضوعية) غايته الوصول إلى الحقيقة.[27] نفهم من خلال هذه الخطوات التي ذكرها ابن الهيثم في كتابه أنه كان على وعي تام بكل بخطوات المنهج بدءا من اطلاعه على الدراسات السابقة واستقراء كل ما يتعلق بالموضوع، واستخدام الملاحظة، وتوظيفه للنقد وهو في كل أحواله يتحرى الموضوعية العلمية بحثا عن الحقيقة.

كما نجد في مقدمة كتاب كشاف العلوم ما يعد خطوات منهجية الكتابة العلمية وهي شروط يجب على المؤلف مراعاتها أثناء التأليف نلخصها فيما يأتي: [28]

---

[26] محمد صادق: البحث العلمي بين المشرق والعالم الغربي–كيف نهضوا ولم تراجعنا، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2014،ص17

[27] الحسن بن الهيثم: كتاب المناظر في الإبصار على الاستقامة، تح: عبد المجيد صبره، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، دط،1983، ص 62.

[28] محمد علي التهناوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996،ج1،ص 14–15.

1. الفائدة والغرض من تدوين العلم أو تحصيله.
2. المنفعة من هذا التأليف لتكون سببافي تحمل مشقة البحث.
3. عنوان الكتاب ليجمل ما يفصله.
4. اسم مؤلف الكتاب ليؤخذ العلم من الثقات.
5. تحديد نوع العلم أي النظريات أو العلميات من الشرعيات أو غيرها.
6. بيان مرتبته بين العلوم إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه، أو باعتبار الأهمية
7. تبويب المؤلف ليطلب المتعلم في كل باب ما يتعلق به ولا يضيع وقته في مطالب لا تتعلق به، وقسمة الكتاب مقدمة وبابين وخاتمة.
8. الأنحاء التعليمية كالتقسيم من العام إلى الخاص كتقسيم الجنس إلى أنواع والأنواع إلى أصناف أو التحليل من الأخص إلى العام كتحليل زيد إلى إنسان وحيوان.

وكما هو واضح في هذه الخطوات فقد تضمنت منهجية البحث العلمي في أهم تفاصيلها كتحديد العنوان وضبطه، ومعرفة أهداف البحث وأهميته، وتقسيم البحث إلى أبواب وفصول تسبقها المقدمة وتنتهي بخاتمة، واستخدام المنهج بتحديد نوع العلم ومرتبته واستخدام التصنيف والتقسيم والتحليل.

وما سار عليه علماء الحديث في بناء أسانيدهم لا يختلف عما هو موجود في المنهج التاريخي فضلا عن توفره على روح المنهجية العلمية كتحري الأمانة والدقة في نقل الحديث بالرجوع إلى معرفة صحة السند واستخدام الجرح والتعديل في تتبع سيرة الرواة، إضافة إلى مناهج المتكلمين الجدلية أو الحجاجية، ومناهج المتصوفة الذوقية العرفانية، ومناهج الفقهاء ومناهج البرهان في الفلسفة الإسلامية ومناهج العلوم التجريبية عند العرب التي كانت سببا في التطور العلمي الحديث في أوربا.[29]

[29] يمنى طريف الخولي: نحو توطين المنهجية الإسلامية في العالم الإسلامي، مجلة عالم الفكر، الكويت، م 43، العدد 2، ص 142

لقد توصل الأصوليون إلى المنهج الاستقرائي في أكمل صوره من خلال قانون العلية وقانون الاطراد في وقوع الحوادث الذي انبنى عليهما القياس، فأقاموه على أساس التجربة واعتبروها موصلة لليقين، كما فعل المحدثون.[30] فقد أرجع الأصوليون حسب علي النشار القياس إلى نوع من الاستقراء العلمي القائم على فكرتين؛ الأولى فكرة العلية ومفادها أن لكل معلول علة فحكم تحريم الخمر معلول بالإسكار، الثانية: قانون الاطراد في وقوع الحوادث ويتحقق إذا وجدت العلة تحت ظروف متشابهة أنتجت معلولا متشابها؛ أي أن علة الأصل موجودة في الفرع، فإذا تأسس تحريم الخمر لعلة الإسكار، حُرم كل شراب مسكر.[31] وبناء على هذا الفهم يستنتج الباحث أن قواعد القياس عند الأصوليين لا تختلف عن قواعد الاستقراء عند جون استوارات ميل.

لذا انتقد المسلمون منطق أرسوا، وأسسوا منطقهم الخاص القائم على مبحث في الحد لا يستند على فكرة الماهية وهي جوهر كما هي عند أرسطو، ومن مبحث الاستدلالات القائم على التجربة المؤدية لليقين، والتي لم يعرفها أرسطو كقانون العلية أن لكل معلول علة وقانون الاطراد في وقوع الحوادث.[32]

فإذا كان الاستقراء يستطيع الوصول إلى حالات ثابتة الكلية أي إلى القانون الطبيعي، فذلك لأنه يستند إلى اعتقاد بأن حوادث الطبيعة مطردة أي يمكن حدوثها إذا توفرت الشروط نفسها، فالقياس الأصولي نوع من الاستقراء العلمي يستند على قانون الاطراد والتعليل، بحيث أنه يخالف القياس الأرسطي.

بناء على ما تقدم فإن علماء التراث قد أقاموا علومهم على مناهجهم الخاصة والمختلفة والمتنوعة من تخصص إلى آخر، كالمنهج التجريبي عند أهل الطب وعلوم المادة، ومنهج

---

[30] علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام–ونقد المسلمين للمنطق الأرسطي طاليس، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1948، ص102.

[31] المرجع نفسه، ص 85.

[32] المرجع نفسه، ص 110.

التاريخي عند علماء الحديث، والاستدلال والقياس عند علماء الفقه والأصول، ومنهج المناظرة والجدال عند علماء الكلام والفلسفة ....وغيرها.

3-دراسات حول مناهج البحث عند المسلمين:

لقد شهد المنصفون من الغرب بمعرفة العرب بمناهج البحث العلمي وظهور بوادرها شاهد على ذلك في كتبهم والعلوم التي ألّفوا فيها وأسهموا في تطويرها .وقد ألّف بعضهم كتبا يثبت فيها ذلك، مثل الباحث فرانتز روزنتال في كتابه(**مناهج البحث عند المسلمين**) تناول فيه قضايا مختلفة تتعلق بمنهجية البحث العلمي عند المسلمين نذكر منها اهتمام المسلمين بإتباع طريقة علمية في البحث تشبه ما هو مستخدم في منهجية البحث العلمي، كجمع المعلومات وتنظيمها قبل تحرير الكتاب، باستعمال الجزازات في تدوين الملاحظات التي كانت تلقى في حلقات الدرس أو بنسخ المقتبسات عن الكتب التي كانوا يقرأونها ، وهي التي ستصبح فيما بعد المادة الأولية في تأليفهم.[33] واستخدام الجزازات هو ما يعرف اليوم بنظام البطاقات الذي يستخدمه الباحث في تنظيم مادته المعرفية قبل تحريرها النهائي.

كما حرص العلماء المسلمون على ضرورة الأمانة والدقة في النقل، وأكدوا على أهميتها في مؤلفاتهم، يظهر ذلك واضحا في مقدمة كتاب (معجم البلدان) ينبه ياقوت الحموي إلى أهمية الأمانة العلمية في البحث العلمي عند العلماء في النقل سواء كان حقا أم باطلا، لأنه يسمح للطالب بمعرفة الآراء المختلفة في ذلك العلم.[34]

ومن جملة ما قال نذكر قوله: "لأنني كتبتها حرصا على إحراز الفوائد، وطلبا لتحصيل القلائد منها والفرائد، فإن كانت حقا فقد أخذنا منها بنصيب المصيب، وإن كانت باطلا فلها في الحق شرك ونصيب، لأنني نقلتها كما وجدتها، فأنا صادق في إيرادها كما أوردتها، لتعرف

[33]ينظر: فرانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين غي البحث العلمي، تر: أنيس فريحة، دار الثقافة، لبنان ،1961، ص 24

[34]ينظر: المرجع نفسه، ص 121-122

ما قيل في ذلك حقا كان أو باطلا، فإن قائلا لو قال: سمعت زيدا يكذب، لأحببت أن تعرف كيفية كذبه."[35] وهذا منتهى الأمانة في نقل الآراء حول وبموضوعية.

وعلى هدي هذا النوع من الكتابة سار بعض الباحثين العرب في محاولتهم للبحث العميق فيما يثبت أن علماء المسلمين مارسوا البحث العلمي بأبجديات المنهجية المتعارف عليها وأن أغلب المناهج قد وظفوها، وإنْ لم يصرحوا باستخدامها أو يُنظّروا لها.

وليس جهد الباحثين في تتبع كتب التراث واستنتاج مناهجها بالمستوى نفسه حتى لو تقاربت العناوين، فبعضها لم توفق في الوقوف على المنهج وإن كان العنوان يوحي بذلك مثل كتاب"**مناهج التأليف عند علماء العرب**" فقد اكتفى صاحبة بتتبع المباحث التي احتوتها مختلف الكتب الأدبية ليبيّن من خلالها أن علماء العرب عرفوا التصنيف والتقسيم والتبويب كطريقة للتفكير وفق منهج حددته هذه الأبواب.

ففي الباب الرابع الذي خصّه بالتأليف الأدبي المنهجي توقف عند أسماء لامعة في هذا المجال كالجاحظ مثلا، فاختصر منهجه في البيان والتبيين بذكر أهم الموضوعات التي تضمنها الكتاب وهي:(الخطابة–البلاغة والبيان–الشعر–الرسائل والوصايا والمحاورات–النساك والوعاظ).[36] فما قام به عملية وصفية لهذه المؤلفات على مر العصور، وليس استنباط أو بحثا في المنهجية التي ساروا عليها ومدى اقترابها من المنهجية العلمية.

وفي المقابل نجد من الباحثين من وُفِقوا حقيقة في تقصي المنهجية والمنهج في الكتابات العربية التراثية، مثال ذلك الباحث أحمد جاسم النجدي في كتابه "**منهج البحث الأدبي**"، حاول أن يقف على منهجية البحث العلمي التي ألفت بها هذه الكتب، وهي لا تختلف كثيرا عن منهجية البحث العلمي في إعداد البحوث، وطبعا احتاج الأمر تراكما معرفيا عبر قرون، تتبع الباحث هذا النضج في الكتابة حتى استوى لديه في مؤلفات القرون المتأخرة.

---

[35] ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت،1977،م1،ص 112.

[36] مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، دار العلم للملايين، لبنان، ط 6، 1991، ص 171–177.

لقد شهد القرن الثالث هجري، استقلال العلوم الأدبية بكتب خاصة تحددت فيها الموضوعات حسب العصر أو البيئة، وفي القرن الرابع كان أكثر نضجا إذ بلغت كتب البلاغة والنقد مرحلة دقيقة من التقسيم والتبويب، قسمت فيها الأبواب إلى فصول حسب تشعب المادة مما ينبئ عن اتضاح فكرة التقسيم الداخلي عند المؤلفين مثل كتاب "نقد الشعر" لقدامة ابن جعفر والصناعتين لأبي الهلال العسكري.[37] وغيرهم كثير في مختلف الاختصاصات والمجلات.

"فحركة التأليف عند العرب كانت حركة علمية منظمة بدأت بسيطة ثم تطورت ووصلت إلى درجة النضج، ثم تحولت في الحقب المتأخرة إلى حركة علمية متكاملة لها أسسها ومبادؤها العلمية المرسومة التي أوجدت كتبا عن التأليف وكيفيته تلك الكتب التي يمكن أن تقابل ما وضعه الدارسون المحدثون من كتب في منهج البحث."[38]

وعلى هذا الأساس سعى الباحث من خلال استقرائه للمؤلفات العربية القديمة إلى محاولة إثبات وعي الكتُّاب بالمنهج الذي يسيرون عليه. فتضمن كتابه عدة فصول كل فصل يشرح خطوة من خطوات المنهجية، ففي الفصل الأول عرض مفهوم البحث الأدبي عند القدامى والصفات الواجب توفرها في الباحث، أما بقية الفصول فجاءت لتحدد مراحل منهجية البحث وخطواتها، وهي متقاربة جدا مع ما هو متعارف عليها في منهجية البحث العلمي.

فكانت أولى الخطوات هي اختيار الموضوع وتحديده وهي خطوة لا يكاد يخلو منها كتاب قديم يصرح مؤلفه سبب التأليف، ودوافع اختيار الموضوع، فإذا ما كان الموضوع مدروسا بينوا مبررات التأليف حول الموضوع.[39] ثم تأتي مرحلة جمع المصادر التي عالجها في الفصل الثالث، إذْ تنوعت المصادر بين المدونة والشفهية كالمقابلة الشخصية مع العلماء والمجالس

[37] أحمد جاسم النجدي: منهج البحث الأدبي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق،1978، ص 20.

[38] المرجع نفسه، ص28.

[39] المرجع نفسه، ص 53 فما بعدها

العلمية والأدبية، ولأجل ذلك وجدت كتب الفهارس لإرشاد الباحثين إلى المصادر.[40] مثل كتاب الفهرست لابن نديم، وهذا مؤشر على وعي القدامى بأهمية هذا النوع من التأليف في مساعدة المؤلفين على إعداد مؤلفاتهم.

وبعد جمع المصادر يأتي الفصل الرابع ليبين لنا كيفية نقل المعلومات منها وتوثيقها، وهي لا تختلف عن طريقة منهج البحث العلمي في النقل، فيكون إما اقتباس حرفيا أو النقل بالمعنى.[41] وقد عرفوا نظام استعمال الجزازات–كما سبق الإشارة إليه–في نقل المعلومات وهو ما يشبه نظام البطاقات. وفي الفصل الخامس بيّن لنا الباحث كيف تعامل المؤلفون مع المعلومات التي تم جمعها وهي من الكثرة بحيث دفعتهم إلى دراستها بغرض تنظيمها وتقسيمها إلى وضع خطة تعتمد تقسيم الكتاب إلى وحدات كبرى هي الجزء والقسم والكتاب، وبعدها تم تقسيمها إلى وحدات صغرى هي الباب والفصل، تم هذا التقسيم على أساس المشاكلة والمشابهة الموضوعية بين الوحدات المتجاورة، وتقديم الأهم والأكثر شهرة.

وفي الفصل السادس والسابع تناول الباحث النقد الخارجي والداخلي للمعلومات، ففي النقد الخارجي اهتم المؤلفون بالتأكد من الصحة النص إلى صاحبه فعالجوا قضايا الانتحال، وحرصوا على تصحيح النص من التصحيف والتحريف كما حققوا النصوص لأجل ضبطها بالقراءة الصحيحة. أما النقد الداخلي؛ فيتمثل في عملتي التفسير والنقد السلبي للنزاهة والدقة، إذْ فسروا النصوص تفسيرا لغويا لتبيان معانيها الحقيقة، وحددوا عوامل عدة تطعن في نزاهة بعض الرواة ودقتهم.

وآخر المراحل هي تحرير الكتاب وحسب الباحث فهي تمر بمرحلتين: كتابة المسودة وهي الشكل الأولي للكتابة يخضع لتصحيحات وتنقيحات، لينتقل بعدها إلى كتابة المبيضة وهي الصيغة النهائية للكتاب وقد التزمت بأغلب معايير الكتابة العلمية من احترام للهوامش

[40] أحمد جاسم النجدي: منهج البحث الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص 80 فما بعدها

[41] ينظر: المرجع نفسه، ص 110 فما بعدها

والأسطر وتنظيم العنوانات العامة والفرعية.[42] ولا يتوقف شأن الكتابة عندهم عند هذا الحد بل يستكملونها بكتابة المقدمة المعدودة الصفحات تتضمن أسباب اختيار الموضوع وتحديد غرضه وفكرته الأساسية وأحيانا نقد الكتب السابقة المؤلفة في الموضوع نفسه، ومثّل الباحث لمقدمة كتاب **عيون الأخبار** لابن قتيبة كمقدمة التزمت بأغلب ما تتطلبه أبجديات البحث العلمي في زمننا.[43] من تقديم للموضوع وأسباب اختياره وأهدافه وأهميته.

ويتضح ذلك في تحديد أهمية كتابه بقوله: "وهذه عيون الأخبار، نظمتها لمُغفل التأدب تبصره، لأهل العلم تذكرة، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدبا، وللملوك مستراحا، وصنفتها أبوابا، وقرنت الباب بشكله، والخبر بمثله، والكلمة بأختها، ليسهل على المتعلم علمها، وعلى الدارس، حفظها، وعلى الناشد طلبها، وهي لقاح العقول العلماء، ونتائج أفكار الحكماء، وزبدة المخض، وحلية الأدب..."[44]

ونجد في مقدمة كتاب "**صبح الأعشى في كتابة الإنشاء**" عناصر أوفى مما هي في عيون الأخبار، كشرح ما يتضمنه الكتاب وهو شبيه بشرح خطة البحث في قول القلقشندي:" ونبهت فيها على ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد. وما ينبغي أن يسلكه من الجواد. وضمنتها من أصول الصنعة ما رأيت به على المطولات وزادت. وأودعتها من قوانين الكتابة ما استولت به على جميع مقاصدها أو كادت. وأشرت فيها إلى وجه تعلقي بحبال هذه الصنعة وإنْ لم أكن بمطلوبها مليا، وانتسابي إلى أهلها وإن كنت في النسبة دعيا."[45]

وقد جمع بين العلم التواضع، وهذا ما يدخل في أخلاقيات البحث العلمي. كما أثبت نقده للكتب السابقة وإن شئت قل عرض الدراسات السابقة مبينا ما فيها من نقص، ليقدم كيفية

---

[42] أحمد جاسم النجدي: منهج البحث الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص 201-203.

[43] ينظر: المرجع نفسه، ص 230 فما بعدها ستجد نماذج عديدة لمقدمات الكتب التراثية

[44] أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، تح: منذر محمد سعيد أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت – عمان، ط1، 2008، ص 3.

[45] أبو أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط،1992، ص 9

معالجتها في كتابه.[46] وبهذا تكون مقدمة هذا الكتاب قد تضمنت أغلب العناصر التي يجب توفرها حسب منهجية البحث العلمي. إضافة إلى ما ذكرناه فقد تضمن فهرس الموضوعات التي عادة ما كان يوضع في بداية الكتاب.[47] طبعا ليست الكتب التراثية جميعها سواء فيما يتعلق بالتزامها بمنهجية البحث العلمي كما هو الحال الآن، ولكنها تتفاوت من كتاب لآخر.

وأحيانا تتضمن الكتب زيادة عن المقدمة تمهيد، وخاتمة الكتاب يدون فيها ما لم يكتب في المتن من فائدة جديدة والنتائج التي توصلوا إليها.[48] وقد قدم الباحث أمثلة كثيرة نكتفي بما ذكره ابن الأثير في خاتمة كتابه فهي تفيد وعي كُتاب العرب بأهمية الخاتمة في قوله: "وإذا فرغت من تصنيف هذا الكتاب، وحررت القول في تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهما، فينبغي أن أختمه بذكر فضليهما."[49] ليخلص الباحث إلى نتيجة مفادها؛ أن الأوائل قد مارسوا منهجية البحث العلمي وإن لم يُنظّروا لها، ولم يكن جميعهم بالمستوى نفسه في الانضباط بهذه المنهجية بل حالهم من حالنا اليوم فيهم الملتزم ونتائج بحثه شاهد على ذلك وفيهم المخل المقل.

وإذا كان الباحث أحمد جاسم النجد قد اهتم بمنهج الكتب الأدبية، فإن الباحث جلال محمد قد سعى لإثبات سبق العرب إلى المنهج العلمي في مجال العلوم الطبيعية والكونية من خلال دراسته لمؤلفات العديد من علماء المسلمين في مختلف المجلات كالطب عند ابن يسنا والرازي والفيزياء وغيرها فخلص إلى أن بعض علماء العرب قد انتهج الطريقة العلمية الحديثة وكما أدركها العلماء المحدثون مثال ذلك، طريقة ابن الهيثم في معالجة المسائل العلمية، فقد أخذ فيها بالاستقراء معتمدا على التجربة، وأدى القياس فيها دورا في استنباط النتائج التي تفضي إليها النظرية والقانون. واستخدم في هذا المنهاج ملاحظة الأمور الطبيعية على ما هي

---

[46] المرجع السابق، ص 7-8

[47] أحمد جاسم النجدي: منهج البحث الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص 12-33

[48] ينظر: المرجع نفسه، ص 241 فما بعدها

[49] أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، دط، 1939، ص 412.

عليه في الواقع، ثم جمع الوقائع المشاهدة وبوبها لاكتشاف ما قد يربط بينها من علاقات قد نسميها قانونا طبيعيا أو نظرية علمية.[50]

وبناء على ما تقدم فإن التراث العربي بمختلف مؤلفاته وتخصصاته لم يكن ليصل إلى مستوى الجودة العلمية، إلا لأنه التزم بمعايير منهجية البحث العلمي سواء طابقت أبجدياتها منهجية البحث العلمي اليوم ومناهجها المختلفة أو تقاربت معها في نواحي كثيرة. لأن منهج التراث العربي لا نزال نبحث عنه بموصفات ما وصل إليه الغرب من مناهج، وليس بالبحث عنه بما يقتضيه منطق العرب في العلوم، لأننا قد نكشف ذات يوم عن مناهج أخرى تميّز بها النتاج المعرفي العربي عن غيره.

4-3-استخدام لفظ المنهج في التراث:

إن ما قدمناه من نماذج نبين فيه أن علماء التراث قد ساروا وفق منهجهم الخاص وشرحوه في مؤلفاتهم وإن لم يسموه منهجا لا يعني أنهم لم يستخدموا لفظ المنهج بل لقد استخدم في عناوين بعض الكتب والمراد منه الطريقة التي ساروا بها في الاستدلال على ما تضمنته هذه الكتب مثال ذلك حازم القرطاجني في كتابه "**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**". يتناول في هذا الكتاب موضوع الشعر وطريقة نظمه بالبحث في المعاني والمباني والأسلوب في أربعة أقسام ويقال بأن القسم الأول منه غير موجود، أطلق حازم على كل قسم منها اسم منهج، يشرح فيه الكيفية التي ينبغي أن تعالج بها القضايا السالفة الذكر، إضافة إلى ذلك يزيد الفائدة بما سماه إضاءة وتنوير، مثال ذلك ما ورد في قسم المعاني من شرح للكيفية التي سيعالج بها الموضوع في قوله: "المنهج الأول في الإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها، والتعريف بضروب هيئاتها وجهات التصرف فيها، وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك، من حيث تكون ملائمة للنفوس أو منافرة لها."[51] والمنهج هنا يعني الطريقة التي انتهجها في معالجة الموضوع

---

[50] محمد جلال: مناهج البحث عند المسلمين، مرجع سابق، 272-273.

[51] أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار العرب الإسلامي، ط3، 1986، ص9.

وكذلك كتاب ابن رشد "**مناهج الأدلة في عقائد الملة**" وفي هذا الكتاب سعى ابن رشد إلى نقد منهج مختلف الفرق الدينية كالأشعرية والمعتزلة والصوفية وغيرها، وذلك بالنظر في الأدلة التي انتهجتها لإثبات قضايا عقائدية كإثبات وجود المولى عز وجل، مثال ذلك نقد أدلة الأشاعرة والمعتزلة الذين استخدموا دليل الجوهر الفرد، فبعد أن شرحه، انتقده وبين أنه أخذ من نظرية الجوهر الفرد الإغريقية فلا هي شرعية ولا هي إسلامية وقد استخدمت عكس مرادهم لإثبات قدم العالم وإنكار وجود الله، وبالتالي النظرية قاصرة عن تحقيق مرادهم، وهذا ما أثبته ابن رشد بالحجة والبرهان.[52]

و**خلاصة** القول فيما تقدم؛ لا يستطيع منصف إنكار عظمة هذا التراث، الذي هو نتاج ممارسة لمختلف المناهج التي عرفها العلم الحديث، بل إن بوادر التنظير للمناهج وكيفية تطبيقها قد ثبت وجودها في كتب الأولين مثال ما ذكرناه عند ابن الهيثم وهو يشرح في كتابه خطوات المنهج التجريبي، وقد أخذ الغرب الكثير من تراثنا العظيم، حتى استطاع أن يعرف للنهضة سبيلا، فكان منهم من اعترف بذلك، وآخرون نهلوا منتحلين ناسبين كشف غيرهم إليهم.

لكن الحقيقة تشهد بها الكتابات المختلفة منها ما ذكرناه في هذا المدخل، وغير ذلك كثير فلا يكاد يخلوا كتاب يتحدث عن المناهج ومنهجية البحث من الإشارة إلى الجهود التراثية في كل منهج على حدة، وهذا ما سنتعرف عليه في حينه مع كل منهج ندرسه.

وعليه نخلص إلى أهمية استخدام المنهج في البحث العلمي، فهو الأساس الذي ينبني عليه البحث وهو الطريق الموصلة إلى الهدف المنشود لأي بحث. وهذا ما تحقق في إنتاج التراث ممارسة وتنظيرا.

[52] ينظر: ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تح: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1964ص 12-15.

المعيارية في النحو العربيّ

(المنهج المعياري)

الكفاءات المستهدفة:

- ✓ تستوعب مفهوم المعيارية في النحو العربي عند اللسانين المحدثين، وتباين الآراء حول هذا الموضوع
- ✓ تحدد موقفك العلمي من المعيارية في النحو العربي، بناء على الأراء التي درستها وما قدمته من حجج
- ✓ تتبين أسس المعيارية في النحو العربي
- ✓ تكتشف مظاهر المعيارية في التراث اللغوي العربيّ
- ✓ تتمكن من استخراج مظاهر المعيارية من الكتب النحوية المختلفة
- ✓ تكتشف مظاهر المعيارية في الدرس اللغوي الحديث

مفهوم المعياريّة في النحو العربي:

المنهج المعياري ويطلق عليه أيضا تسمية المنهج التقليدي، وهو المنهج الذي سارت عليها الدراسات اللغوية التراثية (القديمة)، لا على اعتبار أن الدارسين الأوائل صرحوا بمنهجهم في كتاباتهم، بل هو مجرد نقل عما وُصفت به الدارسات اللغوية القديمة في الغرب فكانت هذه المجاراة التي وجد لها ما يبررها في الدرس اللغوي الغربي القديم، أن نقلت الصفة إلى النحو العربي، وبالرغم من أن اللسانيين الغرب لم يعتبروا المعيارية منهجا إلا أن بعض الباحثين العرب جعلوا منها منهجا للنحو العربي، وآخرون اعتبروها اتجاها أو غاية النحو العربي، وليست منهجا ولا يمكنها أن تكون كذلك، لأسباب سنذكرها لاحقا.

1-مفهوم المعيارية:

تعريف المعيارية لغة لا يبتعد كثيرا عن مفهومها اصطلاحا، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن المِعيارُ من المكاييل، و**العِيَارُ**: ما عايرتَ به المكاييلَ، فتقول: **عايرتَ** به أي سوّيتُه، وهو **العِيارُ** و**المِعْيارُ**. و**عَيَّرَ** الدّينار: وازَنَ به آخر. و**عَيَّرَ** المِيزان والمكيال، و**عاوَرهما**، و**عايَرَهما**، وعَايَرَ بينهما **مُعايَرة**: قدَّرَهما ونَظَر ما بينهما.[1] ومِعيار جمعها **معايير**-**أعيار**: وهو مقياس يقاس به غيره للحكم والتقييم، اخترته حسب **معايير** معينة. **غير معياري**: مختلف أو غير ملتزم بمعيار معيّن، **معياريَّة**: اسم مؤنث منسوب إلى المعيار؛ وهو مصدر صناعي من معيار: إخضاع الأشياء لمقاييس محددة تُقَيَّم من خلالها، معيارية اقتصادية، سياسية أخلاقية. والعلوم المعياريّة هي العلوم التي تهدف إلى صوغ القواعد والنّماذج الضّرورية لتحديد القيم كالمنطق والأخلاق وعلم الجمال.[2] وعلى هذا الأساس اللغوي جاءت صفة المعيارية ليوصف بها منهج النحو العربي على وجه الخصوص، لأنه وضع معيارا معينا يحدد سلامة لغة المتكلم، فإن تحدث وفق تلك المعايير فكلامه صحيح وإلا فقد لحن في القول.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص 3187.

[2] أحمد عمر مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص 1582-1583.

ولكن حقيقة هذا الوصف لم تأت من دراسة نقدية لمنهج القدماء من دون تأثير الدرس اللغوي الغربي كما سبق الإشارة إليه، لأن الذين وصفوا النحو العربي بالمعيارية استعاروها من الوصف الذي وصفت به الأنحاء القديمة عند الغرب ونجد ذلك واضحا في قول دي سوسير " إن النحو التقليدي معياريّ يرى أن واجبه إصدار قواعد بدل معاينة الوقائع، وهو يفتقر إلى الرؤى الشمولية، وغالبا لم يكن ليقوى التمييز بين الكلمة المكتوبة والأخرى المحكية. لقد عيب على النحو الكلاسيكي فقدانه الطابع العلمي غير أن قاعدته مع ذلك هي الأقل تعرضا للنقد وغرضه هو الأفضل تحديدا قياسا إلى الألسنية".[3]

والمقصود بالطابع العلمي غياب التأطير بنظرية لسانية، وهذا ما جعل منهجية البحث المتبعة في النحو على نضجها لا توصل إلى المعرفة العلمية باللغة، مما أدى إلى اختلاف تحاليل النحاة فعملوا على إبطال الرأي المخالف، ولو أنهم اهتدوا إلى بناء النظرية اللسانية التي بموجبها يحدد ما يجب قوله في وصف اللغة لانكشف لهم احتمال أن تطبق القواعد اللغوية الثابتة بالامتحان على لغات أخرى تشترك مع لغتهم في المبادئ المؤسسة لنظريتهم.[4] وهذا ما لم يكن ليكون في زمنهم لأن بناء النظريات كان نتيجة تأثر العلوم الإنسانية بعلوم المادة والطبيعة التي انبنت علومها على بناء النظريات وتعميم القوانين، فإن لم يستطع النحاة بناء نظرية عامة لكل اللغات فإنهم استطاعوا بناء نظرية نحوية خاصة بلغتهم.

ومع ذلك فإن قواعد النحو قامت على الوصف ولغاية واضحة حفظ اللغة من اللحن، لأن "معظم الدراسات اللغوية كانت تزامنية على الدوام، فنحن لا نستطيع في النهاية أن نتكلم، أو نكتب أو نقرأ لغة ما إلا كما توجد في لحظة زمنية والتاريخ الألسني الواقعي هو تاريخ حالات لغة متعاقبة.[5]وفي هذا دليل على أن قواعد اللغة هي وليدة وصف محدد بزمانه ومكانه.

---

[3] فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوسف عزيز، دار آفاق العربية، بغداد،1985، ص 104.

4محمد الأوراغي: الوسائط اللغوية–أفول اللسانيات الكلية، دار الآمان للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2001، ص 12.

[5] ليونارد جاكوسن: بؤس البنيوية–الأدب والنظرية البنيوية، تر: ثائر ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2008، ص 100.

ولكن ما اتصف به النحو الغربي القديم من صفات نسخها اللسانيون العرب المحدثون ووسموا بها النحو العربي وعلى أساسها زعموا أن النحو العربي سار على المنهج المعياري، لا ليبينوا مفهوم هذا المنهج ومميزاته وخطواته كما نجدها في أي منهج، بل اجتهدوا في البحث عن مظاهر المعيارية والتي اعتبروها دليلا على قولهم: إن النحو العربي اتخذ من المعيارية منهجا.

ولا يوجد اتفاق حول هذا المنهج كما سبق ذكره، واختلف الباحثون بشأنه فبعضهم يراه منهجا وآخرون لا يعدو عندهم أن يمثل اتجاها أو غاية الدراسة النحوية. ومن الذين اعتبروا المعيارية منهجا نجد علي زوين وقد عرّفه بمقارنته بالمنهج الوصفي في قوله: "المنهج المعياري بخلاف المنهج الوصفي قائم على فرض القاعدة أي يبدأ بالكليات وينتهي إلى الجزئيات. ولما كان المنهج الوصفي منهجا استقرائيا يعتمد المادة اللغوية أساسا لاحظنا أن المنهج المعياري يعتمد القاعدة أساسا وينأى عن الوصف ويتأوّل لِما خرج عن القواعد التي يصوغها بإحكام شتى التأويلات، أو يحكم عليها بالشذوذ والقلة إن لم يجد فيها تأويلا مناسبا ولو كان بعيدا أو مستغربا.[6] لقد انبنى هذا التعريف من بدايته على أن كل ما يخالف المنهج الوصفي يعد معيارية، وهذا تعريف سلبي لا إيجابي، لأنه لم يحدد المنهج المعيار بمميزاته وإنما وقف على ما ظهر للباحث أنه خلاف المنهج الوصفي.

وهذا التعريف لا يرقى لمستوى تحديد مفهوم المنهج لأنه لم يُوضح لنا طريقة المنهج المعياري في دراسة اللغة، واكتفى بأنه يعتمد القاعدة والتي في حقيقتها انبثقت عن الوصف، ووجود التأويلات لما خرج عن القاعدة لا يعني البعد عن الوصف، والشاذ لا يبطل القاعدة وإنما يثبتها.

مع أن علي زوين يقر بأن النحو العربي قد بدأ بالملاحظة والاستقراء في وصف اللغة إلا أنه انتهي إلى المعيارية مبينا أن هدفه وضع قواعد تضبط سلامة المتحدث لذا فهو يتبنى

[6] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1986 ،ص32.

الرأي القائل؛ إن النحو العربي نحو تعليمي، وهذا المنحى هو الذي أوصله إلى المعيارية إضافة إلى تأثره بالمنطق الأرسطي. ومن آثار المنطق في الدرس اللغوي عند العرب هو القول بالقياس والبرهان والعلل.

أما هادي نهر فلم يقدم تعريفا للمنهج المعياري، وإنما اكتفى بتحديد سيماته التي حصرها فيما يأتي:[7]

1. التركيز على المقولات النظرية، وتقنين القواعد، وسن القوانين والضوابط، التي تحكم الظواهر اللغوية. ولذلك طغى نحو (المقولات والأبواب) على (نحو الجمل) في الدرس اللغوي عند المتقدمين.
2. الأخذ بالأقيسة والعلل التعليمية، ومن ثم العلل الجدلية والمنطقية.
3. بروز مبدأ (الالزام) و(المنع) و(الجواز) في سنّ القواعد والقوانين اللغوية.
4. الأخذ بأوصاف (الشائع، والنادر، والقليل، والحسن، والقبيح) ونحوها في وصف المستويات اللغوية.

وكما نلاحظ لا يوجد تعريف واضح ودقيق للمنهج المعياري عند من يرونه منهجا، ولا واستطعنا أن نعرف خطواته، وإنما يكتفي أصحاب هذا الاتجاه بالاستشهاد على المعيارية بكل ما يرونه يخالف المنهج الوصفي القائم على ملاحظة اللغة كما هي في واقعها دون الحاجة إلى تفسير وتعليل لعلاقات عناصر بنيتها، فانحصرت مظاهر المعيارية في القياس والعلل ونظرية العامل والإعراب والتقدير.

هذا رأي من يرى في المعيارية منهجا، أما من يرى خلاف ذلك فهم بين فريقين؛ فريق لا يذكر هذا المنهج ضمن المناهج كرمضان عبد التواب في كتابه "المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث" فإنه حصر مناهج البحث اللغوي في ثلاثة مناهج هي المنهج الوصفي والمنهج

[7] نهاد نهر: البحوث اللغوية والأدبية – الاتجاهات والمناهج، والإجراءات، مرجع سابق، ص 46.

التاريخي والمنهج المقارن وما أشار حتى بالحديث عما يسمى المنهج المعياري.[8] وفريق يصرح بأن المعيارية ليست منهجا مثل تمام حسان في كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية"، فهي ليست منهجا لدراسة اللغة، وإنما تصور معين للغة يراعي المستعمل، فربطها بالاستعمال، واعترض على ربطها بالمنهج، في حين يرى الوصفية المنهج المناسب لدراسة اللغة، ذلك أن نشاط المتكلم معياري، ونشاط الباحث وصفي.[9] لذلك ربط بين المعيارية وبين الأمور الاستعمالية التي تحددت في القياس والتعليل والمستوى الصوابي.

"ويشير أحمد سليمان الياقوت إلى أنه لم يجد مصطلح (المنهج المعياري) واردا في المعجمات الأجنبية، بل وجد فيها (المعيارية) غير مقترنة بالمنهج وقد عرفت بأنها اصطلاح استعمله اللغويون لوصف أي اتجاه يهدف إلى وضع ضوابط الصحة للغة كما يجب أن تستخدم. والملاحظ أن التعريف استخدم كلمة اتجاه مع المعيارية وهي لا ترقى إلى مرتبة المنهج المتكامل.[10] وهذا الاعتراف الصريح بأن المعيارية لا يمكن أن ترقى لمرتبة المنهج، وما كانت منهجا عند الغرب حتى يستعيره الباحث العربي كما فعل مع كل المناهج، بل هي اتجاه يوضح الهدف من الدرس النحوي.

واعتبر محمود فهمي حجازي المعيارية سمة للنحو التعليمي لأن هدفه وضع ضوابط الاستخدام اللغوي الصحيح لأبنية المفردات والجمل، لذلك هو يختلف عن علم اللغة لأن هدفه البحث في اللغة أو اللغات بهدف كشف جوانبها المختلفة لا للحكم بالخطأ والصواب على الاستخدام اللغوي، لذا يرى أن بين العلمين اختلاف كبير باعتبار علم اللغة (اللسانيات) علما أساسيا والنحو علما تطبيقيا.[11] وسواء اعتبرت المعيارية سمة أو اتجاه، فإن النتيجة واحدة

رمضان عبد التواب: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997، ص181.[8]

تمّام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة المغرب، دط، دت ، ص5.[9]

نعمة رحيم العزاوي: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، مطبعة المجمع العلمي، العراق، دط ،2001، ص 154.

نقلا عن أحمد سليمان الياقوت: الكتاب بين المعيارية والوصفية، ص 17.[10]

محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر،2003، ص 42-43 [8]

وهي أنها ليست منهجا. وهذا ما يوضحه رأي عبد السلام مسدي في طبيعة الخلاف الذي قام بين المعيارية والوصفية، فردّه إلى غياب "الحقيقة التي خفيت على فقهاء اللغة وعلى كثير من اللّسانيين أنفسهم هي أنّ الوصفية والمعيارية لا تنتميان على صعيد فلسفة المعارف إلى نفس المنطلق المبدئي، ولا إلى نفس الحيز التصوري، فليستا من طبيعة واحدة حتى تتسنى مقارعة إحداهما بالأخرى فليس لزاما أن تقوم بينهما علاقة ما: من تواز أو تصادم أو تطابق."[12] فوصف الظاهرة اللغوية لا يتناقض أو يتصادم مع موقف الباحث في تفسير الظاهرة اللغوية وتعليلها.

وبناء على ما تقدم من أراء مختلفة بشأن المعيارية فإن النتيجة التي نتوصل إليها هي أن المعيارية لا يمكن اعتبارها منهجا، لعجز الباحثين عن ضبط مفهوم ما سموه منهجا معياريا، وإخفاقهم في الوصول إلى خطوات هذا المنهج، مما دعاهم للبحث عن مظاهر المعيارية من خلال انتقائية تبحث عن كل ما يتعارض مع المنهج الوصفي في النحو العربي كالقياس والتعليل والتقدير ...وغيرها

لم يكن صعبا إثبات مظاهر المعيارية في النحو العربي لأن قضايا النحو كانت محل نقد واختلاف منذ نشأته وهذا الاختلاف ساعد بعض الباحثين العرب في استثماره لهذا الغرض (معيارية النحو) فقضية العلل مثلا، قد رفضها ابن مضاء القرطبي وبين نقاط الضعف فيها ونادى بإسقاط العلل الثواني والثوالث، كما رفض القياس. لذا فمن اليسير أن يجد الباحثون العرب ما يدعم وصفهم وهذا ما سنراه بالتفصيل في مظاهر المعيارية.

ومما استشهدوا به على معيارية النحو تأثر منهجه بالفلسفة اليونانية خاصة منطق أرسطو، وهذا ما يعني لهم أن منهج النحاة لم يكن منهجا مستقلا بذاته، لذا نجد كثيرا من الباحثين تناولوا قضية تأثير الفلسفة في النحو مثلما هو عند مهدي المخزومي إذ انتقد تقسيم النحاة للزمن على أساس فلسفي، لأنهم اتبعوا فيه حركات الفلك وهذا ما جعلهم يواجهون

[12] عبد السلام المسدّي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2010، ص 206.

صعوبة تفسير استعمالات الفعل في غير ما خص به في زمان معين، كاستعمال الفعل المضارع بعد (لم) و(لما) بمعنى الماضي.[13] في قولنا: لم يكتب الطالب الدرس، ولما يذهب إلى الجامعة.

وفي السياق ذاته سعى تمام حسان لاثبات هذا التأثير الفلسفي بإرجاعه إلى تأثر النحاة بمقولة الزمن وهي إحدى مقولات أرسطو، وعدم وعيهم بالفرق بين الزمن الفلسفي والزمن النحوي، لذا جاء تقسيمهم المنطقي للزمن (الماضي والمضارع والأمر)، الذي لم يستطع أن يفسر الاستعمال اللغوي الفعلي في مثل قوله تعالى:﴿ وكان الله غفورا رحيما﴾ و﴿ إذا جاء نصر الله والفتح﴾ لأنهم اهتموا في تصنيفهم بالدلالة لا بالصيغة [14].

اعتبر تمام حسان الظروف التي هيئت للعرب الاتصال بالأجنبي والاستفادة من علومه بطرق مختلف سواء كانت عن طريق الترجمة أو المناظرات التي كانت بين علماء المسلمين ورجال الكنيسة، قد نقلت على حد تعبيره عدوى التفكير الأرسطوطاليسي الذي يمزج بين الدراسات اللغوية والدراسات المنطقية والميتافزيقية، خاصة ما تعلق بأصل اللغة والدراسات النحوية.[15] ويبدو له واضحا تأثر النحاة بالمقولات العشر لأرسطو (الجوهر والكم والكيف والزمان والمكان والإضافة والوضع والملك والفاعلية والقابلية) فهي أسس مبنية عليها الأشياء، فللشيء جوهر وكم وكيف وهو في زمان ومكان، ثم هو يفهم بالإضافة إلى شيء آخر، ويُدرك في وضع معين، وقد يكون مالكا أو مملوكا أو فاعلا أو قابلا.[16]

قدّم تمام حسان أمثلة عن الكلمة والجملة يشرح فيها ما تقدم، وعدّ أشد العبارات غلوا في المعيارية قول: " يجب كذا " لأنها توحي بأن من خالف ذلك فهو مخطئ، وسبب الخطأ طبعا لأنه لم يلتزم بالمعيار الذي وضعوه. ولقد توالت الدراسات حول تأثر النحو العربي

13مهدي المخزومي: في النحو العربي –نقد وتوجيه، دار الرائد العربية، لبنان، ط2، 1986، ص114.

[14]تمام حسان مناهج البحث اللغوي، ص 21.

[15] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1990، ص 17.

[16]المرجع نفسه، ص 18.

بالمنطق لا سيما منطق أرسطو سواء ما تعلق تقسيم الزمن أو بتصنيف أقسام الكلم، وغيرها من قضايا النحو العربي، لكن ما نجده عند عبده الراجحي وعبد الرحمن الحاج صالح يدحض هذا الافتراء، لأن النحو العربي وأصوله نشأ متأثرا بالدراسات الشرعية والعلوم الإسلامية، ولم يتأثر بالمنطق إلا بعد نضجه في الكتاب لسيبويه.

فقد بيّن عبده الراجحي أن أرسطو لم يتناول في كتبه المنطقية أقسام الكلم كما فعل سيبويه مباشرة ولم يعرضها في موضع واحد فيقال إنه كان يريد تقنين هذا التقسيم، بل ذكر الاسم والفعل في كتابه العبارة، وتحدث عنهما وعما سماه الرابطة في البلاغة والشعر، وكان أفلاطون من قبله قد فرّق بين الاسم والفعل فقط.[17] وتعجّب عبد الراجحي من انتشار فكرة التقسيم الثلاثي بأنه أرسطي، لأنه لا يوجد ما يعضده لا من الناحية التاريخية ولا بالمقارنة العلمية بين تقسيم سيبويه وتقسيم أرسطو.

وهذا أيضا ما أكده الحاج عبد الرحمن صالح في كتابه "**منطق العرب في علوم اللسان**" بعد مناقشته لمسألة تقسيم الكلم وفق ما جاء به أرسطو بأنها غير صحيحة وبعيدة عن الحقيقة على حد تعبيره بدليل اختلاف التقسيمين فالنحاة (اسم وفعل وحرف) والنص الأصلي لأرسطو وجد فيه الأقسام (الاسم والكلمة والرباط والفاصلة) وهو تقسيم رباعي لا يمكن مقابلته مع التقسيم الثلاثي عند النحاة؛ لأن الكلمة عند أرسطو ما يحمل على الموضوع ولا يدخل فيها إلا ما هو خبر وإنشاء. والحرف عند سيبويه هو ما جاء لمعنى ليس باسم ولا بفعل. وهذا لا يوجد عند أرسطو فكيف يمكن أن يكون حرف المعنى هو الرباط وحده وفي أنواع الحروف ما يتجاوز هذا القسم وهذه الأنواع الكثيرة أثبتها نحاة اليونانيون لا المناطقة، وقد أدمجوها مع الاسم والكلمة في أقسام ثمانية لا تطابق البتة مع أقسام نحاة العرب.[18]ويحتج عبد الرحمن الحاج صالح على بطلان قول تأثر النحو بالمنطق بحجة واقعية غير ما قدمه من حجج

عبده الراجحي عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، دط 1، 1980
[17]، ص 16.

[18]عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012، ص 75-76.

علمية دقيقة، تمثلت في عدم اعتراض النحاة واللغويون على هذا الأمر والإشارة إليه، فلو صح لمَ لمْ يذكره أحد سواء الخليل وسيبويه أو حتى شعوبي أو زنديق ممن عاش ذلك العصر؟ بل حتى الذين انتقدوا النحاة كالناشئ الكبير ما ذكر ذلك، فما الذي دعاهم لغض الطرف لو وجد فعلا هذا التأثير؟ فكل من عاش في القرون الثلاثة الأولى ما انتبهوا لذلك، وانتبه أبناء القرن الرابع عندما بالفعل حصل تأثير، وفي هذا دليل على أن هذا التأثر حدث متأخرا ولا علاقة له بما وجد في كتاب سيبويه.[19]

وكما ترى فما كان موضع ظن من أنه يمثل المعيارية تكتشف أنه موضع أصالة له ميزاته وأسبابه التي أنتجته، وحين يعجز الباحث عن فهم النظرية النحوية العربية والأسس التي قامت عليها، فلا ينبغي أن يعالجها بسطحية تعتمد على الانتقاص منها بردها إلى تأثر بالمنطق الفلسفي من دون دليل قاطع بل لمجرد شبهة تفتقر إلى دليل.

خلاصة القول ليس من السهل الحكم على النحو العربي بأنه نتاج المنهج المعياري لأن خطوات بنائه سارت وفق المنهج الوصفي، ثم جاءت مرحلة التعليل وهي تفسر كيفية بناء نظرية النحو، لأن ما تركه التراثيون ميراثا نحويا ضخما تعددت فيه الجهود بحيث أن المحدثين ظلوا يبحثون كلما عنّ لهم منهج جديد عن امتدادات له في التراث حتى جعلوا التراث النحوي قابلا لأن يؤسس بكل المناهج الحديثة.

في غياب الخطوات الإجرائية لما سُمي بالمنهج المعياري، والتي لم يذكرها أحد، فعلى أي أساس سنثبت أن النحو العربي تأسس على المنهج المعياري؟ وكل ما أثبته أنصار المنهج المعياري مظاهر المعيارية والتي لا يمكن أن تصبح خطوات إجرائية لدراسة اللغة، وعليه لا يمكن استخدام هذا المنهج المزعوم مثل باقي المناهج في البحث اللغوي، لأن المعيارية في النحو العربي كانت غاية الدراسة النحوية أو كما ذكر بعض الباحثين هي اتجاه سار عليه النحاة العرب.

[19] المرجع نفسه، ص 68.

الأعمال الموجهة:

وكما سبق بيانه في المحاضرة، بما أن المعيارية ليست منهجا فلا يمكن استنتاج خطوات إجرائية من خلالها نستطيع أن نطبقها على موضوع من موضوعات البحث اللغوي، وعليه فمنتهى ما نستطيع تطبيقه كتدريب في معرفة وفهم المعيارية هي أن نبحث عن تجلياتها في كتب النحاة. وأول كتاب بُرمج لهذا الدرس هو الكتاب المؤسس للنحو؛ كتاب سيبويه.

وعليه فعنوان البحث:

مظاهر المعيارية في كتاب سيبويه –تحليل نماذج من النصوص.

سنحاول من خلال النص المقتبس من كتاب سيبوية معاينة مظاهر المعيارية، وفي ذات الوقت سنقف عند الرأي الذي يدحض هذه المقولات. وقد اخترنا أول ما استفتح به سيبويه كتابه وهو:[20]

هذا باب علمِ ما الكلِمُ من العربية

فالكلم: اسم، وفعل، حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل.

فالاسم: رجل، وفرس، حائط

وأما الفعل فأمثلة من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون، ولما يقع، وما هو كائن لم ينقطع.

فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومَكُث وحُمد. وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا: اذهب واقتل واضرب، مخبرا: (يقتل) يذهب ويضرب.

فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة ستبيّن إن شاء الله.

والأحداث نحو الضرب والحمد والقتل.

وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم، وسوف، وواو القسم ولام الإضافة، ونحوها.

---

[20] سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1،ص12.

مظاهر المعيارية في النص:

لمعرفة مظاهر المعيارية في النحو العربي أو في أي كتاب من كتبه ،لا تحتاج إلى جهد كبير بل كل ما ينبغي فعله هو الوقوف على ما اعتبره الباحثون مظهرا من مظاهر المعيارية كما سبق ذكره مثل الحديث عن القياس والعلة والإعراب والتأثر بالمنطق الفلسفي والتقدير والتعليل والتأويل النحوي ، فإذا وجدت شيئا من هذا في كتب النحو فقد عثرت على المعيارية وعلى هذا الأساس سنبين لك مظاهر المعيارية في هذا النص المقتبس من كتاب سيبويه من منظور من يؤمن بذلك وسنأتي على إثرها الرد على هذه الآراء ولك بعدها أن تتبنى الموقف القائم على أقوى الحجج.

بناء على ما تناولناه في المحاضرة فإنه يبدو لنا واضح حسب ما ذهب إليه بعض الباحثين العرب المحدثين من تأثر النحو العربي بالفلسفة والمنطق اليوناني وهذا هو مظهر المعيارية في هذا النص المقتبس من كتاب سيبويه؛ كاعتبار تقسيم الكلم إلى ثلاث على أساس فلسفي وكذلك ما تعلق بالزمن، فسره مهدي المخزومي أنهم اتبعوا فيه حركات الفلك، وردّه تمام حسان إلى تأثر النحاة بمقولة الزمن وهي إحدى مقولات أرسطو، وعدم وعيهم بالفرق بين الزمن الفلسفي والزمن النحوي لذا جاء تقسيمهم المنطقي للزمن الماضي والمضارع والأمر، وهذا ما جعلهم يواجهون صعوبة تفسير استعمالات الفعل في غير ما خص به زمان معين ، كاستعمال الفعل المضارع بعد (لم) و(لما) بمعنى الماضي، مما يؤدي بهم للبحث عن تعليلات منطقية تستطيع أن تفسر هذا التناقض.

وكذلك هو الحال مع تقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف نسبوه إلى التأثر بتقسيم أرسطو وهذا غير صحيح كما أثبتناه بحجج وأدلة كل من عبد الراجحي وعبد الرحمن حاج الصالح.

إذ كان الرأي القائل بتأثر النحو بالمنطق والفلسفة مظهرا من مظاهر المعيارية لأن الاعتماد على المنطق لا يسمح بوصف اللغة كما هي في الواقع، بل يفرض عليه ما تقرر بمنطق الفلسفة الجاهز كما شرحناه من قبل. فإن عبده الراجحي يرى خلاف ذلك بل أثنى على

حسن ما افتتح به سيبويه كتابه، لأن معرفة الفصائل النحوية (أنواع الكلم) هي أساس العمل النحوي.

وهذا ما يوضح وعي سيبويه بالمنهج الذي سينتهجه في كتابه وهو البدء بالعموم ثم التدرج في الجزئيات، فاختار عنوانا منسابا لأول باب يبدأ به (باب **ما الكلم من العربية**)، وعنوان هذا الباب كان موضع إشادة وشرح من السيرافي.

إذْ بيّن ما يحمله العنوان من دلالات بدءا من استخدامه اسم الإشارة هذا، فحمله على ثلاثة أوجه، الأول أن سيبويه قد أشار إلى ما في نفسه من العلم الحاضر أي هذا ما بلغته من علم بالكلم، والثاني إشارة إلى منتظر قد عرف قربه كقولك هذا الشتاء المقبل أي هذا الذي سيأتيك علمه من هذا الباب، والوجه الثالث وضع كلمة الإشارة ليشير بها عند الفراغ مما يشير إليه، مثل: هذا ما شهد عليه الشهود، وكأنه يقول هذا ما انتهى إلي معرفته. واستخدم لفظ الكلم ولم يستخدم الكلام لأنه يدل على الكثرة، والكلم جمع كلمة ولم يقل الكلمات لأن الكلم أخف، ولأن الكلم اسم ذات والكلام مصدر، وجاءت "من" في قوله "من العربية " لدلالة على الجنس أي جنس العربية، من جهة ومن جهة ثانية ليبيّن أنه يتحدث عن بعض ما في العربية وهو الاسم والفعل والحرف وليس جميع ما فيها، ولذلك قال باب ولم يقل هذا كتاب.[21]

وكما نرى فما كان موضع ظن من أنه يمثل المعيارية نكتشف أنه موضع أصالة له ميزاته وأسبابه التي أنتجته، وحين يعجز الباحث عن فهم النظرية النحوية العربية والأسس التي قامت عليها، فلا ينبغي أن يعالجها بسطحية تعتمد على الانتقاص منها بردها إلى تأثر بالمنطق الفلسفي من دون دليل قاطع بل لمجرد شبهة.

وبناء على هذا النموذج المقدم الذي بحثنا فيه عما اعتبر مظهرا من مظاهر المعيارية في كتاب سيبويه وفق تصور اللسانيين العرب، فلم نجدها حقيقة ثابتة، بل وجهة نظر من

[21] سيبويه: الكتاب ج 1، مرجع سابق ، ص12.

غير دليل، وجدت منْ دحضها بالدليل. وعليه نصل إلى أن تتبع مظاهر المعيارية في النصوص النحوية في غياب خطوات إجرائية منهجية دلالة على أن المعيارية ليست منهجا.

أسس المعيارية في التراث اللغوي:

إن الباحثين الذين تبنوا المعيارية منهجا لم يكن بوسعهم أن يحددوا خطوات إجرائية لهذا المنهج ليبيّنوا إن كان صالحا لدراسة أية لغة كما هو الحال مع كل مناهج البحث، لذلك اتجهوا نحو البحث عما اعتبروه أسسا ومظاهرا للمنهج المعياري والتي بها يثبتون معيارية النحو، وحتى هذه الأسس والمظاهر غير متفق عليه فما سماه بعضهم أسسا كالباحث ريهان عبد المحسن منصور،[1] سماه غيره مظاهر كما هو الحال مع علي زوين، بل حتى حصر ما يندرج تحت الأسس والمظاهر مختلف بشأنه. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل أن المعيارية ليست منهجا كما توهموها.

لقد استدل الذين نسبوا المعيارية للنحو العربي –كعلي زوين –ببعض الأمثلة اعتبروها مظهرا للمنهج المعياري، وهي مرتبطة بأصول اعتمدها النحاة واللغويون في توجيه أفكارهم، وبما أنه اعتبر هذه المظاهر مرتبطة بالأصول التي وجهت تفكير النحاة، فهي ما يمكن اعتبارها أسسا للمنهج المعياري، تتمثل فيما يأتي: [2]

1. الأخذ من بعض القبائل واللهجات وترك قبائل أخرى ولهجات أخرى، وخاصة ما يتعلق بالمفردات والتصريف والتركيب، وأكثر القبائل التي أخذوا عنها: قيس وتميم وأسد، وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.

2. إدخال بعض المناهج التي عرفت التقسيم والتحديد على البحث اللغوي منها منهج علوم الحديث في بعض اصطلاحاته كالضعيف والمنكر والمتروك.

3. تقسيم الكلام – من حيث الاستعمال – إلى مطرد وشاذ وهما في حكم الاستعمال واحد أي إنّ كل من هما مستعمل موجود في لغة العرب وإن كثر الأول وقلّ الثاني.

---

[1] رهان عبد المحسن منصور: المنهج المعياري وأثره في الدراسات النحوية – دراسة وصفية، المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة أسيوط، مصر، م 19، العدد 64، 2017، ص 156.

[2] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 30-31.

4. التقدير والافتراض: القصد من ذلك تقدير جمل وافتراضها على أساس توجيه الكلمات المتضمنة فيها توجيها إعرابيا تفقد بموجبه الجملة أو الجمل تكافأها الدلالي فتخرج من حيز المعقول والمفهوم ففي جملة (زيد في الدار) يقدرون لها (زيد مستقر في الدار) أو (زيد استقر في الدار) على خلاف في ذلك. وألجأهم إلى هذا أن الجار والمجرور لا يصلح أن يكون خبرا وإنما متعلق بمحذوف هو الخبر، واختلفوا في هذا المحذوف أهو اسم أم فعل.

5.استعمال بعض القضايا في الشعر مخالفة للقواعد التي قررها النحاة كالضرورات الشعرية المعروفة من جر الساكن.

وكل هذه الأسس أو الأصول التي وجهت تفكير النحاة لها ما يبررها، فالأخذ من قبائل بعينها دون غيرها، لأنها ظلت محافظة على لغتها العربية الفصيحة كونها لم تختلط بغيرها من الأجانب. وفعلوا هذا من أجل أن يتمكنوا من تقعيد اللغة، لأنه لا يمكن بناء قاعدة على ما هو شاذ ولأجل ذلك قالوا الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه، أي أنه محفوظ المكانة ومعترف بفصاحته. ولا يعيب النحاة أخذهم من مناهج العلوم الشرعية وهي علوم عربية أصيلة. وكذلك اللسانيات فقد أخذت من مناهج علوم المادة والطبيعة، وما المنهج الوصفي إلا وجه آخر للمنهج التجريبي في العلوم الإنسانية. أما مسألة التقدير في النظرية النحوية فهو تفسير لقواعد النحو من أجل انسجام النظرية وعدم تناقضها.

ولنا في أراء عبد الرحمن الحاج صالح دليل على دحض كل ما ذكره الباحث واعتبره أسسا وجهت تفكير النحاة، منها: [3] أن هدف النحاة من كل الأحكام والأوصاف هو ليس تفضيل طرق في الكلام عن أخرى بل إثبات الطريقة التي اجتمع العرب على استعمالها والتنبيه على ما استقَل استعماله. وقد تحقق ذلك بفضل ما بذلوه من جهد في جمع المادة اللغوية وتصنيفها عبر أجيال متعاقبة حرصوا على استقصاء معطيات اللغة، وعليه فاستنباطهم لأصول اللغة موضوعي بُني على صحة المعطيات وكثرتها، لأنه انطلق من الملاحظة وليس

[3] عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص249-250.

من حدود ومعايير مسبقة أما فكرة أن النحو العربي معياري لأنه بني على الخطأ والصواب، وكأنه وحده علم النحو من تفرد بهذه السمة، وهي موجودة في كل العلوم القياسية كالرياضيات والحاسوبية . والصواب والخطأ في اللغة قائم على النظام الذي تبناه المجتمع للغته حتى يحسن التواصل بينهم، وعلى هذا الأساس يمكن التمييز بين من يتقن لغة ما ممن لا يتقنها. وأما القوانيين فمأخوذة من استعمال المتكلم

فمعيار النحاة موضوعي لأنه يخص لغة معينة ذات نظام معين وهي لغة أمة معينة نزل القرآن بلغتهم ولها حدود جغرافية معينة. فاختيار هذه اللغة بالذات للمحافظة عليها بالتدوين يعود إلى أسباب دينية اجتماعية لا دخل للعلم فيها، لأنه محض اختيار للمجتمع وحده ولا يوصف هذا الاختيار بالعلمي ولا بالتحكمي بل قد يكون فيه حكمة، أما التدوين نفسه والتحليل واستنباط قوانينها فهذا لا يكون إلا علميا محض إذا اتبعت فيه منهجية علمية.[4] وهذا ما أقره علي زوين بنفسه حين اعتبر أن النحو بدأ وصفيا وانتهى معياريا. وعليه فجمع اللغة من قبائل محددة لأنها تمثل لغة العرب الأصيلة الفصيحة التي لم تختلط بلغة الأعاجم، وليس إقصاء لغيرها من القبائل.

ما من لغة في الدنيا إلا ولها معيار ما دام هناك جماعة من الناس ينطقون بها، وليس العرب وحدهم من فعل ذلك بل النحو الهندي أيضا كان معياريا ومع ذلك اعتبر علما موضوعيا واعتمدوه في البحث لأن كل علم تجريبي يعتمد على شرطين أساسيين؛ أولا :الاعتماد على وسائل موضوعية لملاحظة الواقع، ثانيا: الحاجة إلى وسائل عقلية دقيقة لتحليل المعطيات وهذا ما يقتضي الأحكام التقريرية زيادة على الوصف، وبهذا كان النحو الهندي محل إشادة واستفادة مع أن غرضهم أيضا هو المحافظة على معيار لغتهم، فالغاية من الدراسة شيء واستخدام وسائل علمية لتحقيقه شيء آخر.[5] فالحكم بمعيارية النحو العربي هو نتيجة التأثر بالمنهج الوصفي واعتباره السبيل الوحيد لتحقق العلمية.

---

[4] عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص252.

[5] المرجع نفسه، ص246-247.

ويستمر عبد الرحمن حاج صالح في الرد على من حكم بمعيارية النحو العربي واستدل على ذلك بقول سيبويه، وغيره بأن هذا جيد أو حسن وذاك قبيح وأن هذا جائز وذاك لا يجوز وعليه اعتبروا أن النحو العربي ليس علما من الناحية الموضوعية، بل هو نحو تعليمي كما هو كذلك النحو التعليمي في سائر اللغات، والأمر خلاف ذلك، لأن موقفهم هذا نتيجة التأثر بالبنيوية إلى أبعد حد وليس حكما متجردا من كل حكم سابق، لذا تعسفوا باتخاذهم المذاهب الحديثة كمبدأ وكمنطلق يجوز الحكم على كل شيء بما تقرر فيها.[6] وما استحسان سيبوية واستقباحته لشيء، هو في الواقع مطابق للناطقين أنفسهم بدليل قولهم هذا كلامهم.

نستخلص مما تقدم أن الحكم على النحو العربي بأنه قد تأسس على أحكام معيارية؛ فاضلت بين القبائل التي تؤخذ منها اللغة، واستعانت بمناهج أسهمت في ترسيخ الأحكام المعيارية، عن طريق تصنيف السماع وتمييز بعضه عن بعض وكله من كلام العرب، مما دعاها للقول بالضرورات الشعرية والتقدير والافتراض. كل هذه التحليلات هي في حد ذاتها مجرد أحكام يصعب اثباتها على كل النحو العربي خاصة ما جاء في كتاب سيبويه لأنه وجد من يرد هذه الأحكام بأدلته العلمية، وهذا ما قدّمه عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه" منطق العرب في علوم اللسان" نقلنا لك بعضها، وإن أردت الاستفادة والتعمق فحتما لا يغني الاقتباس عن القراءة المستوفية لهذا الكتاب.

الأعمال الموجهة: مظاهر المعيارية في المقتضب للمبرد

على منوال ما رأيت من مظاهر المعيارية في نص من نصوص الكتاب لسيبوية حاول أن تتبين مظاهر المعيارية في هذا النص من كتاب المقتضب للمبرد. تبدو واضحة في هذا النص بإمكانك استخرجها وشرحها، متمثلة في: الإعراب، نظرية العامل، العلل، التعليل. وإليك النص:[7]

---

[6] المرجع نفسه، ص 246

[7] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، مصر، 1994، ص 80-81.

هذا باب إعراب ما يُعرب من الأفعال وذكر عواملها، والإخبار عمّا بُني منها

اِعلم أنّ الأفعال أدوات للأسماء تعملُ فيها، كما تعمل فيها الحروفُ الناصبة والجارة، وإنْ كانت الأفعال أقوى في ذلك.

وكان حدها ألا يُعرب شيء منها؛ لأن الإعراب لا يكون إلا بعامل. فإذا جعلت لها عوامَل تعمل فيها لزمك أن تجعل لعواملها عواملَ، وكذلك لعوامل عوامِلها إلى ما لا نهاية. فهذا كان حَدّها في الأصل.

والأفعال ثلاثة أضرب: فضرب منها يُعرب لعلة سأذكرها لك أوجبت له الإعراب.

وضربان لا يعربان. بل يجريان على ما يجب في الفعل قبل أن تلحق النوع الثالث العلة التي أوجبت له الإعراب.

فأما ما كان ماضيا من الفعل فنحو: ضرب يافتى، وانطلق، وحمد ، ومكَث، وما كان معناه(فَعَلَ) من غير هذه الأبنية فهذا النوع مبني على الفتح.

والضرب الثاني: وهو المعرب: ما لحقته في أوله من الزوائد الأربع:الهمزة، والياء والنون والتاء، وذلك قولك: أفعَلُ أنا، وتفْعلُ أنت أو هي، ونفعلُ نحن، ويفعلُ هو.

وإنما أعربت هذه الأفعال بعد أن كان حدُها على ما وصفت لك؛ لمضارعتها الأسماء ومعنى المضارعة: أنها تقع في مواقعها، وتؤدي معانيها فمن ذلك قولك: زيد يضرب، فيجوز أن تريد أنّه يضرب فيما يُستقْبلُ، ولم يقع منه ضربُ في حال خَبَرِك، كما تقول: زيد ضاربٌ الساعة، وضاربٌ غدا. قال الله عزّ وجلّ:﴿ وإن ربك ليحكم بينهم ﴾؛ أي: حاكم، فدخلتها اللام على معنى دخولها في الاسم.

مظاهر المعيارية:

لا يختلف المبرد عن غيره من النحاة في اعتقاده بأهمية الإعراب في ضبط سلامة اللغة وأهمية نظرية العامل في تفسير قواعد الإعراب، ودور التعليل في التدليل على صحة ما ذهبوا إليه من أراء.

الإعراب ونظرية العامل:

في هذا النص يؤكد المبرد على أصلية الأفعال في العمل، لأنها تعمل في الأسماء فترفعها وتنصبها، كما تفعل فيها الأدوات غير أن الأفعال هي أقوى في العمل لأنها الأصل، لذلك كان الأصل فيها البناء، فحركتها لا تأتي من عامل، بل هي التي تعمل في غيرها، ولو افترض وجود العامل في الفعل فسيقع النحاة في البحث عن عوامل العوامل إلى ما لا نهاية.

ونظرية العامل كما سبق الوقوف عليها انتقدت من قبل القدامى قبل المحدثين، وهي في حقيقتها نظرية تفسيرية لقواعد اللغة، لذا رفضها الوصفيون لأن عملهم في دراسة اللغة يتوقف عند حدود وصف نظام اللغة وكيفية عمله، والانتقال من الوصف إلى التفسير ليس من مهام اللسانيات، لأنها تسعى للإجابة على سؤال كيف؟ وليس عن سؤال لماذا؟ لذا وجب على اللساني (دارس اللغة) أن يكتفي بوصف ما يراه من عناصر، ويتوقف عمله عند حدود تقعيد اللغة واستنتاج القوانين التي تتحكم في نظامها وليس عليه أن يفسر أو يعلل هذه القوانين كما فعل نحاة العرب، لأجل ذلك اعتبرت نظرية العامل مظهرا من مظاهر المعيارية.

-**التعليل:** حين قرر النحاة أن الأصل في الأفعال البناء ثم وجدوا أن الفعل المضارع معربا، فكان عليهم حتى يبرروا هذا التناقض أن يستنجدوا بالتعليل والقياس لكل ما خالف أصول قواعدهم، لذا نجد المبرد هنا يعلل سبب إعراب الفعل المضارعة لمضارعته الاسم، أي مشابهته في وقوعه في مواقعها ويؤدي معانيها، مثال ما ساقه في قوله: زيد يضرب، فالضرب قد يقع عند سماع الخبر وقد يكون مستقبلا، وهو ما يشبه قولنا: زيد ضارب الساعة أو ضارب غدا، فالاسم والفعل هنا يؤديان المعنى ذاته. كما يُشْبه الفعل المضارع الاسم في كونه لا يعرف له زمن تحققه أفي الحال أم المستقبل، فإذا دخلت عليه السين وسوف أخرجته من الحال إلى الاستقبال، مثل: سأدرس وسوف أنجح بإذن الله. كذلك هو الاسم يكون نكرة فإذا دخلت الالف واللام عليه يصبح عرفه.[8]

[8] المبرد: المقتضب، ص 81.

القياس: يظهر القياس في نقل المبرد حكم الأسماء التي تختص بالإعراب إلى الفعل المضارع، فالمقيس هنا هو الفعل المضارع، والمقيس عليه هو الاسم والعلة هي المضارعة (المشابهة) وقد أشرنا إليها، وهذه هي أركان القياس مكتملة.

مظاهر المعيارية في التراث اللغوي

إن الذين زعموا أن المعيارية منهجا لم يستطيعوا تحديد خطوات هذا المنهج حتى يمكن الاستفادة منه بتوظيفه في البحث اللغوي، وكل ما قدروا عليه هو البحث عما بدا لهم أنه مظاهر للمعيارية على اعتبار أن المعيارية خلاف الوصفية أي كل ما يخالف المنهج الوصفي هو معياري.

وعليه فقد كثرت مظاهر المعيارية في النحو العربي، ومن المفاهيم التي صاغها الموقف المعياري للنحو العربي وأصبحت معايير للحكم على الظواهر اللغوية تذكر فاطمة بكوش: اللحن، الفصاحة، والسليقة اللغوية، والصواب والخطأ، والشذوذ، والاطراد، والغرابة، والجواز، والوجوب، والجودة والقبح، وقد طغت هذه المفاهيم من خلال جملة من الوسائل التي اعتمدها النحويون في التعامل مع المادة اللغوية، مثل: القياس والتعليل والتأويل وغيرها.[1]

فمن أهم المظاهر المعيارية التي نجدها عند الباحثين الذين سلطوا الضوء على معيارية النحو العربي هي: القياس، والتعليل، ونظرية العامل بما فيه الإعراب. ولكن لابد من الإشارة إلى أن النقد الموجه للنحو العربي يقابله نقد آخر يدحض تلك الآراء. سنعرض كليهما لنتبين الحقيقة في موضوع معيارية النحو العربي.

1-القياس:

القياس بالمعنى اللغوي التقدير، وهو مصدر قايست الشيء بالشيء مقاسية وقياسا، قدّرته، ومنه المقياس المقدار، وقد عرّفه ابن الانباري "هو حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع. "[2] لأن حكم الأصل معلوم معروف وحكم الفرع مجهول فأنت تقيس المجهول على المعلوم وهذا لوجود شبه أو علة بينهما وإلا فإنه لا يمكن نقل الحكم من دون هذا الشبه، وللقياس أربعة أركان (أصل وفرع وعلة وحكم). وقد قامت معظم أدلة النحو على

[1] فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ايتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004، ص 72-73.

[2] أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن أحمد الأنباري: الإغراب في جدل ولُمَعُ الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، لبنان، ط2، 1971، ص 93.

القياس، واستخدم في أغلب مسائله، ذلك أنه علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب وقد قال فيه الكسائي نظما شعريا مطلعه:[3]

إنما النحو قياس يُتبع وبه في كل أمر يُنتفع

أكد ابن الأنباري على إجماع أئمة الأمة من السلف والخلف على أن إنكار القياس هو إنكار للنحو لأنه شرط في رتبة الاجتهاد فلا يمكن الوصول إليها إلا بمعرفة قواعد النحو. لكن ما اعتبره الأوائل من أن القياس أصل من أصول النحو ولا يمكن للعلم أن يقوم دون أصوله يأتي الباحثون العرب المتأثرين باللسانيات الغربية ليقللوا من أهميته ويسعون إلى تحجيم دوره، واعتبروه ليس من وصف اللغة في شيء، بل هو من أكثر المظاهر وضوحا على أن المنهج الذي سار عليه النحو منهجا معياريا لأنه جعل من القياس معيارا للصواب والخطأ إذ يحملون الكلام الذي لم يقله العرب على ما قالوه من جهة وينقلون الأحكام على ما عرف في اللغة إلى ما استجد فيها.

لذلك اعتبر تمام حسان المنطق القياسي غير صالح للدراسات العلمية،لأنه يوجد القاعدة أولا ثم يفكر في ما يمكن أن يدخل تحتها على خلاف المنطق الاستقرائي الذي يستقصى المفردات أولا فيوجد الشراكة بينها ليتخذها نتيجة البحث أو قاعدته، واعتبر استقراء النحاة العرب استقراء ناقصا في ظل ظروف غير علمية سيطرت عليها فلسفة أرسطو، بل عمّم هذا الحكم على الفقه وعلم الكلام والبلاغة.[4] ولقد رفض القياس النحوي لأنه حسب زعمه غير مناسب للدراسات العلمية، ذلك أنه يفرض القاعدة ويجعلها معيارا يُقاس عليه الكلام أو تُنقل به الأحكام (من الأصل إلى الفرع). لكن زعمه هذا لا ينطبق على القياس عند النحاة، لأنه لا يختلف عما ذكره في المنطق الاستقرائي بل يتجاوزه. وادعائه أن القياس كان نتيجة التأثر بالفلسفة ومنطق أرسطو فكرة غير صحيحة، دحضها كثير من الباحثين من بينهم عبده الراجحي في كتابه" فقه اللغة في الكتب العربية."

---

[3] جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، دار البيروني، لبنان، ط2 ،2006، ص 89.

[4] تمام حسان: مناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص24 -25.

يرد عبده الراجحي على هذه الافتراءات المنقولة عن المستشرقين بقوله:"فالذي لا شك فيه أن الحد والقياس في النحو غير الحد والقياس في المنطق الصوري، وأن التعليل اللغوي غير التعليل الفلسفي، بالإضافة إلى أنه ليست هناك قرائن تاريخية أو مادية ترجح فكرة التأثر أو النقل. هذا إلى أن الشواهد تدل على أن العرب قد خالفوا المنطق الأرسطي ورفضوه، وأنشئوا لأنفسهم منهجا للبحث لا يبتعد كثيرا عما يسمى الآن بالمنهج التجريبي."[5] وأن اللغويين على وجه الخصوص كرهوا المنطق الأرسطي ورفضوا الاتصال به وخير دليل على ذلك مناظرة سعيد السيرافي ومتى بن يونس المنطقي.

إذا كان عبده الراجحي قد أثبت تاريخيا عدم تأثر القياس النحوي بالقياس الفلسفي فإن الحاج عبد الرحمن صالح أثبت اختلافهما من ناحية عمل كل واحد منهما، لأن القياس النحوي يختلف عن (القياس الفلسفي) ذلك أن هذا الأخير يُبنى على "علاقة اندراج شيء في شيء (مقول على كل واحد أو يوجد في كل) واضطرار النتيجة يتحقق باندراجها في الحد الأوسط وهذا في القضية الكبرى وبالتالي ضرورة انتماء المندرج فيه وهذا بعيد عن القياس الفقهي والنحوي لأنهما بُنيا على علاقة استلزام مباشر بدون اندراج فئة في فئة أخرى، بل بثبوت الموافقة والتكافؤ."[6] فالقياس عند أرسطو كما سبق وأن درسته في الفلسفة يتشكل من مقدمات فإن صدقت تصدق النتيجة مثال ذلك: كل أستاذ جامعي باحث ومحمد أستاذ وعليه فمحمد باحث.

فالقياس النحوي كما يراه عبد الرحمن الحاج صالح هو تكافؤ في البنية أو المجرى وليس مجرد شبه أو مجرد مجانسة ناتجة عن انتماء الشيء إلى جنس أو تطابقا بين شيئين يتحد هذا مع الآخر من كل جانب. وقد يستوي الشيئان في القياس مع اختلافهما، لذلك استبعد عبد الرحمن الحاج صالح التأثر بالمنطق الفلسفي، لأنه يبحث في الذوات وماهياتها، أما عمل النحاة فيبحث في كيفية تصرف وحدات اللغة أفرادا وتركيبا.

---

[5] عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1972، ص 173-174.

[6] عبد الرحمن حاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص 337.

والقياس النحوي؛" ليس اندراجا ولا انتماء بل هو تكافؤ في الموضع بين البنيتين وهو متجاوز للتكافؤ بالانتماء. لأن التكافؤ في الصيغة هو في المنطق الرياضي تلازم أي اقتضاء الشيء للشيء مع العكس (أ ⟺ ب) فكلاهما يقتضي الآخر (بالتناظر) وهذا هو أساس كل تكافؤ في البنية " [7]

فالقياس النحوي عند عبد الرحمن الحاج صالح ليس مجرد شبه لأنه تكافؤ وليس تناسبا بسيطا، ذلك "أنه لا يقتصر على التكافؤ الحاصل بين نسبتين فقط بل قد يتجاوز ذلك إلى التناسب بين البنى، وعلى درجات متتالية من التجريد، وهو في أعلاها التكافؤ الرياضي المسمى بالايزموفيزم لأنه تكافؤ تركيبي بين العمليات لا بين الذوات."[8]

وللقياس النحوي " دور عظيم لا في الكشف عن النظائر فقط بل أيضا في اكتشاف الوحدات اللغوية واثبات بنيتها أو مجراها وانتسابها بالتالي إلى باب نظائرها. وأكثر من ذلك إفادة هو قدرة القياس النحوي على اكتشاف تكافؤ التصرف أي التساوي البنيوي بيت تصرّف وحدة معينة وتصرف غيرها. وهذا مهم جدا لأنه يقتضي الاثبات لعمليات متكافئة دقيقة."[9]

وعليه فإن اللسانيين العرب المحدثين انتقدوا القياس بناء على قناعة راسخة لديهم وهي أن المنهج الوصفي هو المنهج العلمي الوحيد لدراسة اللغة وكل ما يخالفه ينتسب إلى المعيارية التي تفرض القاعدة وتطالب باتباعها، ولكن الحقيقة غير ما ذهبوا إليه لأن المناهج متعددة ومتجددة، لا تختصر في منهج واحد. وما لم يوافق منهجهم الوصفي، قد يوافق مناهج أخرى كما أثبته عبد الرحمن الحاج صالح.

2-التعليل: يعتبر التعليل مظهرا من مظاهر المعيارية، لأنه من تصورات الباحث وليس شيء موجودا في اللغة، ولم يتصوره الناطقون بهذه الظواهر إذْ نطقوا بها. مثال ذلك

[7] عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، من منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016، ص 262.

[8] عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص 337.

[9] المرجع السابق، ص 16.

تعليل سبب إعراب الفعل المضارع من دون بقية الأفعال لأنه يضارع أو يشابه اسم الفاعل في معناه ووقوعه موقعه؛ وذلك بدلالة دخول اللاّم المفتوحة عليه (لام الابتداء) فهذه اللاّم من خصائص الأسماء، والأسماء معربة، فلما صحّ دخولهما على الفعل المضارع، كان ذلك دليل على شبهه باسم الفاعل ولذلك أعرب.

وكذلك يشبه الفعل المضارع بالاسم في دخول السين وسوف عليه للدلالة على الاستقبال، تماماً كدخول الألف واللاّم على الاسم ليصبح معرفة، فالمضارع والاسم يقبلان لاصقة في أولهما تضيف معنىً نحوياً.

والتعليلات في المسائل النحوية عند تمام حسان ناتجة عن أثر المنطق في النحو العربي.[10] ومثال ذلك في العلل والأقيسة في النحو مما يجب أن يسقط في العلل الثواني والثوالث، مثل سؤال عن زيد لم رفع في قولنا (قام زيد) فيقال لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول لم الفاعل مرفوع، والصواب كذا نطقت العرب وثبت بالاستقراء من الكلام المتواتر.[11] ويضيف "ولقد كان تقسيم النحاة العلل إلى مُوجِبة ومجوزة فتحا لباب العبارات المعيارية التي حفلت به كتب النحو والصرف والبلاغة، فهذا مرفوع وجوبا وذاك منصوبا جوازا ويجب كذا ويجوز في ذلك الأمران."[12]

ولكن ما ادعاه تمام حسان من تأثر العلة في النحو العربي بعلل أرسطو غير صحيح، لأن علل أرسطو هي علل (أسباب) لوجود الجنس والفصل والنوع، ومجموعها يؤدي إلى معرفة ماهية الشيء لأن البحث عن العلة عند أرسطو ليس محاولة لربط شيء بشيء آخر لوجود علة بينهما بل هو البحث عن حقيقة الشيء عما هو في ذاته.[13] لكن العلة عند سيبويه هي طارئ على الشيء فإن غابت رجع الشيء إلى أصله، فالعلة هي سبب خروج عن حالة سابقة،

---

[10] تمام حسان: مناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص 16.

[11] المرجع نفسه، ص 24.

[12] تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000، ص54. [12]

[13] حاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص334.

وقد تكون خروجا عن القياس الجاري في الاستعمال أو خروجا عن قياس أصلي إلى قياس جديد، فالانحراف في جميع الأحوال هو انحراف عن الأصل وقد لا يكون هو الحد.[14]

هذا ما تعلق بإبطال تأثر علل النحاة بعلل الفلاسفة، أما لو نظرنا إلى العلة بمفهوم عبد الرحمن حاج صالح فإنه يرى أن علماء العربية قد استخدموا العلة في القياس للكشف عن التغيير المخالف لأوضاع اللغة في القياس والاستعمال، وهي أيضا محاولة إلى "إدماج كل ما هو حادث خارجي بالنسبة لوضع اللغة تسببه علة في وضع اللغة نفسه وذلك بإثبات علاقات تربط بين الوحدة المتغيرة بعلة وبين أصلها في الوضع. وهذه العلاقات جوهرها إجرائي فهي عمليات تحويلية تنطلق من الأصل وتفضي إلى الوحدة كما وردت في الاستعمال. ومجموع هذه العمليات المترتبة تكون حدا وقياسا مجردا يندمج فيه الأصل وفرعه العارض."[15] وهنا تصبح العلة تعليلا.

فالعلة عند النحاة الأولين هي فقط عامل الاضطراب أو التغيير لنظام وهي دائما عامل خارجي لا علاقة له بالنظام اللغوي نفسه.[16] لأنها بحث عن العوامل الخارجية المحدثة للاضطراب كالقلب والإعلال والحذف وهي ما يسميه النحاة القدامى العلل.[17]لأنها تحدث تغيرا يخالف القاعدة." فالأصل في الاستعمال هو ما اطرد، والأصل في القياس هو ما يقتضيه القياس، والأصل في الموضوع هو ما جاء في وضع اللغة، وقد لا يتحقق ذلك لعارض حصل في الاستعمال وهو العلة."[18] فالعلة تفسير لكل تغيّر يخرج عن القاعدة.

وعليه فإن إلقاء الأحكام من غير دراسة مستفيضة للموضوع لا يمكن قبولها بهذه البساطة لأنها تبتعد عن العلمية والموضوعية التي ظل الباحثون الوصفيون يتغنون بها.

---

[14] حاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص 331.

[15] عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، مرجع سابق، ص 255.

[16] عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، مرجع سابق، ص 332

[17] المرجع نفسه، ص 378

[18] عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، ص 241

3 -العامل:

يعرف الجرجاني العامل بأنه" ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب. والعامل السماعي: هو ما صح أن يقال فيه: هذا يعمل كذا وهذا يعمل كذا، وليس لك أن تتجاوز، كقولنا: إن الباء تجر ولم تجزم، وغيرهما. والعامل القياسي: هو ما صح أن يقال فيه: كل ما كان كذا فإنه يعمل كذا، كقولنا: غلام زيد، لما رأيت أثر الأول في الثاني وعرفت علته قست عليه: ضرب زيد، وثوب بكر. والعامل المعنوي: هو الذي لا يكون للسان فيه حظ، وإنما هو معنى يعرف بالقلب."[19] كالابتداء في جملة (الجو جميل) فما رفع المبتدأ هنا هو عامل معنوي، لذا ترتبط نظرية العامل بالإعراب لأنها جاءت لتفسر سبب وجود الحركة الإعرابية في آخر الكلمة.

ولأجل ذلك انتقدت على اعتبار أنه كان أولى أن يقال هكذا نطقت العرب، لكن النحاة وبغرض تيسير تعلم النحو حاولوا أن يجدوا تعليلات تساعد على معرفة لما ينبغي النطق بالكلام أو بالجمل على هذا النحو.

وأصبحت فكرة العمل النحوي المحور الذي دار عليه النحو العربي كله. وتقوم نظرية العامل حسب عبده الراجحي على فكرة إسلامية تنطلق من أنه لا يوجد شيء بدون موجد ولا مسبب بدون سبب، فكل ما يطرأ على الكلمة لابد وأن يكون له سببا سموه عاملا.[20]

لكن أنيس فريحة لا يراها إلا نتيجة التأثر بالمنطق الأرسطي متمثلا في فلسفة أرسطو اللغوية القائمة على العلة والمعلول، والعامل، والمعمول، والتقدير، والإضمار، وهذا ما يبدو للباحث واضحا في النحو العربي لأنه أيضا تأسس على منطق لكل علة معلول، ولكل عامل معمول، والتقدير والإضمار ومحاولة إيجاد منطقا للغة مع أن اللغة لا منطق لها ولا تخضع

---

[19] الشريف الجرجاني علي بن محمد: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، دت، ص 122.

[20] عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980، ص 19.

لقاعدة عامة، وهذا كان سببا في نشأة القواعد الفرعية والاستثناءات والشواذ مما فتح باب الاجتهاد والتأويل.[21]

ولقد انتقدت نظرية العامل من العلماء الأوائل قبل أن نتحدث عن اللسانيين العرب، مثل ابن مضاء القرطبي في كتابه (الرد على النحاة) بيّن في مقدمته سبب تأليف هذا الكتاب قائلا: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحو عنه، وأنبه على ما جمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا (ضرب زيد عمرا) أن الرفع الذي في زيد، والنصب الذي في عمرو، إنما أحدثه ضرب ، وذلك بيّن الفساد وصرّح بذلك أبو الفتح ابن جني وغيره."[22]ورده إلى المتكلم أما ابن مضاء فرده للمولى عز وجل، وقد ذهب هذا المذهب لأنه ظاهري النزعة فهو ينكر الرأي ما لم يستند إلى دليل على نحو ما ينكره الظاهرية في الفقه.

وعليه فلا نستغرب أن تنتقد نظرية العامل مرة أخرى ومنتقدوها ممن تبنوا المنهج الوصفي في دراسة اللغة لأنه يهتم هو أيضا بظاهر اللغة وما يمكن ملاحظته ولا يتعد الوصف حدود اللغة.

ومن الباحثين المحدثين الذين انتقدوا نظرية العامل وأرادوا أن يبطلوها ويثبتوا عدم أهميتها، مهدي المخزومي الذي اتهم سيبويه وتلاميذه بأنهم بعد تقعيد اللغة ترخصوا في "استخدام مصطلحات ليست من اللغة في شيء، كالعامل والمعمول، والناصب والجازم والجار، وغيرها مما مهّد السبيل للفلسفة الكلامية ولمنطق اليونان، بما لهما من قياسات ومصطلحات وتوجيهات، أن ينفذ إلى الدرس اللغوي، وتتم السيطرة لهما."[23] ليتأكد لديه أن الدرس اللغوي قد انحرف عن طريقه إلى درس ملفق غريب، ليس فيه من سمات الدرس اللغوي إلا مظهره وشكله على حد قوله.

---

[21] أنيس فريحة: نحو عربية ميسرة، مطابع الوطن، بيروت، دط، دت، ص 23-24.

[22] ابن مضاء القرطبي: كتاب الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1948، ص18.

[23] مهدي المخزومي: في النحو العربي – نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص 14.

لذلك رأى ضرورة إصلاح شامل لمنهج الدرس اللغوي وموضوعاته، لتخليص الدرس النحوي من منهج دخيل هو منهج الفلسفة الذي أنتج فكرة العامل، ولا يتحقق ذلك إلا بإبطال نظرية العامل مما يترتب على ذلك إبطال ما " يُبني عليها من تقديرات ممتحلة، وبطل كل ما عقدوا من أبواب أساسها القول بالعامل، كباب التنازع، وباب الاشتغال، ثم بطل كل ما انتهوا إليه من أحكام، كالقول بالإلغاء والتعليق، والقول بوجوب تأخير الفاعل عن الفعل، والقول بإعمال(ليس)، وأخواتها النافيات أعمال أفعال الكينونة، وبحمل (إن) وأخواتها على الفعل في الأعمال نصبا ورفعا، والالتزام بالحدود المنطقية التي تكلفوا في هذا الدرس، وأصروا على تطبيقهاعلى الموضوعات النحوية."[24]

وكما نلاحظ أن الدعوة لابطال نظرية العامل قديمة حديثة عند من لم يهتدي إلى أهميتها في تفسير النظرية اللغوية ، لأن أغلب اللسانيين العرب الذين انتقدوا نظرية العامل أخذوا بالمنهج الوصفي على أنه المنهج العلمي الوحيد لدراسة اللغة.

لكن مع ظهور النظرية التوليدية التحويلية رُد الاعتبار لنظرية العامل لتغير منهج الدراسة اللغوية الذي ظل ردحا من الزمن يتبنى المنهج الوصفي القائم على الملاحظة من دون تفيسير لقضايا اللغة، جاءت هذه النظرية لتثبت أن أسس النحو العربي مبنية على العلمية التي لها ما يفسرها لا كما اعتقد بعض الباحثين المتأثرين بالمنهج الوصفي أنها نتاج التأثر بالمنطق الفلسفي. وسنعود لقضية العامل في محاضرة (مظاهر المعيارية في الدرس اللساني الحديث)

لقد جعل عبد الرحمن الحاج صالح من مفهوم العامل أساسا لبناء المستوى التركيبي في اللغة العربية،لأن مستويات اللغة العربية حسب ما ورد في النظرية الخليلة الحديثة خمس مستويات (الصوت– الكلمة– اللفظة – التركيب– الصدارة) وقد توصل الباحث إلى هذه

[24] مهدي المخزومي: في النحو العربي – نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص 16.

المستويات بناء على قرائته الفاحصة والمتحررة من الأحكام المسبق، فنظر إلى النحو من الداخل لا من الخارج كما يفعل الجميع.

فتوصل إلى أن العامل هو ما يبنى عليه التركيب في قوله :"مفهوم العامل وما يعمل فيه لا تنحصر فائدته في كونه سببا للإعراب فقط بل أيضا وفوق كل شيء في كونه السبب لنشوء بنية الكلام وذلك بتخصيص لكل عنصر من عناصره موضعا معينا ومجموع هذه المواضع هكذا مرتبة في بنية الكلام يقع في أعلى مرتبة من التجريد لشموليتها"[25]

أما ما يؤكد أهمية هذه النظرية –ليس على مستوى النظرية اللسانية التراثية وحسب بل على مستوى اللسانيات الحاسوبية–ما قام به الباحث اللساني عبد الرحمن حاج صالح من تطوير صياغة نظرية العمل في نسخة جديد يمكن أن تسهم في المعالجة الآلية للغة. ومعها تغير مفهوم العامل فأصبح قائما على "مفهوم التبعية النحوية (Dependency Grammar) وقد استغل على نطاق واسع في اللسانيات الحاسوبية في أكثر المؤسسات المعنية بهذا العلم وقد بني على الفكرة بأن جميع الألفاظ في الكلام الطبيعي إما أن يكون تابعا لغيره محمولا عليه لا وجود له إلا بوجوده، وإما أن يكون هو المتبوع. وقد يمكن أن يكون متبوعا بالنسبة لهذا وتابعا لغيره. وهذه النظرية هي أقرب بكثير إلى نمط النحاة العرب وخاصة مفهوم العمل."[26]

وعليه بيّن الباحث من رسم الصياغة الخليلة للجملة في شكل شجرة مثل شجرة تشومسكي ولكنها تختلف عنها لأن التفريع في الصياغة العربية وإن كان توليديا مثل الشجرة إلا أنه "ليس صياغة لتجزئة الجملة إلى جزئين ثم كل جزء إلى ما تحته، بل هو توليد للعامل ومعموليه والمخصصات حسب البنية التي تبنى فيها ثم بيان لمحتوى كل كيان تركيبي (ع/ م1/ م2/ خ) في آخر التوليد."[27]

---

[25] عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، مرجع سابق، ص127.

[26] عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلة مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز –مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد 4، 2007،ص83.

[27] المرجع نفسه، ص49

لقد تميّز منهج الدراسة عند سيبويه ومن سار على نهجه حسب عبد الرحمن الحاج صالح؛[28] بالتمييز بين مستويين في دراسة اللغة بالنظر إليها كظواهر تمثل كلام العربيّ الذي نطق به، وهذا جانب استعمالي واجتماعي، وبين النظر إليها فيما تسلزمه العمليات لصوغ أو لتوليد الوحدات اللغوية فيما سموه بالحدود وهي ضوابط اللغة، فالنظر العلمي في الجانب الأول يشبه تماما النظر في الظواهر الفيزيائية والجيولوجية لا فرق بينهما إلا في المادة، وفي اللغة هي الظواهر الصوتية وظواهر الخطاب وكل ما يخضع لقوانين التواصل والبيان.

غير أن الباحثين من الغرب والعرب عجزوا عن إعطاء كل جانب حقه، وذلك بتغليب أحد الجانبين على الآخر وخاصة ضوابط قواعد اللغة وجعلها غير علمية، لأن العلم عندهم لا يكون تقريريا معياريا بالمعنى التعسفي.

وإلى هنا نصل إلى أن النقد الخارجي الذي لا ينظر للموضوع من الداخل، لن يستطيع أن يحيط بحقائق الموضوع. لذلك كثر انتقاد النحو العربي وأسسه التي انبنى عليها بناء على أن المنهج الوصفي يرفض هذا النوع من الدراسة، لكن هذا الرفض لا يعني أن النحو العربي ضل سبيله عن الدراسة العلمية، أو سار في اتجاه خاطئ كما توهم بعض الباحثين.

فما اعتبره اللسانيون المحدثون مظاهر للمعيارية لا يعني أن النحو العربي ابتعد عن العلمية نتيجة تأثره بالمنطق والفلسفة اليونانية كما زعموا، بل هو علمية بمنهج آخر لم يكن لهم معرفة به إلى أن ظهرت وانتشرت النظرية التوليدية التحويلية فتقاسمت مفاهيم كثيرة مع النحو العربي، تلك التي وصفوها بالمعيارية، لكنها عند التحوليين أسس نظرية جديد غيرت اتجاه البحث اللساني برمته، وهذا ما سنتناوله في المحاضرة المقبلة .

[28] عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلة مفاهيمها الأساسية، مرجع سابق، ص 4

الأعمال الموجهة: مظاهر المعيارية في الخصائص لابن جني

حاول أن تقف على مظاهر المعيارية في هذا النص المقتبس من كتاب الخصائص:[29]

باب فيما يرد عن العربي مخالفا لما علية الجمهور

إذا اتفق شيء من ذلك نُظر في حال ذلك العربي وفيما جاء به، فإن كان الإنسان فصيحا في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به، وكان ما أورده مما يقبله القياس، إلا أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان، فإن الأولى في ذلك أن يُحسن الظن به، ولا يُحمل على فساده.

فإن قيل: فمن أين ذلك له، وليس مسوّغا أن يرتجل لغة لنفسه؟

قيل: قد يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها وتأبدت معالمها.....فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح يُسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ، ما وُجد طريق إلى تقبل ما يورده، إذا كان القياس يعاضده؛ فإن لم يكن القياس مسوغا له ؛ كرفع المفعول، وجر الفاعل، ورفع المضاف إليه، فينبغي أن يُردّ، وذلك لأنه جاء مخالفا للقياس والسماع جميعا، فلم يبق له عصمة تُضيفه، ولا مُسكة تجمع شَعاعه."

مظاهر المعيارية:

وكما تلاحظ في موقف ابن جني من كلام العربي الفصيح الذي يتكلم بكلام لا يوافق فيه جمهور النحاة، فقد اشترط لحسن الظن به فقط لا لتجويز كلامه، أن يكون كلامه لا يخالف القياس، أو يمكن حمله من جهة ما يمكن تَقبل ما يورده كأن يكون من لغة قديمة بائدة ولم تعد تستعمل، ووحده هذا العربي من احتفظ بشيء منها.

أما إن خالف القياس بحيث لا يمكن إيجاد مخرجا لمخالفته كرفع المفعول وجر الفاعل، فهنا يكون قد جمع بين مخالفة القياس والسماع معا، وبالتالي لا يمكن قبول كلامه على أي حال من الأحوال، لأن ابن جني لم يجد له تعليلا به يجوز كلامه، وعليه فابن جني في موقفه

[29] ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، دت، ج 1، ص 385-387.

هذا يحتكم إلى القياس ويجعله الفيصل في إجازة كلام العربي الفصيح. هنا يظهر مظهر المعيارية في القياس الذي احتكم إليه ابن جني وجعله الفاصل في قبول كلام العربي الفصيح من رفضه حين اجتمع مع مخالفة السماع، مع أن العربي قد توفر فيه شرط الفصاحة الذي يتوجب في جمع المادة اللغوية إلا أن كلامه يُرد ما خلاف المعلوم من القياس، فقد أصبح القياس معيارا يقاس به ما يقبل من الكلام وما يرد.

وهذا ما يرفضه الوصفيون فهم يعتبرون أن كل كلام العربي هو من لغته سواء وافق القياس أو خالفه وسواء قل الاستعمال أو كثر.كما أن حديث ابن جني حول رفض كلام العربي إنْ خالف قواعد اللغة كرفع المفعول وجر الفاعل، هو أيضا مظهر للمعيارية لأنه جعل الحركة الاعرابية ونظرية العامل معيارا لقبول كلام العربي أو رده، فابن جني لا يقبل كلام العربي مادام يخالف قواعد الإعراب.

"قال أبو إسحاق في رفع الفاعل، ونصب المفعول: إنما فُعل ذلك للفرق بينهما، ثم سأل نفسه فقال: وذلك أن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرفع الفاعل لقلته، ونصب المفعول لكثرته، وذلك ليقل في كلامهم ما يستخفون. فجرى ذلك في وجوبه، ووضوح أمره، مجرى شكر المنعم ...."[30] يتفق ابن جني مع رأي أبو إسحاق في تعليل رفع الفاعل ونصب المفعول به، وهذا النوع من التعليل يرفضه الوصفيون لأنه مجرد رأي يفترض في اللغة ما لا يمكن أن نثبته من خلال نظامها.

وكان على النحاة أن يقولوا هكذا نطقت العرب ولا حاجة لكل هذه التفسيرات التي لا تقدم وصفا لنظام اللغة، وإنما تبحث عن المبررات والأسباب التي جعلت اللغة على هذا النحو، وهذا النوع من البحث يرفضه الوصفيون لأن السؤال في الوصف يطرح كيف تعمل اللغة، وليس لماذا تعمل اللغة بهذا الشكل.

[30] ابن جني: الخصائص، ج 1، ص 49.

نص للتحليل: اشرح مظاهر المعيارية في هذا النص: [31]

باب ذكر الفرق بين العلة الموجبة، وبين العلّة المجوِّزة

اعلم أن أكثر العِلَل عندنا مبناها على الايجاب بها؛ كنصب الفضلة، أو ما شابه في اللفظ الفضلة، ورفع المبتدأ، والخبر، والفاعل، وجرّ المضاف إليه، وغير ذلك، فعِلَل هذه الداعية إليها، غير مقتصَر بها على تجويزها؛ وعلة هذا مقاد كلام العرب. وضرب آخر يسمى علّة، وإنما في الحقيقة سبب يجوِّز ولا يوجب. من ذلك الأسباب الستة الداعية إلى الإمالة، هي علة الجواز، لا علة الوجوب، ألا ترى أنه ليس في الدنيا أمر يوجب الإمالة لابد منها، وإن كل مُمَالٍ لعلة من تلك الأسباب الستة لكان تترك إمالته مع وجودها فيه، فهذه إذا علة الجواز لا علة الوجوب.

[31] المرجع السابق، ص 164

مظاهر المعيارية في الدرس اللغوي الحديث:

إذا انطلقنا من مفهوم المعيارية الذي تبناه اللسانيون العرب المحدثون والذي تأسس على مقابلة بين منهج النحو العربي والمنهج الوصفي، الذي جعلوه المنهج العلمي الوحيد القادر على وصف اللغة كما هي دون أن يفرض الواصف على اللغة ما ليس فيها أو يتأول ما لا يمكن أن ندركه بالملاحظة على مستوى بينة التراكيب، مما جعلهم يعيبون التقدير والتعليل اللغوي ونظرية العامل فضلا على تأكيد الأثر السلبي لتأثر النحو بالفلسفة والمنطق، فإن النظرية الحديثة التي تنطبق عليها بعض مظاهر المعيارية بهذا المفهوم هي النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها تشومسكي، الذي انتقد المنهج الوصفي لقصوره فهو لا يستطيع أن يفسر كيف تحدث اللغة كما أن الاعتماد على الاستقراء يراه غير ممكن مادامت اللغة تختص بالإبداعية، وعليه فقد عاد إلى المنهج العقلاني في دراسة اللغة واستفاد من النحو التقليدي.

1-مظاهر المعيارية في مبادئ وأسس النظرية التوليدية التحويلية:

1-1-المرجعية الفلسفية للنظرية التوليدية التحويلية:

تأسست هذه النظرية على فرضية أن اللغة فطرية يولد بها الإنسان وهو مزود بجينات مسؤولة عن إنتاج اللغة، واستدل تشومسكي على صحة فرضيته بالمدة الوجيزة التي يتعلم فيها الطفل لغته من دون الحاجة إلى تعلم، لذلك يتعلمها كما يتعلم المشي ودون الحاجة إلى مساعدة، وبما أن اللغة فطرية فحتما تحكمها قواعد كليه مشتركة بين الجنس البشري، وهو ما سماه بالنحو الكلي وفي ذلك يقول تشومسكي "ويمكن النظر إلى النحو الكلي على أنه تحديد لسمات ملكة اللغة المحددة جينيا، كما يمكن النظر إلى هذه الملكة على أنها أداة اكتساب اللغة A language Acquisition Device ، أي مكون فطري من مكونات العقل الإنساني يؤدي إلى إيجاد لغة خاصة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة، فهي أداة تحول التجربة إلى

نظام مكتسب من المعرفة أي إلى معرفة لغة أو أخرى." [1] فتحديد قواعد النحو الكلي هو هدف النظرية التوليدية التحويلية.

وبما أن اللغة ملكة محددة جينيا فإن المنهج الوصفي غير قادر على دراستها لأن " دراسة اللغة كما يراها تشومسكي لا ينبغي أن تتوقف عند المنهج الوصفي باعتباره (مستقلا) لا يتجاوز حدود المادة المباشرة، وإنما ينبغي أن تعيننا الدراسة على فهم (الطبيعة) البشرية."[2] وعليه فإن دراسة اللغة أصبحت وسيلة لدراسة الطبيعة البشرية.

هذه النظرية التي غيرت مسار الدراسات اللسانية من دراسة اللسان البشري في ذاته ولذاته إلى دراسة اللغة من أجل فهم عمل الدماغ البشري، فأصبحت الدراسة اللغوية حسب محمد الأوراغي وسيلة لمعرفة التركيب البنيوي للدماغ البشري، وبهذا يكون تشومسكي " قد رجع باللسانيات الغربية إلى سابق عهدها قبل سوسير، حين كان البحث في اللغة وسيلة لتحقيق أهداف سياسية واجتماعية ودينية، أو لاقتناص معرفة تخص بنية العالم الخارجي أو الذهنية القومية لأجناس بشرية."[3] وعليه فإن نظرية تشومسكي تلتقي مع النحو العربي القديم في كونها اتخذت اللغة وسيلة لدراسة الدماغ البشري كما اتخذ العرب النحو وسيلة لضبط سلامة لغة المتكلم، أي أن كليهما يخالف مبدأ دي سوسير في تحديده للسانيات وهي دراسة اللغة لذاتها ولأجل ذاتها.

وحين يتغير مسار اللسانيات يتغير معه أيضا منهج الدراسة فالمنهج الوصفي غير صالح هنا وسيعوض بمنهج الفرض والاستنباط الذي يعتمد على المنهج العقلاني، لأن فكرة استقلالية الدرس اللغوي وعلميته التي تغنى بها الوصفيون لا تقدم شيئا يتصل بالإنسان باعتباره إنسانا،

---

[1] نوم تشومسكي: المعرفة اللغوية –طبيعتها وأصولها واستخداماتها، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1993[1]،ص53.

[2] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس اللساني الحديث، مرجع سابق، ص 112.

[3] محمد الأوراغي: نظرية اللسانيات النسبية، دار الأمان، المغرب، ط1، 2010، ص 144.

إنما توجهت إلى الوصف الآلي هروبا من التأويلات الميتافيزقية.[4] لتصل بالدراسة الوصفية إلى طريق لا يمكنه أن يخبرنا بشيء جديد عن اللغة غير ما نراه في بنيتها الشكلية الظاهرة.

لذلك اتجه تشومسكي إلى الاستفادة من مختلف العلوم لبناء نظريته كالفلسفة والمنطق والرياضيات؛ ففكرة أن الدماغ البشري يحوي أفكارا تصورية عن اللغة مصدرها بنيات ذهنية فطرية تمثل قواعد نحوية كلية فيه، هي فكرة فلسفية تعود في جوهرها الأصلي إلى ديكارت، الذي ربط بين اللغة والعقل، وظهر هذا التأثر جليا في كتابه اللسانيات الديكارتية.[5]

لقد تبنى تشومسكي العقلانية حسب مصطفى غلفان كأساس للتفكير اللساني الجديد، وهي" تأخذ منطلقاتها من قضية علاقة اللغة بالفكر بكل ما تحتويه العلاقة الشائكة من إشكالات، مثل انفراد الكائن البشري باللغة، وتميز اللغة بالإبداع عند المتكلم وآليات اكتسابها بشكل كلي."[6] ولا يُخفي تشومسكي هذه المرجعية بل يصرح بها، وبما فيها من أفكار انبثقت عن فلسفة ديكارت، ونحو بورويل وآراء ويليام فون همبولت، أحيا من خلالها أسئلة قديمة عن اللغة في محاولة منه لتقديم إجابات جديدة.

فهل انطلاقة تشومسكي من مرجعية فلسفية عقلانية تختلف عن الوصفية، وتأثرها بمرجعيات فلسفية متنوعة ستجعل اللسانيون العرب يصفون النحو التوليدي التحويلي بالمعيارية كما وصفوا النحو العرب؟ طبعا لم يفعلوا ذلك، لكن إنْ كانت المعيارية هي التأثر بالمنطق والفلسفة فحتما هذه النظرية هي التي تمثل المعيارية الحديثة في أوضح مظاهرها، سنقف عند بعضها.

1-2-مظاهر المعيارية في منهج النظرية التوليدية التحويلية: كان لتغيير وجهة البحث اللساني ما يبرره عند أصحاب هذه النظرية منها أن؛ "مرحلة التصنيف والوصف قد

---

[4] المرجع السابق، ص112.

[5] مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية-من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص5

[6] المرجع نفسه، ص 205.

بلغت مرحلة الكفاية، ذلك أن الوقوف عند حدود التصنيف والوصف لا يحل المشاكل اللغوية الضارب في العمق كمعرفة المتكلم بلسانه وكل الحدوس المرتبطة بالمعرفة. فهي مشاكل تتطلب مقاربتها درجة عالية من التجريد والصورنة، حيث لا سلطة للواقع العيني والمعطى التجريبي. وهذا ما يدعو لضرورة بناء نظرية لا تتوقف عند ما هو موجود بل تتجاوزه إلى ما يمكن أن يوجد."[7] فكانت نشأة دراسة النحو التوليدي نتاج التقاء التقليدين الفكريين البنيوي والتقليدي مع دراسة الأنظمة الصورية.[8] لتخرج هذه النظرية في صياغة رياضية صورية سمحت لها أن تعالج اللغة آليا.

وهذا ما تهدف إليه اللسانيات التوليدية، وهو أن تصف "ما يعرفه الكائن البشري (دون وعي منه في الغالب) معرفة تجعله قادرا على تكلم لغة طبيعية، وتوصف هذه المعرفة بواسطة نحو، وهو عبارة عن مجموعة متناهية من المبادئ الصورية التي تصف إجمالا المجموعة اللامتناهية من الأبنية التي يحكم المتكلم بكونها تكون جملا ممكنة في اللغة."[9] ولكي يتحقق هذا الوصف اعتمد تشومسكي على منهج الفرض والاستنباط الذي ينطلق من تصور علمي قائم على فكرة أن تطور العلوم مرهون بوضع فرضيات كلية وشاملة ثم التحقق منها على ضوء المعطيات الواقعية، بغية الوصول إلى تفسير كلي مقبول.[10] وبالفعل افترض تشومسكي وجود نحو كلي بإمكان قواعده أن تمكّن أي إنسان من تعلم أيه اللغة تلقاها من بيئته، وانطلاقا من هذه الفرضية عمل على استنباط هذه القواعد وتفسير كيفية عملها.

فالمنهج الاستنباطي يُنتقل فيه الاستنتاج من الكل إلى الجزء، فهو يعمل عكس المنهج الوصفي القائم على الاستقراء؛ والذي يُنتقل فيه الاستنتاج من الجزء إلى الكل، ويبدأ الاستنباط من القواعد الكلية، وعلى أساسها تستنبط القواعد التي تنطبق على الجزء. ويعتبر المنهج

---

[7] محمد محمد العمري: الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية–البنيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012. ص 39.

[8] نوم تشومسكي: المعرفة اللغوية، مرجع سابق، ص 91.

[9] راي جاكندوف: علم الدلالة والعرفانية، تر: عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، تونس، 2010، ص 54.

[10] غلفان مصطفى: اللسانيات التوليدية، مرجع سابق، ص 210.

الاستنباطي شكل من أشكال المنطق، "لأن الاستنباطinduction يبدأ من مقدماتٍ كلية، ويهبط منها إلى نتائج جزئية تلزم عنها بالضرورة، ينتقل من الكل إلى الجزء بغير حاجةٍ إلى تجريب، أما الاستقراء فهو استدلال صاعد، ينتقل من الجزء إلى الكل، فيبدأ من ملاحظة جزئياتٍ تجريبية، ليصعد منها إلى صيغةٍ كلية على هيئة قانون كلي عام، يحكم جميع الحالات المتماثلة أينما وقعت ووقتما وقعت."[11]

ويبدأ هذا المنهج ببيان عام أو فرضية معينة، ومن ثم يقوم الباحث بدراسته كي يستنبط منطقيّا ورياضيّا النتائج الجزئية التي تلزم عنه، فيقابل الباحث بين النتائج المستنبطة من الفرض وبين وقائع التجريب، إن اتفقت معها تم التسليم المؤقت بالفرض، وإن لم تتفق يتم تعديله أو الاستغناء عنه والبحث عن غيره.[12] ويستخدم هذا المنهج فكرة مراقبة الشواهد وذلك للتأكد من صحة النظريات.

ومع ذلك ما انتقد اللسانيون العرب منهج هذه النظرية، وما وصفوه بالمعيارية كما فعلوا مع النحو العربي، رغم مناقضته التامة للمنهج الوصفي.

1-3-المعيارية في النحو الكلي:

يمكننا وحسب مفهوم المعيارية الذي تبناه بعض الباحثين العرب أن نرى مظهر المعيارية واضحا في الفكرة القائلة بوجود النحو الكلي، لأنها تفترض أن اللغات تشترك في مجموعة القواعد الأساسية التي تسمح للفرد من امتلاك لغة معينة راسخة فيه بالفطرة أي تولد معه. فالنحو الكلي هو" نظرية اللغات الإنسانية المبنية داخليا، على أنه نظام من القيود مستقى من الموهبة البيولوجية الإنسانية التي تحدد هوية اللغات المبنية داخليا التي يمكن الوصول إليها إنسانيا تحت الظروف العادية."[13] وقد رفض بياجيه افتراض تشومسكي المتعلق بالفطرية؛ لأن وجود بنيات فطرية أولية لا يسمح بتفسير عملية اكتساب اللغة عند الطفل تفسيرا معقولا وواقعيا،

---

[11] يمنى طريف الخولي: مفهوم المنهج العلمي، مرجع سابق، ص 61

[12] المرجع نفسه، ص 81-82.

[13] تشومسكي: المعرفة اللغوية، مرجع سابق، ص 82.

لأنه لا يتم دفعة واحدة كما توحي به فكرة البنية الجاهزة، وهي ليست جهازا قائما بذاته، وحتى لو تم التسليم بوجود هذا الجهاز، فإنه لا يمكن استخدامه إلا بعد النضج الفكري.[14] واكتساب اللغة عند بياجيه يرتبط بمراحل النمو المعرفي والجسماني عند الطفل، وبالوظيفة الرمزية.

لذلك اعتبر محمد الأوراغي هذا الطرح مصدر الخلل في منهجية تفكير شومسكي؛ لأنه أسس نظريته على الفرضية الطبيعية التي تقول باشتراك كل اللغات في قواعد كلية مما سمح له بأن يُعمم قواعد ما في إحدى اللغات (الانجليزية خاصة) إلى جميعها ليعتبر من قبيل التعميمات النظرية غير المدعومة مراسيا، أي لم يختبرها في الواقع اللغوي لجميع اللغات، وليس من العلم في شيء الحكم على بعض اللغات بالشذوذ، إنْ توفرت فيها وقائع مخالفة لتكهنات نظرية النحو الكلي.[15] وعليه فالفكرة الأساس التي انبنت عليها نظرية تشومسكي وهي كلية القواعد التي تفرض على جميع اللغات هي مظهر من مظاهر المعيارية التي صاغت قواعد كلية عامة تفرضها على كل اللغات.

مع أن فطرية اللغة مجرد افتراض لا يحيل على الواقع، فما قاله اللسانيون عن اللغة ليس سوى ما يعرفونه وليس هو اللغة.[16] وعليه فإن مبدأ فرضية فطرية اللغة الذي تأسست عليه نظرية تشومسكي غير مثبت علميا بواسطة التجربة، واعتبره محمد الأوراغي اعتباطيا لأن الأدلة التي ساقها تشومسكي غير كافية، لأن نتصور عقل الإنسان علوما نسقية أولية، توجد مرقونة في نسيج الخلايا الذهنية، وهي لا تتعلم ولا تكتسب، وإنما تورث بيولوجيا.[17] مع أن البيئة اللغوية هي أساس اكتساب اللغة وفي غيابها لا تنفع الإنسان بنيته الفطرية، وقد ثبت هذا من خلال حالة الطفلة ألكس التي أهملاها أبواه وتركاها بعد أن بلغت السنتين لتعيش مع الكلاب، فكان أن تعلمت النباح وسارت على أربع وتقفز وتجري مثل الكلاب. فتجربة ألكس

---

[14] مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة – تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ليبيا، ط1، 2010، ص 38.

[15] محمد الأوراغي: نظرية اللسانيات النسبية، مرجع سابق، ص151-152.

[16] محمد محمد العمري: الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية-البنيوية والتوليدية، مرجع سابق ص41.

[17] المرجع السابق، ص 153.

تثبت أن اللغة والمشي على حد سواء يحتاج إلى بيئة تعلمية، لأن الطفل ألكس فقدت كل ما تعلمته وأصبحت تحاكي الكلاب في كل شيء، وقد صعب عليها تعلم اللغة بعد أن عُثر عليها.

وتظهر المعيارية واضحة أيضا في رؤية تشومسكي لما يجب أن تقوم به النظرية اللغوية وهو توجيه " تحليل مقدرة المتكلم على إنتاج الجمل التي لم يسمعها من قبل، وعلى فهمها وإدراك الصواب من غير الصواب قياسا على قوانين النحو في اللغة التي يتكلمها، ويجب أن توجه كذلك إلى وضع قواعد التي تحدد كيفية إنتاج اللغة، التي هي ميدان بحث اللغوي."[18] فقد كان هدف التحولين تعيين القواعد النحوية الكامنة وراء بناء الجملة، لتحديد أي نوع من سلاسل الكلمات تشكل جملا وأيها لا يشكل جملا.[19] فقواعد النحو هنا أيضا ضرورية لمعرفة الصواب والخطأ.

ويرى تشومسكي أن هدف التحليل اللغوي هو الفصل بين " الجمل النحوية في اللغة المعنية عن الجمل غير النحوية، وأن يشير إلى بنية الجمل النحوية. فنحو لغة ما إذن هو وسيلة لتوليد كل الجمل النحوية ...فالنحو التوليدى ليس في الأساس شيئا آخر غير تخصيص دقيق لمفهوم جملة صحيحة نحويا في اللغة ل"[20] ويتم ذلك عن طريق التركيب النحوي للغة الذي "يقوم على أساس من القواعد البنيوية (ب) التي تولد البنية المقدرة الأصلية، ومن ثم تأتي مهمة القواعد التحويلية (ح) فتخضع البنية الأصلية إلى عدة تغيرات حتى تفضي بها إلى البنية الظاهرة. فاستنادا إلى البنيات المقدرة يتعين التمثيل الدلالي بواسطة مطالب دلالية (د) وأما البنية الظاهرة فغايتها أن تتلقى قواعد (ص) تعطيها التمثيل الصوتي."[21] هذا ما يفترضه

---

[18] خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها–منهج وتطبيق، عالم المعرفة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984، ص 53.

[19] رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، مرجع سابق، ص 187.

[20] جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2003، ص 477.

[21] عادل فاخوري: اللسانيات التوليدية والتحويلية، دار الطليعة، لبنان، ط2، 1988، ص 32.

تشومسكي لإنتاج اللغة بواسطة البنية العميقة وهي تمثل البنية الأصلية للكلام، والبنية السطحية الظاهرة التي تمثل الأداء أو الإنجاز.

فالبنية العميقة هي "الأساس الذهني المجرد لمعنى يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التركيب رمزا لذاك المعنى وتجسيدا له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة فيها."[22] أما البنية السطحية فهي " الكلام المنطوق المرتبط ارتباطا وثيقا بالقواعد التحويلية في اللغة، فبها يتم انتظام الكلمات في جمل يعبر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة "[23] لقد سعى تشومسكي من خلال نظريته إلى " تشكيل مجموعة من المعايير يمكن على ضوئها البت في مدى سلامة صيغة نحوية معينة وتفضيلها على سواها من الصيغ بهدف وصف المعطيات اللغوية."[24]

بناء على ما تقدم فإن نظرية تشومسكي حسب معايير اللسانيين العرب المحدثين قد سارت على بعض خطى المعيارية الأولى للنحو العربي، في محاولة لوضع قواعد كلية تضبط كيفية إنتاج اللغة من خلال قواعد البنية العميقة، ومحاولة تفسير البنية السطحية من خلال قواعد التحويل. فهي لم تكتف بالوصف بل عملت على تحقيق الكفاية التفسيرية، من خلال عدة نظريات.

2-مظاهر المعيارية في اللسانيات الكلية:

2-1-نظرية الربط العاملي:

تبلورت نظرية الربط العاملي عام1981م، لتُؤكد مقولة العامل في اللغة، هو الفعل، أما عامل الفاعل فهو "الصرفة"، التي تتضمن صفات المطابقة والزمن والجهة .تقوم نظرية الربط العاملي على " أن العنصر α يربط العنصر β إذا ما كان العنصر الأول يتحكم مكونيا في

[22] خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها-منهج وتطبيق، عالم المعرفة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984، 58

[23] خليل عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، مرجع سابق، ص 58-59.

[24] جون ليونز: تشومسكي، تر: محمد زياد كبة، النادي الأدبي، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط،1987، ص 32.

العنصر β ويشترك معه في القرينة.ويربط العنصر α محليا العنصر β إذا ما كان العنصر الاول يربط الثاني، ولم يكن هناك عنصرا اخر هو العنصر y على نحو يربط فيه العنصر α العنصر y، والعنصر y العنصر β. وتحدد مبادئ نظرية الربط الشكل الذي قد ترتبط به او يجب أن ترتبط به بغيرها المقولات المتنوعة الانماط التي قد حددت حالا."[25]

تنطلق هذه النظرية من منطلقين أساسيين هما: الأثر والمضمر، فالأثر هو عنصر معدوم صوتيا، غير أنه يشير إلى الموضع الأصلي الذي كان يشغله في البنية العميقة قبل إجراء التحويل. ويرتكز مفهومه الأساسي على العلاقة بين رأس الجملة؛ أي: صدرها، وما يرتبط بها من فئات داخل الجملة نفسها. وتعتمد نظرية العمل عند تشومسكي على مجموعة من القوانين أهمها[26]:

1-التحكم المكوني: فهو الأساس التي تستند عليه نظرية العمل؛ إذ نقول عن المقولة أ إنها تعمل في ب:

- إذا كانت أ تتحكم في ب.
- إذا كانت الفئة المشرفة على أ (أي التي تعلو أ) تشرف أيضًا على ب.

-وكان كلاهما لا يشرفان بعضهما بعضا

2-المقولة أو الفئة العاملة؛ فمفهوم العمل يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الفئة؛ لأنها المجال المحلي، حيث يجد العائد والضمير سوابقهما، التي تحدد مرجعيتهما وتفسيرهما.

ومنه فإن العامل في النحو التوليدي شأنه شأن العامل في النحو العربي من حيث أهمية فكرته الأساسية ومركزيتها في تفسير أغلب الظواهر النحوية.

2-2-التقدير والتعليل:

إن اللغة كما يرى تشومسكي أهم الجوانب الحيوية في نشاط الإنسان، ولهذا ليس من المعقول أن تكون لها هذه الأهمية ثم تتحول إلى تراكيب شكلية مجردة يسعى الوصفيون

[25] نوم تشومسكي: المعرفة اللغوية، مرجع سابق، ص305.

[26] ساجد شريف عطية: جذور اللسانيات في العربية، مكتبة برسا، تركيا، ط4، 2012، ص 58-59

إلى تجريدها عن العقل. وعليه فإن مسألة التقدير التي انتقدت في النحو العربي لأنها ليست من الوصف في شيء كونها تصف من اللغة ما لا يمكن ملاحظته واتُخذت لتأويل قواعد اللغة وتبريرها، ستعود في النظرية التوليدية التحويلية لأنها نظرية تفسيرية لكيفية انتاج اللغة.

وهذا ما يؤكده قول عبده الراجحي: "وقضية العامل تقودنا إلى قضية "التقدير" التي لقيت نقدًا عنيفًا من الوصفيين، ثم عادت الآن لتكون شيئًا مقررًا ومؤكدًا في التحليل النحوي عند التحوليين بل إنهم يرون أن هناك قواعد نظمية كلية universal يمكن أن تفهم على ضوئها الظواهر المشتركة في اللغات ومنها ظواهر الحذف والزيادة وتغيير الترتيب."[27] فما عيب على النحو العربي من كونه يصف من اللغة ما لا يلاحظ فيها ويقدر ويؤل جاءت التوليدية التحويلية لتثبت صحته في شكل جديد بمضامين متشابهة، ومثال ذلك قواعد الحذف في هذه النظرية إذْ أثبتت أنها خاصية مشتركة بين اللغات، يميل فيها المتكلم إلى حذف العناصر المكررة أو التي يمكن فهمها من السياق ويؤكد عبده الراجحي أن الطريقة التي قدمها المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف هي ما قدمه النحاة العرب، وبعد تقديم أمثلة من اللغة الإنجليزية وأخرى من كتاب سيبويه خلص بأن ما تعلق بباب الحذف قريب من فكرة البنية العميقة .

يقترب مفهوم التفسير في النظرية التوليدية التحويلية من مفهوم التعليل في النحو العربي، "فهو نظام من التعليلات على شكل مجموعة من النظريات والمبادئ تفسر انتظام الظاهرة اللغوية، أيا كانت اللغة التي تمثلها في النحو، والصرف، والصوت، والدلالة المعجمية"[28]

[27] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس اللساني الحديث، مرجع سابق، ص 149.

[28] حسن خميس الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان، ط1، 2000، ص 31.

ومن أبرز هذه النظريات نذكر:[29]

– نظرية الحالة Case theory: وهي تفسير ظاهرة المصادر المؤولة والمصادر الصريحة التي يمكن تمثيلها بمصادر مؤولة.

–ونظرية الربط العاملي Goverment binding theory : وهي تفسر علاقة عنصر (أ) بالعنصر (ب) إذا كان العنصر (أ) يتحكم في العنصر يكون لها دور واحد كالضمير، وما يعود عليه.

–نظرية الثيتا: Theta theory وهي تفسر ترابط القيود المفروضة على نقل عناصر الجملة تقديما وتأخيرا

–نظرية الفصل Bounding theory : التي تعالج القيود المفروضة على نقل عناصر الجملة تقديما وتأخيرا

جاءت هذه النظريات لتثبت أن اللغة التي ننطقها تكمن تحتها عمليات عقلية عميقة، ودراسة بنية السطح تقدم التفسير الصوتي للغة، أما دراسة بنية العميقة فتقدم التفسير الدلالي لها. وهكذا عاد التعليل إلى الواجهة العلمية دون أن يجد من يعارضه أو يصفه بالمعيارية، فتعليل نحاة العرب فقط استحق ذلك.

2–3–قضية الأصل والفرع:

وقد قارب عبده الراجحي ما بين فكرة الأصل والفرع عند النحاة العرب والنظرية التوليدية التحويلية فوجد أن التحويلين قد عالجوا" قضية الأصلية والفرعية في مواضع منها بحثهم للألفاظ (ذات العلامة) marked ، وتلك التي بلا علامة unmarked ، وقرروا أن الألفاظ (غير المعلّمة) هي الأصل وهي أكثر دورانا في الاستعمال، وأكثر (تجردا) ومن ثم أقرب إلى (البنية العميقة)، فالفعل في الزمن الحاضر في الإنجليزية مثلا غير معلم (love–jump) بينما في الماضي تلحقه (ed) loved–jumped والمفرد غير معلم (book–boy) الجمع

[29] حسن خميس الملخ: نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 31–32.

تلحقه علامة(books–boys)، وعليه فإن الزمن الحاضر أصل والماضي فرع والمفرد أصل والجمع فرع."[30]

وعليه فمفاهيم النظرية التوليدية التحويلية تلتقي مع مفاهيم النحو العربي في كونها لم تكتف بوصف ما هو ظاهر في اللغة بل سعت إلى معرفة كيفية عمل الجهاز اللغوي، إذْ "اللغة كما لاحظها العلماء العرب كلها أصول وفروع وليس الفرع في الحقيقة إلا الأصل مع الزيادة وتفريع الفروع على أصولها نوع من التحويل ينطلق من نواة أي الأصل فيتفرع منها عبارة أو أكثر بعمليات معينة تحول النواة إلى هذه العبارات."[31] وهذا ما جاء به تشومسكي في مفهوم التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية " وهو مصيب في ذلك كما أصاب العلماء العرب عند اهتمامهم بتصرف كل الوحدات من بنية إلى أخرى إلا أنه انحرف عن هذه الطريق عند حصره التصرف في التحوّل من البنية العميقة إلى السطحية وهذا عند العرب جزء صغير من الموضوعات التي ينطبق عليها التصرف (وهو التقدير التعليلي)."[32] وهنا يرى عبد الرحمن الحاج صالح أن نحاة العرب كانوا أكثر توسعا وفهما لتصرف الوحدات اللغوية من بنية إلى أخرى.

وبناء على ما تقدم فإننا إذا قبلنا المعيارية في النحو العربي لابد أن نقبلها في النحو التوليدي التحويلي، لكن المتحمسون للمعيارية في النحو العربي لم يفعلوا، ولم يصححوا مواقفهم أيضا.

خلاصة القول في المنهج المعياري أنه يفتقر إلى الخطوات أو الإجراءات الثابتة التي يمكن للباحث أن يتبعها لدراسة ظاهرة لغوية ما، خلاف المناهج اللغوية الأخرى (كالتاريخي والمقارن والوصفي) فهي مناهج درست مستويات اللغة ولا تزال صالحة لدراسة أي ظاهرة لغوية بل أي ظاهرة طبيعية أو إنسانية أو اجتماعية.

---

[30] عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، مرجع سابق، ص 144.

[31] عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلة، مرجع سابق، ص 58.

[32] عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية، ص 315.

فما حاول إثباته بعض الباحثين من معيارية النحو العربي قد تمثلت في الوقوف على بعض المظاهر في النحو وليس كل النحو، بل لقد أثبتوا عكس ذلك واعترفوا بأن النحو العربي نتاج المنهج الوصفي. وعليه فإن فكرة المعيارية قد تصلح هدفا للنظرية النحوية أكثر منها منهجا انبنى عليه النحو، أو كما ذهب إليه بعض اللسانيين بأنه اتجاه أوسمة للنحو العربي وليس منهجا.

أما المعيارية الحديثة عند تشومسكي فيكفي أن نذكر أن صاحبها قد سار وفق منهج الفرض والاستنباط مستفيدا مما أتاحته الرياضيات والمنطق في كيفية بناء الاستدلال على صحة نظريته، وليس المنهج المعياري هو الذي تأسست عليه النظرية بل إن هذا المنهج المزعوم خطواته غير معلومة.

الأعمال الموجهة:

مظاهر المعيارية في كتاب "المغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام الانصاري.

يعتبر كتاب المغني اللبيب كتابا مميزا يختلف نسبيا عن بقية كتب النحو في منهج عرضه للمعرفة النحوية، فقد ابتدأ ابن هشام في تفسير المفردات وذكر أحكامها، فتناول حروف المعاني، بدراسة معانيها ووظائفها، وفق منهجا اتبع فيه بعرض المعاني الأصلية للحرف ليصل إلى المعاني النّحوية الأخرى، ثمّ البلاغية إنْ وُجدت، كما يعرض ما اتحد مبناه وتنوعت الوجوه التي يرد فيها. والنص الذي سنقدمه مقتطع من هذا القسم:[33]

(أمَا): بالفتح والتخفيف –على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف استفتاح ك(ألَا)، وتكثر قبل القسم؛ كقوله:

أما والذي أبكى وأضْحَكَ والذي أماتَ وأحيا والذي أمرهُ الأمرُ

[33] ابن هشام الأنصاري: مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، 1991، ص 66-67.

الثاني: أن تكون بمعنى حقّا أو أحقّا، على خلاف في ذلك ...وقال بعضهم هي اسم بمعنى حقا، وقال آخرون: هي كلمتان، الهمزة للاستفهام و(ما) اسم بمعنى شيء، وذلك الشيء حق، فالمعنى أحقا، وهذا هو الصواب، وموضع (ما) النصب على الظرفية، كما انتصب (حقا) على ذلك....

وزاد المالقيّ لأما معنى ثالثا: وهو أن تكون حرف عرض بمنزلة ألا، فتختص بالفعل، نحو: أما تقوم وأما تَقعد، وقد يُدَّعى في ذلك أن الهمزة للاستفهام التقريري مثلها في ألم وألا، وأنّ ما نافية، وقد تحذف هذه الهمزة كقوله:

ما ترى الدّهر قد أباد معدّا وأباد السّراة من عدنان

(أمَّا): ويقال: أيما، حرف شرط وتفصيل وتوكيد، وقد لا تكون للتفصيل، كما في قولك: أمَّا زيدُ فمنطلقُ، وسُمع: "أما قريشا فأنا أفضلها". وهو دليلُ على أنَّه لا يلزم أن يقدر في (أمَّا): مهما يكن من شيء؛ بل يقدر ما يليق بالمحل، فالتقدير هنا: مهما ذكرت قريشا...إلخ.

مظاهر المعيارية:

يمكن ملاحظة بعض مظاهر المعيارية في كتاب "المغني اللبيب عن كتب الأعاريب" من خلال هذا المثال البسيط الذي نقلناه بالتصرف، من أجل إيضاح مواضع المعيارية كما قال بها أصحابها وحددوها في القياس والإعراب والعلة والتقدير ...

القياس:

ذهب ابن هشام إلى أنّ(أَمَا) مكوّنة من كلمتين الهمزة و(ما) وما؛ اسم بمعنى شيء ومعناه حقا، وموضعه من الإعراب النّصب على الظّرفية واستدل على نصبها على الظّرفية بنصب (حقا) على الظّرفية، نستنتج من ذلك دليلا قياسيا حيث قاس أما المركبة من (أ) و (ما) على حقا الظّرفيّة، فالمقيس (ما) والمقيس عليه(حقا) والحكم الإعرابي هو النّصب، والعلّة الجامعة هي الاسميّة.

الإعراب: تحدث ابن هشام عن إعراب أما باعتبارها تتكون من همزة الاستفهام و(ما) اسم منصوب على الظرفية كما نصبت حقا. أما حين تأتي كحرف استفتاح، فهي مبنية لا محل لها من الإعـراب.

ويمكنك على منـــوال ما قدمنا لك أن تعود لهذا الكتـــاب من أجل أن تقف على مظـــاهر المعيارية فيه، وهي كثيرة غير خافية، بل جلية ظاهرة.

المنهـج التـــاريخـي

الكفاءات المستهدفة:

- ✓تستوعب مفهوم المنهج التاريخي وصلاحيته لدراسة كل أنواع البحوث، وتحدد مفهوم علم اللغة التاريخي.
- ✓تُحدد الخطوات الإجرائية للمنهج التاريخي وكيفية توظيفها في البحث اللغوي، وتتعرف على أسس هذا المنهج وخصائصه.
- ✓تُميّز بين قوانين التغيرات الصوتية وقوانين المادة، وتتعرف على نظريات تفسير التغيرات الصوتية.
- ✓تكتشف التغيرات اللغوية على المستوى الصرفي والتركيبي، وتتعرف على أسباب التطور الدلالي للألفاظ اللغوية.
- ✓تستنتج سلبيات المنهج التاريخي، والنقد الموجه له.
- ✓تستخلص أهمية المنهج التاريخي في البحث اللغوي وفي قدرته على إدراك الحقائق التاريخية والتأكد من صحتها.

المنهج التاريخي (المفهوم والنشأة)

إن تسمية المنهج التاريخي لا تعني أن هذا المنهج خاص بتخصص التاريخ على وجه الخصوص بل هو منهج يستخدم في شتى الميادين، إضافة لاستخدامه في التاريخ يستخدم أيضا في علوم اللغة والعلوم الطبية، والقانون، علم الاجتماع، علم النفس، الاقتصاد ....وغيرها من التخصصات ، لأنه طريق لتحقق من صدق الحقائق والمعلومات القديمة.

فالبحث التاريخي هو تقرير على صحة البيانات المتوافرة لحادثة أو عملية أو ظاهرة إنسانية أو طبيعية تمت بواسطة القراءة والتأمل والنقد. وقد سمي بذلك لأن المشكلات التي يدرسها قد حدثت في الماضي ويهدف البحث التاريخي إلى مراجعة ودراسة وتصحيح الحقائق.

ويركز المنهج التاريخي على دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل ويستخدم في دراسة الحاضر من خلال دراسة ظواهره وأحداثه وتفسيرها بالرجوع إلى أصلها وتحديد التغيرات والتطورات التي تعرضت لها ومرت عليها، والعوامل والأسباب المسؤولة عن ذلك والتي منحتها صورتها الحالية.[1]

هذا بشكل عام المنهج التاريخي كمنهج تستخدمه مختلف التخصصات، أما على المستوى اللغوي فيهتم "المنهج التاريخي في دراسة اللغات بالتغير الدلالي، ومراحل تطور لغة واحدة أو مجموعة من اللغات عبر مسيرتها، ومظاهر هذا التطور، وأسبابه، ونتائجه"[2].

فهو يدرس تغير اللغة عبر الزمان والمكان وما يطرأ عليها من تغيرات على جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وهي نتيجة عوامل وأسباب مختلفة.[3]درستَ بعضا منها في مادة علم الدلالة تحت عنوان التغيرات الدلالية –الأسباب والمظاهر.

---

[1]ربحي مصطفى عليان: البحث العلمي –أسسه–مناهجه–أساليبه –إجراءاته، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، دط، دت، ص 41

[2]علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 36.

[3]محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر،2003، ص137.

المحاضرة السادسة: المنهج التاريخي (المفهوم والنشأة)

يدرس المنهج التاريخي اللغة دراسة طولية إذ يتتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة، وأماكن متعددة ليتعرف على أحوالها وما قد يطرأ عليها من تغيرات، ومن ثمة يكتشف أساب هذه التغيرات وقوانينها المتنوعة. إن تتبع الظاهرة اللغوية عبر الزمن ليس بالأمر الهين خاصة في حالة لم يعرف لهذه اللغة فترات تاريخية متباعدة يمكن المقارنة بينها ومعرفة صور التطور الناتجة عبر الأجيال الكثيرة، وهذا ما يجعل الكشف عن أسباب هذا التطور صعبا.[4]

يهدف المنهج التاريخي في دراسة اللغة إلى دراسة التغيير "الذي تتعرض له لغة من اللغات باعتباره تغييرا يمثل حالات لغوية متتابعة قد درست من قبل دراسة وصفية ثم تأتي الدراسة التاريخية لتدرسها من ناحية الحركة والتغيير."[5]

وهذا يعني أننا لا نستطيع دراسة اللغة تاريخيا إلا بعد دراستها وصفيا بمعرفة نظامها ثم تتبع ما طرأ على هذا النظام من تغيير عبر الزمن.

فالمنهج التاريخي في الدرس اللغوي عبارة عن تتبع أية ظاهرة لغوية في لغة ما، حتى أقدم عصورها، بناء على ما توفر لدينا من وثائق ونصوص لغوية، فهو بحث عن التطور اللغوي في لغة ما عبر الزمن؛ فدراسة أصوات العربية الفصحى دراسة تاريخية، تبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه، وتتبع تاريخها، حتى العصر الحاضر كدراسة إبراهيم أنيس وكمال بشر وغيرهما، دراسة تدخل ضمن نطاق المنهج التاريخي، ومثل ذلك يقال عن تتبع الأبنية الصرفية، ودلالة المفردات ونظام الجملة.[6]

لذا يتطلب المنهج التاريخي مراقبة تطور الظاهرة، "ورسم خطها البياني من حيث الاستعمال: قلة وكثرة، حياة وموتا، ثم يحاول أن يتبين القوانين التي تحكم مسار الظاهرة، والعوامل اللفظية والحضارية التي قد أثرت فيها، أو تؤثر فيها، وعلى هذا فإن الباحث التاريخي

---

[4] رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997، ص 196.

[5] كريم زكي حسام الدين: أصول تراثية في علم اللغة، مرجع سابق،113.

[6] المرجع السابق، ص 197.

يعد نفسه مسؤولا عن الإجابة عن تاريخ الظاهرة اللغوية: ما أصلها؟ وماذا أصبحت؟ ومتى؟ وإلى أين تتجه؟"[7]

وهذا يعني أن المنهج التاريخي لا يتوقف عند حدود تتبع التغيرات عبر الزمن وإنما يبحث في الأسباب التي أدت إلى ذلك، ويتقصى العوامل المساعدة في حدوث هذا التغيير، من أجل معرفة القوانين التي تتحكم في التطور اللغوي للغة ما، وبذلك يمكن التنبؤ بمستقبل اللغة والاتجاه الذي تسير فيه في رحلة تغيرها.

فرصد هذا التغيير الذي يطرأ على جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والمعاجم التاريخية التي تسجل تاريخ حياة كل كلمة من كلمات اللغة من أقدم نص جاءت به متتبعا تطور دلالتها عبر الزمن، لا يتحقق إلا بدراسة اللغة بالمنهج التاريخي.

ولا يتناول تاريخ اللغات تطورها البنيوي والمعجمي فحسب، بل يبحث أيضًا تطورها وحياتها في المجتمع، فقضية انتشار لغة من اللغات والظروف التي مهدت لذلك، وأثر ذلك في بنية اللغة تعد من موضوعات علم اللغة التاريخي، وارتباط اللغة بوظيفتها أو بوظائفها المختلفة في الجماعة اللغوية يؤثر بالضرورة في حياة اللغة. فهناك فرق كبير بين أن تكون اللغة لغة جماعة محدودة، أو أن تكون اللغة الرسمية في دولة عظمى، أو أن تكون لغة حضارة دولية. ودراسة مستويات الاستخدام اللغوي المختلفة في حياة كل لغة وأثر ذلك في بنيتها وأهميتها الحضارية ومكانتها بين اللغات مما يدخل في إطار علم اللغة التاريخي.[8]

حين نتحدث عن تطبيق المنهج التاريخي في دراسة تطور لغة ما فنحن بصدد تحديد علم اللغة التاريخي الذي اهتم "بتتبع التطور الذي يطرأ على اللغة أي على الأصوات والصرف والنحو والدلالة، وذلك من خلال المقارنة بين اللغة في فترتين زمنيتين مختلفتين أو أكثر،

[7] إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، دار حنين، عمان، الأردن، ط2، 1992، ص 22.

[8] محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، مرجع سابق، ص 40

ويعتمد علم اللغة التاريخي في دراسته على الوثائق في عدة أشكال، مثل النقوش المحفورة على الصخور والحجارة على جوانب الجبال وفي الألواح الخشبية أو الطينية ..."[9]

ولا يتوقف علم اللغة التاريخي أو ما يسميه بعض الباحثين باللسانيات التاريخية عند حدود تتبع تطور اللغة عبر الزمن، بل يعمل على معرفة تتبع السببية التاريخية التي تفسر الظاهرة اللغوية بناء على أسباب تاريخية، ووسيلتها المفضلة في ذلك دراسة أصل الكلمات وتطورها.[10]وعليه يهتم علم اللغة التاريخي بمعرفة القوانين المتحكمة في التغيرات التي تطرأ على اللغة في جميع مستوياتها.

لكن حين ننظر للمنهج التاريخي كمنهج تستخدمه مختلف العلوم ويحتاجه البحث اللغوي فإننا لن نربطه بتطور اللغة وإنما بالبحث اللغوي الذي تتنوع موضوعاته، وذلك بتتبع تاريخها في فترات زمنية مختلفة، ومثال بعض الدراسات التي احتاج أصحابها للمنهج التاريخي مثل كتاب بريجتيه بارتشت (مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي)، وكتاب (ر، هـ، روبينز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب)، وكتاب (النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره) لأحمد جميل شامي. إذْ بيّن في مقدمته الهدف منه في قوله:" لكشف ماهية النحو العربي بصورة أوضح وأدق، وتحديد زمان انبعاث هذا العلم، وبيان عوامل الانبعاث التي عجّلت في ظهوره، ومعرفة مؤسسه، وإدراك أصله، وتعيين مظاهر تطوره، والدواعي التي ساهمت في هذا التطور عبر مراحل ظهر فيها ونشأ، حتى بلغ هذا المستوى الراقي من التقنين والتقعيد."[11] فكما تلاحظ أن الباحث قد استخدم المنهج التاريخي في دراسة موضوع النحو، ليمكّنه من معرفة بداية ظهور النحو وتطوره والدوافع والعوامل التي أدت إلى ذلك. وعليه فالمنهج التاريخي يمكن استخدامه في دراسة أية ظاهرة شهدت تطورا وتغييرا عبر الزمن.

---

[9] صلاح الدين صالح حسين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، دار العلوم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984، ص203

[10] محمد محمد يونس: مدخل الى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004، ص 62.

[11] أحمد جميل شامي: النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره، جار الحضارة للطباعة والنشر، لبنان، 1997، ص 5.

2-نشأة المنهج التاريخي في أوربا:

لقد شهد القرن التاسع عشر تطور المفاهيم النظرية والمنهجية لعلم اللغة التاريخي والمقارن، وعليه سار البحث اللغوي في طريق المنهج التاريخي والذي تعود البدايات الأولى في نشأته إلى الأعمال التي قام بها الكتاب الأوروبيين عن العلاقات التاريخية للمجموعات معينة من اللغات، ويمكن القول أنها بدأت مع دانتي (1265-1321)لأنه تناول في كتابه (De vulgari eloquentia) الفروق اللهجية الناشئة عن اللغة الأصل نتيجة لمرور الزمن والتشتت الجغرافي للمتكلمين، إذ ميز ثلاث أسر لغوية أوربية هي الأسرة الجرمانية في الشمال والأسرة اللاتينية في الجنوب واليونانية.[12]

ولم تنعدم النماذج البديلة للعلاقات التاريخية للغات في الفترة الممتدة بين دانتي وحتى وليم جونز، ولكنها لم تتابع ولم تُطور من طرف معاصريهم.[13]

ومع اكتشاف وليم جونز القاضي الإنجليزي في المحكمة العليا بالبنغال (1746-1796م) للغة السنسكريتية، توصل إلى أن هذه اللغة تربطها روابط وثيقة باللغة اليونانية واللاتينية والقوطية وربما الكلتية أيضا، وأنها نشأت عن لغة مشتركة منقرضة.[14] فكان ذلك الإشارةَ الحديثةَ الأولى للدراسات التاريخية المقارنة.

لقد تطور البحث التاريخي في اللغات بفضل اكتشاف اللغة السنكريتية، وإن عدد من العلماء في علم اللغة التاريخي كانوا أنفسهم علماء السنكريتية مثل شلا يشر، الذي نشر في عام 1808 كتابه (On the language and the leaming of indians) الذي أكد فيه على أهمية دراسة التركيبات الداخلية للغات أي التركيز على الناحية التصريفية والاشتقاقية للوصول إلى معرفة العلاقات الوراثية التي تربطها.[15] أي معرفة انتمائها إلى لغة واحدة.

---

[12] ر،هـ ، روبينز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 268

[13] المرجع نفسه، ص270

[14] ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد مصلوح ووفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، لبنان، 2000، ص 40.

[15] ر-هـ- روبنيز: موجز تاريخ علم اللغة، مرجع سابق ، ص 277.

استخدم أوقست شلايشر August Schleicher (1821 – 1868) مصطلح (القانون الصوتي) نتيجة ميوله إلى العلوم الطبيعية، ولقد تأثر بدارون ودافع عن أفكار التطور في كتابه " **نظرية دارون وعلم اللغة**" عام 1863. فاللغة عند شلايشر مثل كائن حي ينمو ويزدهر ويتدهور، والتطور اللغوي وفقا للتبادل مع تطور الإنسانية والحضارة الإنسانية.[16] فلقد كان لأعمال شلايشر أكبر تأثير في علم اللغة التاريخي، وله عددا من المؤلفات في هذا المجال.

إن البداية الحقيقية للدراسة المقارنة والتاريخية للأسرة الهندواوربية قد بدأت مع راسموس كريستيان راسك (1787–1832) وجريم (1785–1863) كانوا من المؤسسين لعلم اللغة التاريخي.[17] وكما نلاحظ فإن المنهج التاريخي والمقارن متلازمين حتى عدّهما بعض الباحثين منهجا واحد هو المنهج التاريخي المقارن. لكن ما يُوجب الفصل بينهما هو الهدف الذي يسعى إليه كل منهما، فالمنهج التاريخي يرصد التغيرات في اللغة الواحد لمعرفة أسبابها وقوانين تغيراتها، والمقارن يقارن بين اللغات ليصنفها ضمن أسر لغوية.

يعتبر جاكوب جريم مؤسسا لعلم اللغة التاريخي، لما قام به من بحوث قادته إلى ما أصبح يعرف بقوانين قريم، وذلك من خلال دراسته لابدالات الصوامت mutatians consonatiques في اللغات الجرمانية من جهة وباقي، اللغات الهندية الأوروبية من جهة ثانية ، فسّر من خلالها التبادلات الصوتية بأنها نتيجة تحول، يُسمى الإبدال الصواتي، مثال ذلك ؛ الجرمانية(القوطية) تعرض لنا الصوت F يقابلة في اللاتينية والإغريقية والسنسكرتيتية الصوت P .[18] فهو لم يتوقف عند حدود معرفة التغيرات التي تطرأ على اللغة بل سعى لمعرفة القوانين التي تتحكم بها.

---

[16] بريجتيه بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004، ص 36–37.

[17] المرجع السابق، ص 278.

[18] أحمد مؤمن: اللسانيات –النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005، ص 88

وأسهمت كذلك أعمال راسك في تأسيس المنهج التاريخي من خلال بحثه الذي أنجزه عام 1814 بعنوان "**بحث في أصل النرويجية القديمة أو الايسلندية**" استطاع من خلال هذا الكتاب أن يؤسس منهجا للسانيات التاريخية يقتدي به الباحثون، كما استطاع أن يحدد أهداف هذا العلم بوضوح.[19]

لقد انتقل "العلماء من الموازنة بين اللغات الهندية الأوربية إلى الموازنة بين مظاهر كل لغة منها في مراحلها المختلفة، ومن البحث في تفرع هذه اللغات بعضها من بعض وتفرعها عن أصل واحد إلى البحث في الطريقة التي تسلكها كل لغة منها على حدتها في تطورها وارتقائها من جميع نواحيها."[20]

وفي سنة 1880 أصدر هارمن بول (1842- 1921) بالألمانية كتابه " أصول التاريخ اللغوي"، واعتبرت الطبعة الخامسة(1920) منه الكتاب المعتمد في مناهج علم اللغة التاريخي، رغم اعتماد صاحبه في تفسير التغيرات اللغوية على التفسيرات النفسية وهذا ما أُعتبر من عيوب هذا الكتاب.[21]

ومع نهاية القرن التاسع عشر، وبعد أن غزت التقاليد العلمية من ملاحظة واستنتاج في علم اللغة أصبحت الهيمنة للمنهج التاريخي، واتجه نحو فحص نمو اللغة وتطورها على أساس من الوثائق الثابتة تاريخيا، وقد تنوعت هذه الوثائق في أشكال مختلفة منها النقوش المحفورة على الحجارة، والألواح الطينية وعلى أوراق البردي والرقائق وعلى أوراق الكتابة العادية وغيرها.[22] وعليه لقد اكتسح المنهج التاريخي ساحة البحث اللغوي في هذا القرن، وقد وظف على أنه المنهج العلمي الأنسب لدراسة اللغة.

---

[19] المرجع السابق، ص 87

[20] علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2004، ص 54.

[21] محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 337.

[22] ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد عمر مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998، ص 164.

3-المنهج التاريخي في التراث العربي:

إن الحديث عن المنهج التاريخي يقودنا للحديث عن الكتابة التاريخية لأنها سابقة عليه، وهي ممارسة فعليه للمنهج، بدأت بصورتها البسيطة في تناقل الأخبار مشافهة ثم كتابة لتتطور عبر الزمن إلى أن وصل المؤرخون إلى التنظير للمنهج التاريخي والبحث في سبله الصحيحة.

وعليه فإن بداية اهتمام العرب بالتاريخ تسبق بداية التدوين في القرن الأول الهجري، لأن العرب تناقلوا بينهم الأخبار القديمة مشافهة عما حدث في بلادهم أو خارجها، ومن ذلك أخبار القبائل أو ما عرف بأيام العرب، وأخبار متفرقة كقصة سد مأرب وأصحاب الأخدود، وهدم الكعبة، وأخبار العرب البائدة كعاد وثمود .... كلها أخبار شفهية لانتشار الأمية قبل الإسلام.[23] وكذلك علم الأنساب فهي معرفة تاريخية نقلت شفهيا لرصد سلالة القبائل وتفريعاتها العرقية

وقد عرف هذا العلم الاهتمام في خلافة عمر ابن الخطاب بسبب الفتوحات فاستحدث ديوان الجند لأجل تحديد كيفية تقسيم الغنائم والأعطيات مما أدى إلى الاهتمام بأنساب الناس وانتماءاتهم القبلية. إضافة إلى الاهتمام بتدوين الشعر الجاهلي الذي عرّفنا بحياة العرب القديمة لأنه يتضمن شيئا من تاريخها خاصة في القرن الثاني الهجري.[24]وقد اطلعتَ عليه حين درست شعر عنترة، وشعر زهير ابن أبي سلمى وهو يمدح السيدين اللذين على يديهما توقفت حرب داحس والغبراء. وكما قيل " الشعر ديوان العرب."

لكن ما يمكن اعتباره بدايات حقيقية للكتابة التاريخية تعود إلى القرن الأول حتى القرن الثالث للهجرة، متمثلة في رغبة بعض الخلفاء كمعاوية ابن أبي سفيان في الاطلاع على سياسات ملوك الأمم المتجاورة والأقدمين وسير حياتهم فألفت تلك الأخبار مجموعة من القصص والأساطير ومن وأبرز المؤلفين نذكر؛ وهب بن منبه ويعزى إليه كتاب (الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم) وهو كتاب يتناول تاريخ اليمن القديم

---

[23] محمد عبد الكريم الوافي: منهج البحث في التاريخ والتدوين عند العرب، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط3، 2008، ص 181.

[24] المرجع نفسه، ص 183-184.

في إطار خرافي وقد طبع تحت اسم كتاب التيجان في ملوك حمير، وكتاب (المبتدأ) أي بدأ الخليقة، وهو يتضمن حياة الرسل والأنبياء، وكتاب **(الملوك المتوجة وأخبار الماضين)** لعُبيد لبن بن شرية الجرهمي، يتضمن الكثير من أخبار العرب وتاريخهم في الجاهلية.[25]

"ولقد نشأ علم التاريخ في أحضان علوم الحديث ومناهج الإسناد حيث أخذ علم التاريخ عنه أداة نقدية علمية استخدمت لغربلة الأخبار التاريخية، وبهذا يكون رواة الحديث قد مهدوا لنشوء فروع التاريخ عند العرب وهي تراجم الأشخاص وطبقاتهم، حيث ظهرت كتب التراجم والسير والمغازي النبوية باتباع منهج الإسناد القائم على محك الجرح والتعديل.[26]

"أوجد علماء الحديث تدريجيا أصولا نقدية للتمييز بين الصحيح والموضوع من الأحاديث ولتصنيفها بحسب قربها من الحقيقة واتبع المؤرخون العرب تلك الأصول للتحقيق من (صحة الخبر) أيضا، والأسلوب النقدي الذي ساروا عليه، واقتدوا فيه بعلماء الحديث كان (التجريح والتعديل) هذا النهج هو في المنهجية المعاصرة للبحث التاريخي، النقد الباطني السلبي أو ما يسمى بنقد المؤلف."[27] وكان مؤلفو السيرة والمغازي والطبقات ومؤرخو الفتوحات الإسلامية، وأصحاب تراجم الخلفاء والعمل والقواد، أكبر الممهدين للتأليف المنهجي حيث أوجدوا القواعد الأساسية للتأليف.

ومع القرن الرابع الهجري يبرز اسم " الطبري " صاحب كتاب " تاريخ الأمم والملوك الذي غدا مرجعا لكثيرين ممن جاؤوا بعده، والمؤرخ المحقق " مسكويه " وكتابه الفائق الأهمية " تجارب الأمم " وتكمن أهمية هذا الكتاب في المنهجية العلمية في دراسة الحدث التاريخي، وصلته بالمؤثرات الجغرافية والاجتماعية والفلسفية، وابتعاده عن الأساطير والخرافات، وحياديته تجاه السلطات الحاكمة.

---

[25] محمد عبد الكريم الوافي: منهج البحث في التاريخ والتدوين عند العرب، مرجع سابق، ص 196-197.

[26] المرجع نفسه، ص 211.

[27] رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية، ص 154.

وكانت الدراسات التاريخية في الأندلس تواكب مثيلتها في المشرق، ومن أبرز الأسماء في هذا المجال: عبد الملك بن حبيب، وابن القوطية، وعريب بن سعيد، وابن حيان صاحب كتاب المقتبس، وبنو سعيد في كتابيهم المشهورين " المُغرب في حلى المغرب، والمُشرق في حلى المشرق " ثم العلامة الموسوعي ابن حزم المؤرخ والفقيه والأديب والشاعر.

لنصل إلى العلامة " ابن خلدون "[28] في كتابه " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" ومقدمة هذا الكتاب التي تناولت تنظيرا للمنهج التاريخي ووعي بأهميته وما يقتضيه هذا المنهج في الكتابة التاريخية فقد بيّن فضل علم التاريخ في قوله: " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم. والأنبياء في سيرهم. والملوك في دولهم وسياستهم. حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا."[29] فعلم التاريخ عند ابن خلدون علم مستقل بذاته يبحث في أحوال السابقين لتعرف أخلاقهم وطباعهم في التعامل مع الأحداث وهذا ما يحقق الاستفادة منه سواء بالاقتداء بما هو نافع أو استخلاص العبر.

وما كان ابن خلدون ليصل إلى استقلالية علم التاريخ لولا الجهود التي سبقته في مجال الكتابة التاريخية العربية التي استخدمت لأغراض مختلفة سياسية ودينية، ولجهود منهجية كبيرة في ضبط الأسانيد ونقد الروايات والأخبار، وصولا إلى مرحلة تدهورت فيها أحوال الكتابة التاريخية جراء غياب النقد الجاد وتصديق الأخبار دون تمحيصها والتأكد من صحتها.[30] مما

---

[28] هو عبد الرحمن بن محمدٍ بن خلدونٍ، المكنى أبا زيد، والملقب بولي الدين، يشتهر باسم ابن خلدون، وهو يماني حضرمي كما في جمهرة الأنساب لابن حزم، ولد عام 732هـ في تونس ونشأ فيها وتلقى تعليمه حتى الثامنة عشر على يد مشايخها، ثم انتقل منها إلى الأندلس وعاش في أغلب بلاد شمال إفريقيا؛ واختلى أربع سنوات (776-780هـ) في قلعة ابن سلامة بوهران – الجزائر وفي تلك الخلوة كتب ما اشتهر تسمية مقدمة ابن خلدون، كما شغل في حياته العديد من المناصب والوظائف، حتى توفي –عليه رحمة الله–في عام. 808 هـ بمصر. مقدمة ابن خلدون، ص 13-14.

ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر، لبنان، ط1 ، ص21.

[29]، 2003

[30] وجيه كوثراني: تاريخ التأريخ–اتجاهات – مدارس–مناهج، المركز العربي للأبحاث، ودراسة السياسات، لبنان، ط3، 2013، ص 97.

دفع ابن خلدون لمعالجة مشكلات الكتابة التاريخية ومحاولة تقديم الحلول العملية التي أصبحت بمثابة قواعد للمنهج التاريخي.

فبيّن ما يحتاجه المنهج التاريخي من معارف وشروط ينبغي أن يتبعها المؤرخ حتى يمكنه من التحقق مما ينقله من أخبار، لذا فهو بحاجة إلى علوم ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت تمنعه من الخطأ وتقوده إلى الصواب والحق "لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق." [31] لأن المؤرخين في زمن ابن خلدون وقعوا في أخطاء كثيرة نتيجة النقل دون نقد أو تمحيص والتأكد من صحة الخبر وفق ما أشار إليه من شروط.

فابن خلدون يرى أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث دون تثبت، بل هو منهج وطريق لتحقق من الخبر لذا ينبغي اتباع المنهج الصحيح للوصول إلى ذلك، وهذا المنهج هو المقترح الذي قدّمه لنقد المادة التاريخية.

"فالمنهجية التي نادى بها ابن خلدون تجعل نقد السند في مرتبة ثانية، أما المرتبة الأولى فيتحتم أن تنصب على النص التاريخي في حد ذاته، وعلى الرواية التاريخية للتحقق من مدى مطابقة فحوى هذه الرواية للقوانيين الطبيعية والإنسانية التي يدركها العقل على نحو حدسي مباشر على مبدإ عدم التناقض بين الحدث والشواهد أمور هذا العالم من حيث الإمكان أو الاستحالة؛ وكذلك قياس الأحداث المروية عن الماضي بما جرت عليه العادة فيما يخص الحاضر"[32]

لذا بيّن ما يحتاجه الباحث للممارسة منهج الكتابة التاريخية بشكله الصحيح ، وذلك من خلال تحصيل علوم مختلة وجبت معرفتها ، وهي " العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال

[31] ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص 21.

[32] محمد عبد الكريم الوافي: منهج البحث في التاريخ والتدوين عند العرب، ص 180.

والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف، وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لأسباب كل خبره وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا وإلا زيفه واستغنى عنه."[33]

وكما يبدو واضحا فابن خلدون قد اهتم بالنقد الداخلي المتعلق بالتأكد من صحة المادة التاريخية ونقدها، وقد كان علماء الحديث قد أسسوا لنقد الخارجي المتعلق بالتحقق من السند أي من مصدر المعلومات والبيانات ونقدها بمنهج (الجرح والتعديل)، وكلا النقدين هو جوهر العمل في المنهج التاريخي، إنه يتوقف عليهما تفسير النتائج وأي خطأ في الوثائق والحقائق يؤدي إلى نتائج خاطئة بالضرورة. وخطوة النقد في المنهج التاريخي هي أساس هذا المنهج وقاعدته.

لقد أشارت الباحثة حليمة عمايرة إلى بعض ملامح المنهج التاريخي عند النحاة فقدمت بعض الأمثلة نذكر منها:[34]

-في باب النداء ورد أن الأصل في أداة النداء (هيا) هو (أيا) وقد أبدلوا (هاء) كما في قولهم: " إيّاك وهيّاك"، في حين اعتبروا أن (يا) أصل باب النداء لأنها تستعمل للقريب والبعيد والندبة.

-ذهب الخليل إلى أن أصل (لن) هو (لا و أن) ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم، وذهب بعض النحاة إلى أن الأصل في حبذا (حبب وذا) فأدغموا الباء في الباء كراهة اجتماع المثلين.

أما في مجال اللغة فتندرج مباحث التطور الدلالي ضمن المنهج التاريخي وإن لم يدرسها العلماء قديما بهذا المعنى، فإنهم تنبهوا إلى تغير اللغة وأسباب ذلك، وهو هدف المنهج

---

[33] ابن خلدون المقدمة، مرجع سابق، ص 39.

[34] حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء-دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 148-149.

التاريخي الكشف عن التغيير وسببه نجده واضحا في كتاب المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي حين تناول معرفة العام والخاص فقد تنبه للكلمات التي انتقلت من العام إلى الخص كلفظة الحج التي أصلها قصد الشيء وتجريدك له، فبعد مجيئي الإسلام أصبحت تدل على زيارة البيت الحرام. وكذلك لفظة السبت أصلها الدهر ثم خص بها يوم محدد من الأسبوع.[35]

وفي السياق ذاته نجد ابن فارس في كتابه "فقه اللغة وأسرار العربية" في باب" في أصول الأسماء قيس عليها وألحق بها " أنَ الأصمعي يقول :أصل "الورِد "إتيان الماء، ثُمَّ صار إتيانُ كلِّ شيء ورْداً. و"القرَبَ "طلبُ الماء. ثُمَّ صار يقال ذَلِكَ لكل طلب، فيقال" :هو يَقْرَب كذا "أي يطلبه و"لا تَقْرب كذا ."ويقولون" :رَفَعَ عَقِيرَتَهُ" أي صوته، وأصل ذَلِكَ أن رَجُلاً عُقِرَتْ رجله فرفعها وجعل يَصيحُ بأعلى صوته فقيل بعد ذَلِكَ لكل من رفع صوته :رفع عقيرته[36].

بناء على ما تقدم فإن للمنهج التاريخي في التراث العربي امتداد تاريخيا ارتبط بالكتابة التاريخية في حد ذاتها، وقد شهدت تطورا عبر التاريخ الإسلامي والعربي، وقد كان لابن خلدون النصيب الأوفر في التنظير لهذا المنهج وتبيان أهميته والقواعد الصحيحة التي ينبغي اتباعها. وفي مجال اللغة تنبه اللغويون إلى التغيير اللغوي وإلى بعض أسبابه. وكل هذه الجهود دليل على وعي علماء التراث بالمنهج التاريخي ممارسة وتنظيرا.

الأعمال الموجهة: تطور ألفاظ القتال بين العصر الجاهلي والعصر الحديث

المنتظر تعلمه في الأعمال الموجهة هو محاولتك تطبيق المنهج التاريخي في دراسة ظاهرة من الظواهر اللغوية وذلك بإتباع خطوات المنهج التاريخي وهي: [37]

1-اختيار المشكلة

2-جمع الحقائق والوثائق وتدوينها

---

[35] جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، م1، 1998، ص 332.

[36] أبو الحسين أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية، تح: عمر فاروق الصباغ، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 1993،ص96.

[37] رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي-أساسياته النظرية وممارسته العلمية، مرجع سابق، ص 157.

3-نقد الوقائع والحقائق

4-صياغة الفرضيات التي تفسر الأحداث واختبارها

5-تفسير نتائج البحث وكتابة تقرير عنه

سنقدم لك موجز عن الطريقة التي تسترشد بها في دراسة موضوع " **تطور ألفاظ القتال بين العصر الجاهلي والعصر الحديث**" بالمنهج التاريخي. وفق ما قدمناه لك من خطوات.

1-تحديد مشكلة البحث

وعلى هذا فإن المشكلة التي ستدرس في هذا الموضوع هي **تطور ألفاظ القتال بين فترتين من الزمن هي الفترة الجاهلية والعصر الحديث.** ويجب تحديد المشكلة في شكل سؤال نفهم من خلاله أننا سنوظف المنهج التاريخي في دراسة الموضوع.

ويمكن صياغتها فيما يأتي:

- هل تغيرت دلالة ألفاظ القتال بين العصر الجاهلي والعصر الحديث؟
- ما التغييرات التي طرأت على ألفاظ القتال بين العصرين؟
- وما الأسباب التي أدت إلى هذا التغيير؟

2-جمع المصادر والوثائق:

حتى تعالج هذا الموضوع ينبغي جمع الوثائق متمثلة في المصادر التي يمكن أن تمدنا بألفاظ القتال كالمعاجم خاصة التاريخية منها، والشعر العربي القديم، خاصة شعر المعلقات وكتب النثر التي حفظت النثر العربي الجاهلي كالخطب والوصايا وغيرها. وكذلك مع العصر الحديث تعتمد مجموعة من المصادر التي يمكنها أن تعرفك بألفاظ القتال في هذا الزمن خاصة الكتب المتخصصة في المصطلحات العسكرية مثل معاجم المصطلحات العسكرية، والمعاجم الحديثة كمعجم اللغة العربية المعاصر، المعجم التاريخي للغة العربية، كمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية (عنوان الموقعhttps://dohadictionary.org)

3-نقد المصادر ومادتها (النقد الداخلي والخارجي):

بعد جمع الوثائق والمراجع يجب التأكد من صحتها وأنها بالفعل تعود إلى تلك الفترة الزمنية وهذه هي مرحلة النقد الخارجي، أما التأكد من صحة المادة فهو النقد الداخلي.

4-صياغة الفرضيات:

الفرضية التي ينبغي أن تنطلق منها، هي:

- إن ألفاظ القتال بين العصرين قد عرفت تطورا وتغييرا في دلالتها، واستحدثت ألفاظ جديدة في العصر الحديث تختلف عما هو في العصر الجاهلي.
- توجد أسباب أدت إلى تغيير الألفاظ ترجع إلى تبدل الأوضاع والأحوال بحكم تغير الزمان.

فما دعت إليه الحاجة في العصر الجاهلي وما توفر من أسلحة حتما يختلف عن العصر الحديث وبالتالي سيكون هناك تغير يثبته الطالب من خلال تحليله للوثائق التي بين يديه سواء كانت شعرا أو نثرا فإنها ستمكنه من إحصاء ألفاظ القتال والنظر في دلالاتها إن كانت قد تغيرت أو أنها لا تزال محافظة على دلالاتها القديمة.

سنقدم لك نماذج من ألفاظ القتال من العصرين الجاهلي والحديث لتلاحظ من خلالها التغيير الذي طرأ عليها، من أجل إثبات صحة الفرضيات.

1.ألفاظ القتال في العصر الجاهلي:

أغلب ألفاظ القتال في العصر الجاهلي تعرفها كطالب علم لأنك قد تعرضت لها في مسيرتك الدراسية عبر مختلف المراحل لذلك قد لا يستوجب شرح جميعها كما سنفعل مع ألفاظ القتال في العصر الحديث.

ورد في معجم العين؛ "والقتلُ: معروف، يقال: قتله إذا أماته بضرب أو جرح أو علة، والمنية قاتلة. وأقتلت فلانا: عرّضته للقتل."[38] المُقاتلة: القتال؛ الذين يلُون القتال، وهي المحاربة بين إثنين.[39] وفي القتال يقول عنترة بن شداد:

دَعوني في **القِتالِ** أَمُت عَزيزاً فَمَوتُ العِزِّ خَيرٌ مِن حَياةِ

وقول امرئ القيس:

أَبَتْ أجَأٌ أنْ تُسلِمَ العامَ جارَهَا فمنْ شاءَ فَليَنهَضْ لها من **مُقاتِلِ**

القتال قديما وحديثا واحد وهو إزهاق النفس بوسيلة ما سواء الضرب أو بأي أداة تؤدي إلى الموت. وعليه فإن ألفاظ القتال تتعلق بكل ما يمكنه أن يُستخدم كوسيلة للقتل، وكل ما له علاقة بالحرب التي تزهق فيها الأرواح.

وفي العصر الجاهلي كانت ألفاظ القتال أقل مما هي عليه الآن، لأن وسائل القتل تزداد ولا تقل وتتنوع مع تقدم العلم وازدهار تجارة السلاح. والمقاتل في العصر الجاهلي هو إنسان وفي أحسن أحواله يستعين بالحيوان كما فعل أبرهة الحبشي في واقعة هدم الكعبة. أما اليوم فالأمر يختلف، سنراه لاحقا.

من بين ألفاظ القتال المعروفة في الجاهلية: حارب، محارب، حرب، معركة، الوغى، الرحى، النزال، الوقيعة، الكريهة، الغزو، الهيجاء، المعمعة، الغارة وتكون خلسة.[40] وكلها تسميات وأوصاف للحرب ومن بين الأدوات نذكر سيف، رجم، رمح، القوس، السهم، ومن الأفعال الدالة على القتال: قتل، تعرك، يغزو، يغير، يحارب، يرجم ...وكذلك الجند والجيش.

ومن الألفاظ التي تغيّرت دلالتها نذكر:

---

[38] الفراهيدي، أحمد بن خليل: كتاب العين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ج3، ص 359

[39] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص 5329.

ينظر: ناظم خليل حسين اللوقة: ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي – دراسة دلالية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب –قسم اللغة العربية، جامعة الازهر، غزة، 2011، ص 42. لقد تضمنت هذه المذكرة كل ألفاظ القتال المتداولة في الشعر [40] الجاهلي، وهو ديوان العرب.

الدَّبَّابَةُ: "التي تُتَّخذ قديمًا للحَرْب، يدخل فيها الرجال، ثمَّ تُدفَعُ في أصل حِصْن فينْقُبون، وهم في جوفها، سُميت بذلك لأنها تُدفع فتدب. وفي حديث عمر رضي الله عنه، قال: كيف تصنعون بالحُصون؟ قال: نتَّخِذ **دبّاباتٍ** يدخُل فيها الرجال. الدبابة آلة تتخذ من جلود وخشب، يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه، وتقيهم ما يرمون به من فوقهم."[41]

والدبابة كما ترى قد تغيرت دلالاتها وإن كان هناك قاسم مشترك بين معناها القديم والحديث وهو حماية الجندي ليستطيع التقدم والهجوم، لكن ليس بهذه الوسائل البسيطة بل بآلة من حديد ضخمة لها مميزاتها العسكرية التي تتجاوز مجرد اختراق الحصون.

الجَحْفَلُ: " الجيش الكثير، ولا يكون ذلك حتى يكون فيه خيل."[42] ومع أن هذا اللفظ لا يزال مستعمل إلا أن معناه قد شُحن بدلالات جديدة ولم يعد شرط الجحفل وجود الخيل بل الغالب الآلات الحربية، وسنعود لتعريفه في الألفاظ الحديثة للقتال.

مَدْفَعُ: مدفع الوادي حيث يدفعُ السيل، وهو أسفله، حيث يتفرق ماؤُه. مشتق من الفعل دفع، والدَّفْعُ: الازالة بقُوَّة، ودفع إلى المكان: انتهى إليه، الدّفعة: انتهاء جماعة القوم إلى موضعهم، والدُّفاع: كثرة الماء وشدته، والمَدْفع اسم موضع.[43] وربما من هذا الأخير أخذ اسم الآلة الحربية " المدفع " لأنه المكان الذي تندفع منه القذائف النارية والصواريخ. وواضح هنا التغيير الدلالي الذي أصاب اللفظ.

قُنْبُلَةُ: "مِصْيَدَةٌ يُصاد بها النُهَسِ، وهو أبو بَراقِشَ. وقنْبَل الرجلُ إذا أوقد القُنْبُل، وهو شجر."[44] وكما تلاحظ الفرق واضح بين المعنى القديم والمعنى الحديث، مما يبيّن التغيير الذي طرأ على اللفظ، ومرده إلى أن ما كان مصيدة لحيوان أصبح للإنسان وبوسيلة تختلف عن أصلها اللغوي.

---

[41] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص 1315.

[42] المرجع نفسه، ص 552.

[43] المرجع نفسه، ص 1393-1394.

[44] المرجع نفسه، ص 3747.

كثيرة هي ألفاظ القتال التي وردت في العصر الجاهلي وتغيرت دلالتها، نكتفي بما عرضناه، وسنعرض بعدها أمثلة عن ألفاظ القتال في العصر الحديث.

2.ألفاظ القتال في العصر الحديث:

بمجرد التعرف على تعريف المقاتل سنكتشف أن ألفاظ القتال تغيرت بشكل كبير فاق كل الخيال، سواء في الألفاظ القديمة التي شحنت بدلالات جديدة، أو في الألفاظ المستحدثة عن طريقة الترجمة والتعريب، وسنقدم نماذج مختلفة تبيّن التغيير الذي طرأ على ألفاظ القتال. وما نبدأ به هو لفظ المقاتل.

مقاتل: "شخص أو عجلة أو سفينة أو وحدة مخصصة لواجب القتال الحقيقي."[45] لم يعد المقاتل هو شخص فقط بل إنه كل آلة يمكن أن تكون سببا في القتل سواء آليات حربية تسير على الأرض كالدبابات أو في البحر كالسفن الحربية أو الجو كالطائرات الحربية بمختلف أنواعها بما فيها المسيرة عن بعد وبدون طيار.

وقوات القتال أيضا تعددت أنواعها تبعا لوظائفها، وفي هذا دلالة على تغيير كبير في ألفاظ القتال سواء بشحن الألفاظ القديمة بمعاني جديدة أو ظهور ألفاظ جديدة خاصة عن طريق الترجمة والتعريب كالأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية.

قوات القتال: هي القوات التي واجبها الرئيسي الاشتراك في المعركة، وهي تسعة أنواع نكتفي بذكر بعضها: [46]

قوة الإحتياط: في العلميات البرمائية لقوة بالحملة المشتركة المتألفة من السفن التي تحمل قطعات إحتياط أو تشكل قوة الانزال التي تنزل طبقا لخطة المناورة العامة أو حسبما يملي الموقف التعبوي. وهي تسعة أنواع نذكر منها:

قوة الحملة: هي قوة مسلحة لإنجاز واجب معين في قطر أجنبي وقوة إنذار: هي قوات خاصة مدربة بدرجة خاصة من الاستعداد.

---

[45] سامي عوض: معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص 220.

[46] المرجع نفسه، ص 397.

والأسلحة هي أيضا قد تغيرت ألفاظها كثيرا نتيجة التطور العلمي والتكنلوجي الذي سمح باختراع الكثير من الأسلحة كانت هدفا بالنسبة للدول المتقدمة بعد خوضها تجربة الحرب العالمية الأولى والثانية عرفت أهمية التسلح وقد ظهر كمظهر من مظاهر الحرب الباردة، ليصبح التسلح عنوان القوة والسيطرة والقيادة. وأصبح اليوم يحكم العالم الدول الأكثر تسلحا فهي تفعل ما تشاء كما فعلت أمريكا في دول كثيرة من العالم كأفغانستان والعراق وسوريا واليمن والسودان وليبيا، واليوم في فلسطين.

لذلك كثرت أنواع الأسلحة وما له علاقة بالأسلحة القديمة قد اصطلح عليه بالأسلحة التقليدية

أسلحة تقليدية: هي أسلحة غير نووية، يستثنى منها الأسلحة الاحيائية والأسلحة الكيماوية عدا مولدات الدخان والحريق والعوامل المستخدمة للسيطرة على أعمال الشغب.

الأسلحة الخفيفة وأسلحة متعددة الأغراض، وأسلحة متعددة القدرة، أما الأكثر فتكا فهي:[47]

أسلحة الدمار الشامل: وهي أسلحة ذات قدرة على تدمير كبير أو لاستعمالها بأسلوب لتدمير أعداد كبيرة من الناس، ويمكن أن تكون نووية أو كيماوية أو إحيائية أو إشعاعية.

أسلحة نووية: وهي الأسلحة النووية المصممة للوصول إلى تغيير في شدة التأثيرات الخاصة عدا تأثير القصف الاعتيادي.

جحفل: وهو إما:[48]

- وحدة تعبوية وإدارية مؤلفة إما من فوجين أو أكثر وإما من سريتين أو أكثر، وينطبق المصطلح على وحدات إسناد المعركة والخدمات
- عدد من السفن أو الطائرات من قوة مخصصة عادة لغرض معين
- وحدة آلية من عدد من الأقسام تعمل ككل

[47] سامي عوض: معجم المصطلحات العسكرية، مرجع سابق، ص 37-38.

[48] المرجع نفسه، ص 155.

ويتضمن عشرين نوع منها: **جحفل معركة:** وحدة تعبوية وإدارية من المشاة أو المحمولين جوا والدروع مع بقية عناصر الاسناد بمستوى قيادة دون اللواء والتي تكون المقدمات الدنيا بعدها هي السرايا، له قابلية حركة وقوة نار كبيرتان.[49]

حقل ألغام: وهو إما منطقة من الأرض تحتوي على ألغام مزروعة بصورة منظمة أو بدونها أو منطقة من البحر.[50]

دبابة: هي عجلة مصفحة توفر حماية درع ثقيل وتعمل كسلاح صولة للقطعات المدرعة والمشاة. [51]وهي ستة أنواع. ويوضح أحمد عمر مختار وصفها بقوله" سَيَّارة ضخمةٌ مُصَفّحة بصفائح الحديد، تحيط السلاسلُ بدواليبها وهي مزوّدة برشّاشات ومدافِعَ، يحتمى فيها الجنود ويهجمون منها على عدوّهم"[52]

قنبلة: هي قذيفة مجوفة مملوءة بالمفرقعات أو المواد الكيمياوية أو أية مادة أخرى حسب المادة المطلوب قذفها ترمى من مدفع.[53] وهي ثلاثة عشر نوع منها القنبلة الكيماوية والقنبلة الفسفورية.

كما ورد تعريفها في معجم اللغة العربية المعاصرة كما يأتي:" قُنْبُلة(مفرد): ج قُنبلات وقنابل: جسم معدني محشوة بالمواد المتفجرة يقذف باليد، أو من المدفع أو من الطائرة أو من الباخرة."[54] ثم قدّم أمثلة عن القنابل مثل؛ فجر السيارة بقنبلة يدوية – قنبلة موقوتة: مضبوطة بوقت معين – قاذفات القنابل– قنبلة مسيلة للدموع :تستعمل في قمع المتظاهرين.

---

[49]سامي عوض: معجم المصطلحات العسكرية، مرجع سابق ، ص 158

[50]المرجع نفسه، ص 202.

[51]المرجع نفسه، ص 237.

[52]أحمد عمر مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص 719.

[53] سامي عوض: معجم المصطلحات العسكرية، مرجع سابق، ص 392

أحمد عمر مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 1861. وقد ورد في هذا المعجم فهرس بالمصطلحات العسكرية، [54]ص 3321.

مدفعية: وهي إما:[55]

-أحد صنوف الجيش الأساسية

-كل ما يستخدم من تجهيزات ومواد وعتاد وأشخاص في المدافع أو قاذفات الصواريخ

-أسلحة كاملة لرمي القذائف، تتألف من المدافع أو قاذفات الصواريخ مركبة فوق حواضن أو قواعد ملائمة.

رشاشة وهي ثلاث أنواع: الخفيفة والمتوسطة والثقيلة

رشاشة خفيفة: هي سلاح مشاة خفيف ويبرد بالهواء وآلي، يسند على ركيزة ثنائية، يرمي من الخصر والكتف. أما **المتوسطة:** فهي رشاشة تبرد بالهواء وتملأ بالشريط من قبل شخص، تسند على ركيزة ثلاثية أو ثنائية.[56]

يصعب إحصاء ألفاظ الدالة على القتال في العصر الحديث، ولقد جُمعت في معاجم متخصصة يمكن العودة إليها وما عرضناه كنماذج غرضنا منه أن نبيّن للطالب كيفية تطبيق المنهج التاريخي في إنجاز هذا البحث.

وعليه فبعد استعراض نماذج من ألفاظ القتال في العصر الجاهلي والعصر الحديث يبدو جليا التغيير في هذه الألفاظ سواء فيما تم شحنه بدلالات جديدة غير القديمة كدبابة وجحفل وقنبلة ومقاتل وأسلحة متنوعة تتحدد بالإضافة التي تضاف إليها كالأسلحة البيولوجية. وعليه فقد تحققت الفرضية الأولى القائلة بتغير ألفاظ القتال بين العصر الجاهلي والعصر الحديث. وتحققت أيضا الفرضية الثانية التي ترجع سبب هذا التغيير إلى تبدل الأوضاع والأحوال بحكم تغير الزمان.

---

[55] المرجع السابق، 419.

[56] المرجع نفسه، ص 274.

5-تفسير نتائج البحث وكتابته:

يحاول الطالب أن يتعرف من خلال دراسته التغيير الذي طرأ على ألفاظ القتال، أن يستنتج الأسباب التي أدت إلى هذا التغيير. لأن الهدف من دراسة تطور ألفاظ القتال بين العصر الجاهلي والعصر الحديث هو تفسير أسباب هذا التغيير، وعليه فإن من بين الأسباب التي يمكن ذكرها، هي:

-أسباب تاريخية تعود لتاريخ الإنسان الحديث الذي عايش الحرب العالمية الأولى والثانية وما ترتب عن أثارها من تطوير الأسلحة.

- نتائج الحربين العالميـــة الأولى والثانيـــة التي أدت إلى الحرب الباردة والسبـــاق نحو التسلح.

- أسباب علمية ترجع إلى التطور العلمي والتكنولوجي الذي توسع في مختلف المجالات مما سمح بهذا التطور الرهيب الذي يهدد حياة الإنسان.

- التنافس على سيادة العالم والسيطرة عليه فبعد أن كان القطب الثنائي الاتحادالسوفيتي والولايات المتحدة الأميركية أصبحت هذه الأخيرة سيدة العالم.

- تجارة الأسلـحة ورغبة الشركـات المصنعة للأسلحة في ارتفـاع أرصدتها المالية على حساب حياة البشر غير مبالية بذلك.

والنتيجة التي نتوصل إليها من هذا البحث هي أننا أثبتنا أن ألفاظ القتال بين العصريين الجاهلي والحديـث قد تغيرت على مر الزمن وهي من بين ألفاظ العربيـة الأكثر تغييرا، وهذا يرجع لأسباب مختلفة سبق ذكرها.

وعلى هذا المنوال يمكنك توظيف المنهج التـاريخي في دراسة أي موضوع لغـوي، سواء تعلق بمستويـات اللغة والتي عادة ما يوظف المنهج التاريخي بصورة تتجـاوز فيها هذه الخطوات وتكـتفي فقط برصـد الألفـاظ ودلالاتها من كـل عصر وملاحظة التغييـر ومحاولة الوصول إلى الأسبـاب التي أدت إلى ذلك، دون التـزام بكل الخطوات التي قدمناها. لكن إنجاز بحث مكتمل بخطواته المنهجية حتما يتطلب الالتزام بما قدمناه لك.

1-أسس المنهج التاريخي:

انبنى المنهج التاريخي على فكرة أساسية تمثلت في التقيد بالزمان والمكان في دراسة الظاهرة اللغوية وذلك بتتبعها عبر مراحل مختلفة من نموها، وعليه يتأسس المنهج التاريخي على ما يأتي:

- يعتمد المنهج التاريخي على اللغة المكتوبة بالأساس وبمختلف مصادرها التي سبق ذكرها، ولكن لا يعني هذا أنه لا يمكن الاستعانة باللغة المنطوقة بل تصبح ضرورية في بعض الأحيان من أجل معرفة التغيير الذي حدث للغة عبر الزمن والتطور الذي شهدته لذا نحتاج أيضا لدراسة اللهجات، بوصفها تطورا عن اللغة الأم.

- الزمان: عنصر أساسي في تتبع وتفحص الظاهرة اللغوية، لأن الباحث يدرس اللغة عبر كل مراحلها من تطورها وصراعها واندثارها، من البداية الأولى إلى النهاية التي ثبتت عليها.

- المكان: إن دراسة لغة ما في فترة محددة يعني تحديد مكان استخدامها، والظروف التي عاشتها تلك اللغة، وهذا ما يساعد على معرفة أسباب تطورها، فلكل لغة ظروفها الخاصة.

- قوام المنهج التاريخي النقد والتحليل، فبالنقد يتم التأكد من صحة المعلومات حول لغة ما، وعن طريق الاستقراء والتحليل يمكن الوثوق في النتائج المتوصل إليها.

2-الخطوات الإجرائية للمنهج التاريخي:

ما نذكره من خطوات إجرائية للمنهج التاريخي، هي إجراءات تتخذها جميع التخصصات مع مراعاة تكييفها حسب طبيعة الموضوع، وهي خمس خطوات كالآتي:[1]

أولا :الشعور بالمشكلة وتحديدها :فعلى الباحث أن يراعي عند اختيار مشكلة موضوع الدراسة امتدادها التاريخي بحيث يكون لها صفة الاستمرار والدوام النسبي بما يمكن من تعقب الظاهرة

[1] رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي-أساسياته النظرية وممارسته العلمية، مرجع سابق، ص 157.

والتعرف على مراحل تطورها .وعادة يستقي الباحث مشكلة الدراسة من ميدان تخصصه ومن خلال اطلاعه على الدراسات السابقة.

ثانيا :جمع البيانات والمعلومات أو المادة التاريخية :بعد تحديد المشكلة واختيار موضوع الدراسة يقوم الباحث بجمع البيانات والمعلومات من مصادرها المختلفة.

ثالثا :تحليل المصادر ونقدها: يتضح من مصادر المعلومات التاريخية أنها في معظمها مصادر غير مباشرة وقديمة وهذا يضفي شكوكا حول دقتها وصدقها؛ لذا يجب على الباحث التأكد من صحة المعلومات التي جمعت حتى يكون البحث أكثر مصداقية وأمانة، وذلك عن طريق نقدها، وينقسم النقد إلى نوعين هما:[2]

1-**النقد الخارجي:** ويتضمن التأكد من صحة الوثيقة محل البحث من حيث صحة نسبتها إلى صاحبها؛ وذلك لما تتعرض له كثير من الوثائق من حشو وتزييف وإضافات دخيلة أو تحريف؛ لأسباب كثيرة وأشكال متعددة، بحيث يحتاج الأمر التأكد من مصدر الوثيقة وزمانها ومؤلفها.

2-**النقد الداخلي:** ويقصد به تقييم محتوى الوثيقة وصحة ومعنى الكلام الموجود فيها، والتأكد من دقتها.

رابعا :صياغة الفروض وتحقيقها: وهي عبارة عن حل مؤقت لإشكالية البحث، وقد يكون إجابة محتملة للسؤال البحثي .وتتطلب الفروض في البحوث التاريخية مهارة فائقة وخيال واسع من قبل الباحث لأنه يدرس ظاهرة وقعت في الماضي.ويقوم الباحث بجمع المادة العلمية وفقا لنظام معين زمني أو جغرافي أو موضوعي أو مزيج من هذه النظم .ويعتبر حصول الباحث على المعلومات ونقدها وتحليلها بمثابة إثبات للفروض والتحقق منها.[3]

---

[2] ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، ط7، 2015، ص177-178.

[3] فاطمة عوض صابر ومرفت علي خفاجة، أسس ومبادئ البحث العلمي، مرجع سابق، ص 49.

خامسا :استخلاص النتائج وكتابة التقرير :بعد أ ن يتم الانتهاء من جمع البيانات والمعلومات وتحليلها وتقييمها والتوصل إلى إثبات صدق الفروض بعد إجراء التعديلات الضرورية عليها.

وهناك من يجعل خطوات المنهج التاريخي هي خطوات المنهج العلمي فحصرها فيما يأتي:[4]

1. تحديد موضوع البحث
2. تحديد أهداف البحث
3. استطلاع الدراسات السابقة
4. تحديد الفروض وصياغتها
5. جمع المعلومات والبيانات
6. تحليل المعلومات وتفسيرها
7. استخلاص النتائج
8. كتابة التقرير

هذه خطوات المنهج التاريخي التي تستخدمها كل التخصصات العلمية ومن بينها البحث اللغوي، وإنْ كان الباحث اللغوي يعتمد على الأسس الآتية في تحليل المادة اللغوية الحية والمدونة:[5]

-مقارنة الظواهر المرتبطة بتاريخ حدوثها إن أمكن ذاك، وملاحظة تغيير هذه الظاهرة من فترة إلى أخرى

-عند افتقاد التحديد التاريخي يمكن مقارنة المادة اللغوية المتفرقة قديمها وحديثها واستنباط مظاهر التطور ومساراته من خلال بناء الاجتهاد القائم على أساس مجموعة من الاتجاهات

[4]عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث ، مرجع سابق، ص 71.

[5]صلاح الدين صالح حسين: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1984.ص 204.

مثلا الاتجاه إلى التخفيف في بعض الصيغ، بحيث يمكن استنباط أن الصيغة الخفيفة أحدث من اللهجة التي تتداول الصيغة الكاملة، ونتيجة لهذا التخفيف قد تتحول الأفعال إلى أدوات مثل تحول الفعل نَعِمَ إلى نِعْمَ، وكان الكاملة إلى الناقصة.

إن الاعتماد على المادة المدونة لوحدها غير كاف لفهم ومعرفة أسباب تطور الظاهرة اللغوية، وعليه يجب الاستعانة بالمادة الحية أي اللهجات المنطوقة، وذلك بالقيام بجمع الصور النطقية المتنوعة أو ما يعرف بالأطلس اللغوي لأن دراسة اللهجات تعتبر أداة توضح جوانب من التاريخ اللغوي القديم، أي أنها وسيلة لفهم الماضي.

3-خصائص المنهج التاريخي:

من أهم مميزات المنهج التاريخي، الآتي[6]:

-يهتم المنهج التاريخي بدراسة ظواهر حدثت في الماضي حيث يتم تفسيرها بهدف الوقوف على مضامينها والتعلم منها ومعرفة مدى تأثيرها على الواقع الحالي للمجتمعات واستخلاص العبر منها.

-المنهج التاريخي مستمد من دراسة التاريخ حيث يعمل الباحث على دراسة الماضي وفهم الحاضر من أجل التنبؤ بالمستقبل.

-يمكن استخدام المنهج التاريخي في حل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي.

-يساعد المنهج التاريخي في إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة ومستقبلية.

ما نخلص إليه بخصوص المنهج التاريخي أنه منهج يختص بدراسة تاريخ وماضي الظاهرة في محاولة لرصد تطوراتها والتغيرات التي تصيبها عبر الزمن للوصول إلى أسباب هذا التغيير وتفسير الصورة الحالية للظاهرة وما كانت عليه في الماضي.

[6] محمد سرحان على المحمودي: مناج البحث العلمي، دار الكتب، صنعاء، ط 3، 2019، ص 37

والمنهج التاريخي منهج تستخدمه كل العلوم والتخصصات لمعرفة تاريخ أية ظاهرة ولكن كل تخصص يكيّف الخطوات الإجرائية لهذا المنهج حسب طبيعة الموضوع، وما يميز المنهج التاريخي أنه يطلعنا على تاريخ اللغة ويفسر لنا سبب تغيرها إلى أن أصبحت على حالتها الحاضرة. وبالتالي يمكن الاستفادة من هذه المعلومات لتوقع ما يمكن أن يحدث للغة إنْ تكررت الظروف نفسها.

وفي البحث اللغوي التاريخي تطلّع الباحثون لمعرفة القوانين التي تحكم تغير الظاهرة اللغوية، تأسيا بقوانين العلوم الطبيعية وإن كانت لا ترقي إلى مستواها من الدقة، لأنها في حقيقتها مجرد نظريات تحاول أن تفسر أسباب التغيير اللغوي، وقد تصدق على لغة ما ولا تصدق على أخرى، ذلك أن لكل لغة ظروفها الخاصة التي أدت إلى تغيراتها النسبية.

الأعمال الموجهة:

دراسة تاريخية لأدوات الاستفهام بين العصر العباسي والعصر الحديث

يجب عليك في هذا البحث بعد أن تحدد الإشكالية المتمثلة في معرفة تطور أدوات الاستفهام بين هذين العصرين أي الكيفية التي استخدمت بها في العصر العباسي والعصر الحديث لتلاحظ التغيرات التي طرأت في كيفية استخدامها، أو في أكثر الأدوات شيوعا.

وذلك بجمع المصادر والمراجع المتعلقة بالفترتين الزمنيتين وبعد ذلك تبدأ عملية الفحص والاستقراء والتحليل للتعرف على أي الأدوات استخدمت أكثر في هذين العصري والكيفية التي استخدمت بها، لتصل إلى نتائج البحث بخصوص تطور استخدام أدوات الاستفهام بين العصرين، وتفسير أسباب هذا التطور.

المنهج التاريخي وقضايا اللغة

يسمح المنهج التاريخي بدراسة مختلف قضايا اللغة وعلى جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بل وحتى أساليبها البيانية والبلاغية وما طرأ عليها من تغيير، سواء بفعل التطور الذاتي أم بالتطور المترتب على اطلاع أدبائنا وكتابنا على الآداب الأخرى. ذلك أن التتبع التاريخي يرصد هذه الظواهر في منابعها، وتوجهاتها، والسعي نحو تفسيرها تفسيرا ينطلق من الواقع النصي الذي يعد الوثيقة التاريخية.[1]

وعليه فالمنهج التاريخي صالح لدراسة تطور اللغة في جميع مستوياتها، وسنقدم بعض الأمثلة عن ذلك، كما أنه صالح لدراسة أي موضوع من موضوعات البحث اللغوي.

1-المنهج التاريخي وقضايا التطور الصوتي:

1-1-مفهوم التطور الصوتي:

التطور الصوتي هو التغيير الذي يحدث على مستوى بعض الأصوات من لغة ما لظروف معينة، طمح أصحاب المنهج التاريخي للوصول إلى وضع قوانين خاصة بتفسير التطور اللغوي حتى تصبح الدراسة التاريخية للغة علم له قوانينه المضبوطة، اقتداء بقوانين علم المادة والطبيعة، ولقد تحقق جزء من هذا الطموح باكتشاف بعض القوانين كما هو الحال مع "قوانين قريم " الصوتية.

ولكن هذه القوانين لا تصل إلى مستوى قوانين المادة الثابتة في الزمان والمكان، وإنما هي قوانين نسبية تُعبر عن علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي معين، لتفسر سبب تطور صوت ما في لهجة دون أخرى. لأنها تُنبئ فقط بقدر معين من الاطراد في التطورات السابقة في حدود زمانية ومكانية للغة معينة تحت ظروف محددة.[2] فهي ليست ثابتة

[1] أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، مرجع سابق، ص26.

[2] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي – مظاهره وعلله وأسبابه، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1997، ص 18-19.

يمكن أن نتبأ من خلالها على حدوث التغير على مستوى هذا الصوت كلما توفرت الظروف نفسها.

ذلك أن "الذي يجمع بين حالين متتابعين في لغة واحدة إنما هو رباط تخلقه وليس رباطا طبيعيا؛ لذلك لا يمكن أن نعرف مقدما كيف يتطور هذا الصوت أو ذاك، لأنه يوجد دائما في تطور الأصوات عدد يكثر أو يقل من العوامل غير المنظورة التي تنتج أثرها."[3] وهذا ما لا يسمح باعتبارها قوانين على وجه الحقيقة كما هي قوانين المادة أو حتى قوانين العقوبات لأن هذه الأخيرة إلزامية والقوانين اللغوية ليست كذلك، ولا يمكن تحقيقها حتى لو توفرت الظروف نفسها.

وعليه فإن ما يجعلها تسمى قوانين هو ما تمتاز به من خصائص متنوعة من أهمها ما يلي:[4]

1-إن التغيير اللغوي يسير ببطء وتدرج؛ فلا يكاد يتبينه إلّا الراسخون في ملاحظة هذه الشئون، ولكنه يظهر في صورة جليّة إذا وازنا بين حالتين في جيلين تفصلهما مئات السنين.

2- أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية، فتحول صوت الثاء العربية مثلًا إلى تاء "ثلاثة، تلاتة"، والذال إلى دال "ذراع، دراع"

3- أنه جبري الظواهر؛ لأنه خضع في سيره لقوانين صارمة، لا اختيار للإنسان فيها، ولا يد لأحد على وقفها أو تعويقها، أو تغيير ما تؤدي إليه، واللغة العربية مثال لذلك فرغم محاولة الحفاظ على أصواتها، فإن ذلك لم يحل دون تطور أصواتها ما هي عليها الآن في اللغات العامية.

4- أنه في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان؛ فمعظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها

[3] فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، مصر، دط، 2014، ص 72.
[4] المرجع نفسه 285- 287. و رمضان عبد التواب: التطور اللغوي علله، ص 20- 22.

على بيئة معينة وعصر خاصٍّ، ولا نكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة.

5- أنه مطرد ؛ إذا لحق صوتًا معينًا في بيئةٍ ما، ظهر أثره غالبًا في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت، وعند جميع الأفراد الذين تكتنفهم هذه البيئة؛ فتحول القاف العربية مثلًا إلى همزة في بعض المناطق المصرية قد ظهر أثره في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت عند جميع أفراد هذه المناطق.

أما العوامل التي تؤدي إلى تطور الأصوات فيرجع أهمها إلى الأمور الآتية[5]:

- التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق في بنيتها واستعداها.
- اختلاف أعضاء النطق في بنيتها واستعدادها باختلاف الشعوب.
- الأخطاء السمعية.
- تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض.
- موقع الصوت في الكلمة.
- تناوب الأصوات وحلول بعضها مع بعض.
- أثر الأمور النفسية والاجتماعية والجغرافية.
- أثر العوامل الأدبية.

2.1.نظريات تفسير التطور الصوتي: لقد أفضت دراسة تطور أو تغير الصوت عبر الزمن إلى ظهور عدة تفسيرات لهذه الظاهرة اللغوية فكانت التفسيرات وجهات نظر مختلفة حاولت أن تجد ما تظنه سببا لهذا التغير من بين هذه النظريات نذكر:[6]

1. التغيرات التشريحية: وترجع سبب تغير الصوت إلى طبيعة الجهاز الصوتي الذي يتغير من جيل إلى آخر، ذلك أن بعض الأبحاث التشريحية أثبتت أن أعضاء الجهاز التنفسي

[5]على عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط9، 2004، ص 289.

[6]صلاح الدين صالح حسين: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، مرجع سابق، ص 205-206.

للإنسان القديم تختلف عن الإنسان المعاصر، وبالتالي سيسهم هذا في تغير صفات الأصوات وكيفية نطقها. مثال ذلك تغير نطق الضاد في العربية.

2-نظرية التاريخ الاجتماعي: وترجعه إلى فترات الاضطراب التاريخي حين تصبح لغة ما في صراع مع لغة أخرى بسبب الغزو، مثال ذلك تطور اللغة اللاتينية في الفترة المضطربة التي اجتاحت إيطاليا.

3-نظرية السهولة: ترجعه إلى أن طبيعة الإنسان تميل إلى الكسل والتراخي، وبناء على ذلك يفسر سبب تغير بعض الأصوات لأنه نوع من الميل في الاقتصاد في الجهد طلبا لسهولة والتخلص من الأصوات الصعبة. لكن السهولة والصعوبة نسبيتان تختلف بين البشر.

نظرية التقليد: أثناء تطور الأصوات قد يحدث أن صوتا يحل محل الآخر، مثل تطور الثاء إلى تاء في لهجة القاهرة. كما في ثعلب وتعلب، ويؤيد هذه النظرية رأي جسبرسن في أن أصل التغيير الصوتي يرجع إلى تقليد العادات الكلامية عند أناس آخرين.

4-نظرية تداخل الكلام: وتنجم عن تداخل لغتين، وينشأ التداخل عندما يحاول المتحدث المزدوج اللغة أن يعقد تشابه بين الفونيم في لغته ولغة الثانية.

إضافة إلى هذه النظريات نجد أخرى يذكرها إبراهيم أنيس في كتابه "الأصوات اللغوية" نذكر منها ما يأتي:[7]

1.البيئة الجغرافية: وتفسر هذه النظرية التغيرات الصوتية بأنها خاضعة لطبيعة البيئة الجغرافية حيث أن سكان الأرياف يمتازون بخشونة الصوت وأهل المدينة خلاف ذلك. وهذا ما حاول أن يثبته الألمانيH.Collitz في تفسير تطور الأصوات الشديدة في المناطق الجبلية

[7]إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دط، دت، ص 164-173.

(b /d/g) فتهمس أولا إلى (p/t/k) ثم تقلب إلى نظائرها الرخوة(الفاء، الثاء، الهاء) على الترتيب.

2.نظرية الحالة النفسية: يفسر بعض الباحثين تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة أو العكس إلى الحالة النفسية فحين تتوفر ظروف الاستقرار والرفاهية تميل الأصوات للتغير نحو الرخاوة، وحين تشتد ظروف الحياة وتقسوا على الإنسان يميل بصوته للشدة . ويستدولن كما سبق ذكره بحالة الشعب الألماني.

3.نظرية الشيوع : نادى بها " vilhelm thomsen" ، ويرجع سبب تغير بعض الأصوات إلى شيوع تداولها أكثر من غيرها ، كشيوع أصوات المد واللين والشفوية (م، و،ب) أكثر من غيرها لخفتها.

4.مجاورة الأصوات: ترجع سبب التغيير إلى تأثير الأصوات على بعضها وما ينجم عنه من رغبة المتحدث في استبدال صوت بآخر طلب للسهولة كما هو الحال في الإدغام والإبدال.

لقد انتقدت هذه النظريات لأنها مجرد وجهات نظر لا يمكنها أن تفسر التغيير الصوتي عند كل اللغات، وليس صحيحا ما ذهب إليه بعض العلماء من أن تطور الأصوات يحدث نتيجة لأعمال فردية اختيارية تنتشر عن طريق التقليد والمحاكاة، ولا عن طريق التهذيب والكمال، أو التسهيل والاقتصاد، وتمييز الأصوات، لأن هذه الاتجاهات ترجع سبب التغيير إلى تطور اختياري مقصود، تقوده الإرادة الإنسانية في سبيل الإصلاح. خلاف طبيعة التطور الصوتي فهي تلقائية آلية لا دخل فيه للإرادة الإنسانية، وحال اللغة العربية الفصحى وما آلت إليه من لهجات خير دليل على ذلك. فالواضح أن هذا التطور لم يتجه نحو التهذيب والكمال، ولم يحقق زيادة في تمييز الكلمات، بل أدى في معظم مظاهره إلى اللبس في وظيفة الكلمات ودلالاتها، وجرد اللغة مما بها من دقة وسموّ، وهوى بها إلى منزلة وضيعة في التعبير.[8] وعليه

[8] عبد الواحد وافي: علم اللغة، ص 287-288.

فإن كل تفسير للتطور الصوتي مرده للإرادة الإنسانية ورغبها في التغيير لدوافع معينة يراه عبد الواحد وافي مخالفا لطبيعة التغيير الصوتي في حد ذاته. لذلك يعتبرها مجرد عوامل مساعدة على التغيير.

2-المنهج التاريخي وقضايا التطور الصرفي:

رغم ثبات القواعد الصرفية إلا أنه يطرأ عليها بعض التغيير ولو كان بطيئا وهذا ما يكشفه تطبيق المنهج التاريخي من تغيرات حدثت في أبنيتها الصرفية حسب حاجة كل عصر وظروفه، ففي زمننا هذا خاصة قد احتاج العلماء لاستحداث قوالب صرف جديد من أجل مسايرة التطور العلمي وما استحدثه من أجهزة، ومن مصطلحات علمية كاعتبار ياء النسبة والتأنيث في قولنا (سيمياسية –أسلوبية –تأويلية ....) دالة على العلم أي (علم السيمياء، علم الأسلوب، علم التأويل) مع أنها ليست كذلك في حقيقتها.

والفرق بين التغيير الصوتي والتغيير الصرفي "يظهر في نتائجهما، فالتطور الصوتي عام شامل لا يترك وراءه بقايا، إذ أنه يستبدل حالا جديدة، مكان حال قديمة، أما التطور الصرفي، فينذر أن يشمل جميع الحالات التي يؤثر فيها، فهو يدع إلى جانب الصيغ الجديدة التي يستحدثها عددا كبيرا من الصيغ القديمة التي تستمر في الاستعمال. وهكذا تترك كل حلقة من حلقات التطور الصرفي بقايا لها"[9]

ومن ذلك بعض الصيغ الصرفية قد كانت سماعية فأصبحت قياسية لكثرة الحاجة إليها وكذلك المصادر الصناعية وظاهرة النحت كانت قليلة ثم كثرت أمثلتها عبر العصور وهناك أوزان فعلية ثم هجرت هجرانا نحو: إفعنلل كاقعنس، وافعلى كاسلنقى، وافعول كالوذ. وثمة صيغ صرفية لم يحفظ لنا الاستعمال مجردها الذي يقال أنه الأصل وحفظ لنا المزيد الذي يعد فرعا، مثل: طمن التي منها اطمأن، ومسى التي منها أمسى. وثمة صيغ لم يعد منها سوى المضارع

[9] ج.فندريس: اللغة، مرجع سابق، ص 204.

مثل، (يدع ويذر) من (ودع وذر).[10] لذا كان الدرس الصرفي في حاجة إلى أن يدرس بالمنهج التاريخي بغرض التأصيل التاريخي، ومراقبة مسيرة القواعد من حيث الشيوع والتواتر على مر العصور التي مرت بها العربية.

3-المنهج التاريخي وقضايا التطور النحو:

قد يبدو أن النحو قواعد ثابتة لا تتغير أبدا، ومن يتجاوزها فقد لحن وعليه أن يُقوّم كلامه بالتزام هذه القواعد فيصحح قوله وخطأه. لكن الحقيقة التي ينبغي التسليم بها أن اللغة العربية مثلها مثل غيرها من اللغات تتطور وتتغير، غير أن النحاة حاولوا بحكم ارتباطها بالنص القرآني أن يوحدوا أنموذجها ويثبتوا معاييرها حتى لا تبتعد عن لغة القرآن، ولهم في ذلك مبرراتهم مثلهم مثل أي أمة اتخذت لنفسها معيارا ثابتا تعده الفصيح.[11]

ومع ذلك فإن تراكيب اللغة يمكن أن يحدث فيها تغيير حسب حاجة الاستعمال في كل عصر، فأنماط الجملة التي ربما استعملت في القرآن الكريم لم يعد مستعملا في العصور اللاحقة مثل الجملة الشرطية في قوله تعالى:﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ 23 الإسراء، فهي تتكون من أن الشرطية +ما+ الفعل المؤكد. وكذلك أسلوب توالي الإضافات، قل استخدامه في عصر الاحتجاج، وقد كثر كثرة بالغة في زمننا لأنه يسد حاجة التسمية والمصطلح بالتعبيرات التركيبة (هيئة الأمم المتحدة).[12]

ومن التغيرات التي لاحظها رمضان عبد التواب على المستوى النحوي ما سماه " سيادة الحالة الواحدة من الحالات الإعرابية" ويحدث ذلك حين تفقد اللغة المورفيمات الإعرابية وظيفتها، فتعتمد على ترتيب الكلمات، وتسود صورة واحدة من الصور الإعرابية، وقدّم أمثلة عن ذلك من اللهجات العربية المعاصرة كاللهجة المصرية التي استغنت عن النون في الأفعال: تأكلي

[10] إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، مرجع سابق، ص 35.

[11] المرجع نفسه، ص33.

[12] المرجع نفسه، ص 34.

وتشربي.[13] والأصل فيها تأكلين وتشربين، وكذلك حال اللهجة الجزائية. وأضاف إلى هذا التغيير ما أسماه "طغيان الحالة الإعرابية على أخرى" ومن أمثلة ذلك طغيان صيغة الإسناد إلى جمع الغائبات في قولنا الطالبات جاؤوا، قعدوا، وباللهجة الجزائرية " جاو الطالبات راهم يقراو" وأصلها جاءت الطالبات وهن يقرأن".

وهذا ليس خاص باللهجات وإن أصبح قاعدة فيها، ولكن ظهر أيضا في بعض الكتابات العربية القديم مثلما وجده الباحث في أخبار مصر للمسبحي (المتوفى 420) في قوله:(شاهد من سُكر النساء، وتهتكهم، وحملهم في قفاف الحمالين سكارى، واجتماعهم مع الرجال أمرا يقبح).[14] وفي هذا دلالة على طغيان الحالة الاعرابين للمذكر على المؤنث ظاهرة قديمة وليست وليدة اللهجات العامية.

4-المنهج التاريخي والتطور الدلالي للألفاظ:

إذا كان التغيير في كل مستويات اللغة السابقة بطيئا قد لا يلحظه الإنسان فإن التغيير الدلالي بالنسبة إلى دلالة الألفاظ قد يبدو واضحا حتى بين الآباء والأبناء فبعض المفردات تنقرض وأخرى جديدة تحل محل ذلك الاستعمال. ذلك أن المفردات لا تستقر على حال لأنها تتبع الظروف التي يعيشها الإنسان فقد تزيد مفرداته أو تقل وتتغير معانيها في حركة دائمة.

فالتطور الدلالي هو الانتقال الحاصل في دلالة الألفاظ سواء أكان انتقالا سلبيا – بموت الدلالة – أم ايجابيا-باستمرار الدلالة القديمة وولادة دلالة جديدة أخرى.[15] وهذا ما يميز طبيعة اللغة الشبيهة بالكائن الحي لتأثرها بالعوامل الخارجية والداخلية على حد سواء.

إن التغير الدلالي ظاهرة طبيعية في اللغة، تعكس قدرتها على التجدد حسب حاجيات متداوليها، كما أنها تجسد قدرتهم الإبداعية -خاصة ما تعلق بالمجاز-في شحن الألفاظ بدلالات جديدة،

---

[13] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وأسبابه، مرجع سابق، ص 177

[14] المرجع نفسه، ص 179-180.

[15] مشتاق عباس معن: المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001، ص66.

قد تقترب من الدلالة القديمة أو تختلف عنها تماما، فيصبح للكلمة معنى جديدا قد يصبح هو الأخر قديما ويفسح المجال لمعنى جديد، ليبقى التطور الدلالي سمة من سمات اللغة.

فكلمة الحاجب التي كانت تطلق على رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية ثم صارت لا تعنى سوى الحارس.[16] ويرجع سبب الابتذال في بعض حالاته إلى تباغض الناس والاحتقار الموجود بين طبقات المجتمع أو إلى التعصب الأعمى الذي يحملهم على التنابذ بالألقاب.[17] مما يسهم في تغير الدلالة نحو الابتذال.

وكثرة استعمال الكلمة بالمعنى المجازي يؤدي غالبا إلى انقراض المعنى الحقيقي لصالح المعنى المجازي، مثل (المجد والوغى والغفران) فأصل المجد امتلاء بطن الدابة من العلف، ثم استعملت مجازا لدلالة على الامتلاء بالكرم، وانتقل معنى الوغى من اختلاط الأصوات في الحرب إلى الحرب نفسها، ومعنى الغفران من الستر إلى الصفح عن الذنوب.[18]

ولقد توصل الباحثين إلى تفسير أسباب هذا التغير ومظاهره مثلما فعل إبراهيم أنيس في كتابه "دلالة الألفاظ" حيث قسّم أسباب التطور الدلالي إلى قسمين: الأول يرجع إلى استعمال اللغة؛ المتمثل في سوء الفهم، وبلى الألفاظ، والابتذال.

والقسم الثاني إلى الحاجة بسبب التطور الاجتماعي والاقتصادي واستعارة بعض الألفاظ الأجنبية الخاصة بتلك البيئة. أما مظاهر التطور الدلالي فقد حصرها في: تخصيص الدلالة وتعميمها، انحطاط الدلالة ورقيها، تغيير مجال الاستعمال، ودواعي المجاز.

---

[16] إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط5، 1984، ص 142.

[17] ج.فندريس: اللغة، مرجع سابق، ص 266.

[18] عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط4، 1983، ص 22.

4-1-أسباب التطور الدلالي-الاستعمال:

أو الأسباب غير المقصودة؛ لأن البشر أثناء تواصلهم باستخدامهم اللغة كأهم وسيلة للتواصل والتعبير عن حاجاتهم، تحدث تغيرات لبعض الألفاظ نتيجة هذا الاستعمال من غير أن يقصدوا ذلك. ومن بين الأسباب المؤدية إلى ذلك يذكر إبراهيم أنيس الأسباب الآتية:

4-1-1 -سوء الفهم: ينجم في أغلب الأحيان نتيجة للظروف التي يتلقى فيه الفرد كلمة ما قد تحمل له بعض الغموض الذي يجتهد في تجليته بمفرده، عن طريق نوع من القياس الذي يعتمد فيه على مخزونه اللغوي فيلجئ إلى قياس ما لم يعرفه على ما يعرفه، فيصيب أحيانا ويخطئ أخرى، وهنا تتولد الدلالة الجديدة فتصادف الشيوع والذيوع بين الناس، ومثال ذلك استعمال الطلبة للفظة العتيد بمعنى العتيق.[19] وقد تتعايش الدلالتين القديمة والجديدة جنبا إلى جنب، وهذا ما يفسر سبب وجود المشترك اللفظي على صورته الأصلية الحقة على حد قول إبراهيم أنيس في الكلمة التي تحمل دلالتين مختلفتين مثل: كلمة الأرض التي تعني الكوكب المعروف وتعني الزكام.[20]

4-1-2 -بلى الألفاظ: ويقصد بها اندثار دلالات بعض ألفاظ لأنها ستشحن بدلالات جديدة وإن لم تكن مقصودة مثلما حدث مع: كلمة كماش الفارسية بمعنى نسيج من قطن خشن فتطورت الكاف إلى قاف، فشابهت الكلمة العربية (قماش) وهو ما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لرُذالة الناس قماش. وبهذا نسيت الكلمة الأصلية وحلت محلها الكلمة العربية، لما أصاب اللفظ من تغير في صورته صادف أن وجد لفظا آخر يشبهه، فاختلطت الدلالتان.[21]

---

[19] إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1984، ص 137.

[20] المرجع نفسه، ص 136.

21 المرجع نفسه، ص138.

لكن رمضان عبد التواب يرجع سبب هذا التطور الدلالي في المثال السابق إلى التقارب الصوتي بين صوتي الكاف والقاف لتشابه الكلمتين (كماش وقماش).[22] وربما كان اجتماع السببين معا هو الذي يعطي تفسيرا مكتملا لتطور كلمة قماش.

4-1-3-الابتذال: وهو الحط من قيمة الشيء وشأنه، ويحدث الابتذال **لأسباب سياسية واجتماعية، ونفسية** حيث يلجأ الأفراد إلى الابتعاد عن التصريح بالألفاظ المرتبطة بالقذارة والدنس، أو بالغريزة الجنسية بألفاظ أقل تصريحا وأكثر تعمية.[23] مثلما ورد في القرآن في قوله تعالى:﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ ﴾والغائط ما اتسع من الأودية وجُعل كناية عن قضاء حاجة الإنسان لأن العرب كانت تختاره، فكثر ذلك منها حتى غلب عليهم ذلك، وكذلك "لامستم" فهي كناية عن مباشرة النساء، وبهذا تغيرت دلالة اللفظين طلبا لرفع الحرج ومن باب الحياء والاحترام.

ومثال الأسباب السياسية كلمة الحاجب التي كانت تطلق على رئيس الوزراء في الدولة الأندلسية ثم صارت لا تعنى سوى الحارس.[24] ويرجع سبب الابتذال في بعض حالاته إلى تباغض الناس والاحتقار الموجود بين طبقات المجتمع أو إلى التعصب الأعمى الذي يحملهم على التنابذ بالألقاب.[25] مما يسهم في تغير الدلالة نحو الابتذال.

4-1-4-اختصار العبارة: حيث يلخص محتوى العبارة في كلمة واحدة تصبح هي الأكثر انتشار وتداولا مثل قولنا: "فلان بلغ" بمعنى بلغ الحلم وسن الشباب. ومن هذا القبيل قول سيبويه: "وإنما أضمروا ما كان يقع مظهرا؛ استخفافا، ولأن المخاطَب يعلم ما يعني، فجرى

[22] رمضان عبد التواب: التطور اللغوي، مرجع سابق، ص 191.

[23] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 139.

[24] المرجع نفسه، ص 142.

[25] ج. فندريس: اللغة، مرجع سابق، ص 266

بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليك! وقد عرف المخاطب ما تعني، أنه لا بأس عليك، ولا ضرّ عليك، ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم."[26] كما أشار إلى ذلك سيبويه.

4-2-أسباب التطور الدلالي -الحاجـــــة:

كما سبق الإشارة إليه، فإن إبراهيم أنيس قد قسّم أسباب التطور الدلالي إلى قسمين "الاستعمال والحاجة " والاستعمال يمثل القسم اللاشعوري بحيث يحدث في كل لغة دون الشعور به إلا بعد المقارنة بين العصور، وقسم يقوم به أهل صناعة الكلام ومجامع اللغوية المتخصصة وهذا النوع أقل تأثيرا في اللغة. وهو الذي يندرج ضمن الحاجة.

4-2-1-التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي: إن تقدم المجتمعات وازدهار يغيّر من ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مما ينجر عنه تغير في طباع الناس وعاداتهم أيضا، فيحتاجون للتعبير عما استجد في حياتهم وعلى جميع الأصعدة، بمدلولات جديدة يشحنوا بها الدوال(الألفاظ) القديمة ملتمسين في ذلك وجه من الشبه بين الاستعمال القديم والاستعمال الحديث، مثل الدبابة، الطيارة، القاطرة، السيارة.[27] وقد تكون للدعاية السياسية والاقتصادية دورا في توليد دلالات جديد في الترويج لبضاعتهم كأن يُسمي الحلاق محل الحلاقة بدار الزينة.[28]

"وينحرف الناس عادة باللفظ من مجاله المألوف إلى أخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ، وما تعلموه من كلمات، فهنا قد يلجئون إلى تلك الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها على التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والحديث."[29]

---

[26] سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988، ج1، ص 225.

[27] إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص 146.

[28] المرجع نفسه، ص 149.

[29] المرجع نفسه، ص 130.

وقد يكون سبب التغيير ليس الحاجة فقط بل الرغبة في الخروج عن الرتابة لتوضيح الدلالة، يُسهم فيه عامة الناس، فيتكون نوع من المجاز الذي لا ينتمي إلى فرد بعينه بقدر ما ينتمي إلى البيئة التي ولد فيها.أما حين يتصدى الأدباء والشعراء لهذا الدور فهو الإبداع الذي يظل حقبة من الزمن محل الإعجاب ثم ما يلبث أن يصبح من الحقيقة وتبلوا طرافته.[30]

كثرة استخدام الخاص في معان عامة طلبا للتوسع يُعد سبب اجتماعي، ومع مر الزمن يخرج من إطار الخاص إلى العام مثل كلمات (البأس والورد والرائد) فالبأس أصله الحرب، ثم انتقل للتعبير عن كل شدة، وأصل الورد إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء وردا، وكلمة الرائد أصلها طالب الكلأ ثم أطلقت على كل حاجة رائدا.[31]

وكثرة استعمال الكلمة بالمعنى المجازي لها يؤدي غالبا إلى انقراض المعنى الحقيقي لصالح المعنى المجازي، مثل (المجد والوغى والغفران) فأصل المجد امتلاء بطن الدابة من العلف، ثم استعملت مجازا لدلالة على الامتلاء بالكرم، وانتقل معنى الوغى من اختلاط الأصوات في الحرب إلى الحرب نفسها، ومعنى الغفران من الستر إلى الصفح عن الذنوب.[32]

4-2-2-تأثر لغة بلغة أخرى: وهو عند إبراهيم أنيس الاستعارة من لغة أخرى؛ وذلك لحاجتها في الأخذ من غيرها، خاصة ما يتعلق بالجانب المادي للحياة حين تسبق بعض الشعوب إلى التقدم والحضارة مما يخلق في لغتهم من الألفاظ ما لا يوجد عند غيرهم. مثلما حدث في اللغة العربية من انتقال مفردات الفُرس واليونان مثل: الإبريق، الخز والعنبر والمسك.[33] أو مثل لفظة التبغ فقد انتقلت إلى معظم سكان العالم محافظة على التسمية الأصلية في الفرنسية

---

[30] المرجع السابق، ص 131.

31 عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، مرجع سابق، ص 21

[32] المرجع نفسه، ص 22.

[33]المرجع نفسه، ص 26.

والانجليزية.[34] ثم صبغت بصبغة اللسان العربي لتنسجم مع الخصائص الصوتية للغة المنقول إليها، وكذلك لفظة "التلفاز".

5-المعاجم التاريخية:

أهم ما يقدمه المنهج التاريخي في دراسة اللغة من الناحية المعجمية هو اعداد المعاجم التاريخية وهي نوع من المعاجم يهدف إلى رصد تاريخ الألفاظ ومعانيها من خلال تتبع تطورها منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا، مما يتوجب أن يحتوي المعجم على تاريخ استعمال اللفظ، وتوثيق تاريخ اللفظ من ناحية شكله ومعناه واستعماله، برصد الشواهد ابتداء من أول ظهور إلى آخر استعمال. فالمعجم التاريخي يؤرخ لتطور الألفاظ في دلالتها (تعميما وتخصيصا، رقيا وانحطاطا) وفي استعمالها (شيوعا، وندرة، مكانا، وزمانا، وموضوعا).[35]

فإذا اشتمل المعجم على جميع ألفاظ اللغة فيسمى" المعجم التاريخي العام" أما إذا اختص بألفاظ أو مصطلحات علم من العلوم سمي" المعجم التاريخي الخاص"، وهي تهتم برصد تاريخ الكلمات وتغير دلالتها عبر الأزمنة، ومن أشهر المعاجم معجم أكسفورد للغة الانجليزية، وذلك لأهمية هذا النوع من المعاجم بالنسبة للغة، فكثيرة هي فوائده نذكر منها:[36]

- التمييز بين الأصيل والمعرب أو الدخيل، الذي وفد إلى العربية من لغات أخرى على مر العصور.
- تتبع سيرة حياة اللفظ العربي وذلك عبر مراحل ومنية متتابعة وفي مجالات استعماله المختلفة مع ملاحظة ما طرأ على الألفاظ من تطور أو تغيير في الشكل والمضمون في كل عصر من عمر اللغة.

---

[34] المرجع السابق، ص 28 – 29.

[35] علي القاسمي: علم المصطلح-أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2، 2019، ص 753.

[36] إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، مرجع سابق، ص 27.

- التعرف على المؤثرات التي تتحكم في سيرة حياة الألفاظ العربية لما لها من أهمية من حيث أنها تقف بنا على أسباب غياب كثير من الألفاظ التي امتلأت بها المعاجم عن أفق الاستعمال اللغوي أو انحصرت لتصبح رمزا خاصا بالماضي، والجانب الآخر الوقوف على العوامل المتحكمة في مستقبل الثروة اللغوية وذلك بالوقوف على أسباب موت الألفاظ وحياتها.

إنّ الملاحظ من التّعريف أنّ التّطور الدّلاليّ يمثّل عقل المعجم التّاريخيّ لأنّه يتتبّع اللّفظة من تاريخ ميلادها بدلالتها الأولى، وتاريخ تحوّلاتها الدّلاليّة والصّرفيّة، ومكان ظهورها، ومستعمليها في تطوّراتها إن أمكن ذلك، دون أن يهمل الظّروف المحيطة بها، والأسباب التي جعلت المعنى يتغيّر من زمن إلى آخر، ومن هنا المعجم التّاريخيّ ذاكرة اللّغة الحيّة التي تدوّن سيرتها الذّاتية وتحفظها من غياهب التّحريف.

من بين مميّزات المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة ما يأتي:[37]

1. يتكون من مواد مكتوبة تعود إلى فترة سابقة من حياة اللغة لاحتوائه على ألفاظ ميّتة يكون قد استمدّها من مصادر تقوم على مواد وتسجيلات كتابيّة عائدة إلى فترات سابقة من حياة اللّغة.
2. تجنّب الوصف والتّعليل في تقديمه لأصول الكلمات وتاريخها، والالتزام بالسرّد التّاريخيّ.
3. يعتمد على شواهد تكون محدّدة بفترات زمنية معيّنة من حياة اللّغة.
4. ترتيب معاني مداخله يكون بطريقة تبيّن تطوّرها وتوالدها بعضها عن البعض الآخر. أي أن علم الدلالة الذي ينبني عليه المعجم موجه وجهة تاريخية.

وقد كانت أول محالة لتأليف معجم عربي تاريخي قام بها معهد أبحاث الاستشراق الألماني الذي كان يديره أوغست **فيشر** (1856- 1949) بدعم من مؤتمر المستشرقين والمجمع

علي قاسمي: علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط2، 1991، ص 41.[37]

السكسوني، وتوقف المشروع بسبب الحرب العالمية الأولى ليستأنف العمل به 1923، وحين أنشئ مجمع اللغة العربية الملكي بالقاهرة عام 1932، تبنى هذا المشروع بما أن فيشر عضوا في مجمع لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية قطعته عن العمل للمرة الثانية وتوفي بعد ذلك .لتتبنى المشروع "جمعية المعجمية العربية " بتونس عام 1989، وتعثر المشروع مرة أخرى ،فقام "اتحاد المجامع اللغوية والعلمية العربية" بتشكيل لجنة تتابع هذا المشروع سنة 2004.[38]

لقد كانت آخر المحاولات لإنشاء معجم تاريخيّ للّغة العربيّة في الدّوحة، وقد تحقق جانب من هذا العمل وإليك رابط الولوج لهذا المعجم:https://www.dohadictionary.org/

الأعمال الموجهة:

أصوات العربية الفصحى دراسة تاريخية

تحاول أن تتبع تطور أو التغيرات التي حدثت للأصوات العربية عبر مراحل مختلفة من الزمن لترصد التغيير الذي حدث فيها انطلاقا من الدراسات التراثية والحديثة. فهي تزخر بهذا النوع من الدراسات التي وقفت على التغيرات التي طرأت على أصوات العربية سواء بتتبع أصوات بعينها وتبيان التغيرات التي حدثت لها كما هو الشأن في كتاب

أو بدراسة أسباب وعوامل التطور الصوتي كما هو موجود في مختلف المراجع التي قامت عليها المحاضرة ككتاب إبراهيم أنيس " دراسة الصوت اللغوي" أو كتاب "التطور اللغوي مفهومه وعلله ومظاهره"

وإليك بعض المراجع التي يمكن الاستعانة بها في انجاز هذا البحث:

- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية.

-محمود عكاشة: التطور الصوتي في الألفاظ – أسبابه وظواهره.

[38] علي القاسمي: علم المصطلح–أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مرجع سابق، ص 756.

-أنفال جاسم محمد: التطور الصوتي للعربية في ضوء المنهج الوصفي -دراسة نظرية تطبيقية، مذكرة ماجستير

-آمنة صالح الزعبي: في علم الأصوات المقارن-التغيير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية.

-راضية بن عربية: التغيرات الصوتية لصوت الجيم دراسة مقارنة بين القدامى والمحدثين، مجلة جسور، الجزائر.

- منال بنت سريح المالكي: أسباب التطور الصوتي وقوانينه في اللغة العربية، حولية كلية اللغة العربية، مصر.

وسنقدم مثالا عن التغيير الصوتي لصوت الجيم، فلقد اختلف حوله القدماء والمحدثون، فعدّه القدماء صوت شديد مجهور، أما المحدثون فهو صوت لثوي حنكي مركب من صوتين ينطقان معا أحدهما انفجاري والأخر احتكاكي وهما الدال والشين. ويرجع سبب هذا التحول إلى أن الجيم من الأصوات الأقصى حنكية، فإذا ما تلتها الكسرة القصيرة أو الطويلة تجذبها إلى الأمام قليلا، فتنقلب إلى مخرج آخر، غالبا ما يكون وسط الحلق، وحينها ستجمع بين الشدة والرخاوة، ولقد بدأ الأمر مع الجيم المكسوة ثم انتقل مع جميع الحركات لكراهة العربية تعدد العلامات.[39]

ومن بين التغيرات التي حدثت لصوت الجيم نذكر:[40]

- **تغير الجيم إلى دال:** مثل الدّش اتخاذ الدّشيشة وهي في اللغة الجشيشة، وهو الحنطة المطحونة.

---

[39] أمنة صالح الزعبي: في علم الأصوات المقارن-التغيير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2008، ص 57.

[40] المرجع نفسه، ص 57-59.

-**تحول الجيم إلى شين:** وهي الجيم المشبعة فهي صوت لثوي حنكي كالشين المهموسة إلا أنها مجهورة من أمثلة ذلك المدمّج والمدمش : المستقيم ، وجمخ وشمخ

- **تغير الجيم إلى ياء:** تشتركان في المخرج نفسه حين تكون الجيم مركبة من سقف الحنك الصلب، ويشتركان في صفة الجهر والفرق بينهما أن الجيم تجمع بين الشدة والرخاوة (الانفجار والاحتكاك) مثل يصص وجصص: إذا فتح عينيه.

تحول الجيم إلى قاف: وصف سيبويه وابن سينا صوت القاف بأنه صوت أقصى حنكي مجهور ويتم نطقه باندفاع الهواء من الرئتين حتى موضع اللهاة التي تكون مرتفعة لتغلق مجرى الأنف مع ارتفاع أقصى اللسان، وأما المعاصرون فقد وصفوه بأنه صوت لهوي مهموس، ويعود خلاف بينهما في صفة الجهر والهمس. والقاف كما وصفها القدماء قريبة من الجيم في صورتها المفردة، لذا فقد اختلط النطقان، مما ولّد استعمالات جاءت بالقاف مرة وبالجيم مرة أخرى، مثال ذلك المزلاق والمزلاج، ما يغلق به الباب ويفتح بلا مفتاح.[41]

وعلى منوال هذه الأمثلة التي قدمناها لتغيير صوت الجيم أنجز بحثك مع بقية أصوات اللغة العربية التي حدث فيها تغيير، ثم قف على الأسباب التي تفسر هذه التغييرات، فقد تضمنتها المراجع التي أشرنا لها.

[41] آمنة صالح الزعبي: مرجع سابق، ص 60.

نقد المنهج التاريخي

لكل منهج إيجابيات وسلبيات؛ هي مواطن ضعف في المنهج لأنه لا يتمكن من دراسة الظواهر بذات الدقة التي توجد في مناهج أخرى، ومن بين هذه السلبيات نذكر:[1]

1. أن المعرفة التاريخية معرفة جزئية بحكم طبيعتها حيث لا يمكن الحصول على معرفة كاملة للماضي وذلك بسبب طبيعة مصادر المعرفة التاريخية وتعرضها للتلف والتزوير.

2. يواجه الباحثون الذين يستخدمون المنهج التاريخي صعوبة واضحة في تطبيق المنهج العلمي في البحث، لصعوبة وضع فروض معينة واختبارها لأن علاقة السبب بالنتيجة في تحديد الحوادث التاريخية ليست علاقة بسيطة فالأسباب متشابكة ويصعب رد النتيجة إلى أحدها.

3.يصعب الوصول إلى نتائج تصلح للتعميم في البحوث التاريخية ؛ وذلك لارتباط الظاهرة التاريخية بظروف زمانية ومكانية محددة يصعب تكرارها بنفس الدرجة وكل ما يستطيع الباحث التاريخي عمله هو أن يتنبأ بما يمكن أو يحتمل أن يحدث لا بما سيحدث فعلا.

4. لا تخضع المادة التاريخية للتجريب، وبذلك يصعب إثبات الفروض وتحقيقها تجريبيا، فالمصادر التاريخية عرضة للخطأ، ولابد من اعتماد ملاحظات الآخرين وأقوالهم لأن الباحث لا يتمكن من الاتصال المباشر بالمادة التاريخية.

5.إن هذه النقائص التي تظهر في المنهج التاريخي تمنع الباحث التاريخي مهما كان دقيقا من الوصول إلى كل الحقائق المتصلة بمشكلة الدراسة، فالمعرفة تبقى نسبية لأنها تستند إلى أدلة جزئية ولن يستطيع الباحث اختبار كل الأدلة. لكن هذا لا يمنع من صلاحية المنهج في دراسة الظواهر بمنهجية علمية.

[1] عبد الرحمن سليمان: مناهج البحث العلمي، مرجع سابق، ص 43-44.

ومن المآخذ التي ذكرتها الباحثة حليمة معيارة في المنهج التاريخي حين يُطبق على اللغة العربية ما يأتي:[2]

- إنه منهج يعتمد على اللغة المكتوبة وليس على صورتها المنطوقة المفقودة، وهذا ما يطرح سؤال إذ ما كانت اللغة المدونة تختلف عن المكتوبة.
- قلة ما عثر عليه من اللغات السامية وحداثتها نسبيا، فهذا يشير إلى أن حقبا في تاريخ اللغة مازال مجهولا.
- وبما أن بعض الحقب من اللغة مجهول، وقد تكون هناك كشوف أخرى جديدة، مما يضعف أحكام المنهج التاريخي في الظاهرة اللغوية.

أما الباحث رمضان عبد التواب فيشير إلى المشكلة التي يواجهها مؤرخ اللغة، وهي طبيعة تغيير اللغات التي يصعب فيها تحديد سبب التغيرات؛ " مادامت اللغات لا تخلق بل تتغيّر، وما دامت العبارة اللغوية تقليدية، فإن من الواجب أن نميز في الاتفاقات، التي توجد بين لغتين أو أكثر، بين ما يعد منها نموا ذاتيا، وما يفترض قيام تقليد مشترك بين تلك اللغات، فمن الممكن أن يكون التوافق بين مفردات منعزلة، نتيجة للمصادفة البحتة، كما أنه من الممكن أن يكون ذلك نتيجة لاستعارة اللغتين من لغة واحدة. ولكن مجموعة الاتفاقات في الصيغ النحوية لا تدل على وحدة الأصل دلالة قاطعة."[3]

وكل هذه المآخذ على المنهج التاريخي، لا تقلل من أهمية المنهج في دراسة اللغات في مستوياتها المختلفة أو في استخدامه في دراسة أي بحث لغوي، لأنه على كل حال يقدم لنا بعض الحقائق والمعلومات حول الظواهر المدروسة.

---

[2] حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء – دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، مرجع سابق، ص 32-33.

[3] رمضان عبد التواب: المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث، ص210.

الأعمال الموجهة:

عنوان البحث: لغة الصحافة بين الثورة التحريرية والاستقلال

تحاول في هذا البحث العثور على نماذج من الصحف إبان الثورة التحريرية وأخرى بعد الاستقلال، لتتابع تطور لغة الصحافة بين فترة الاحتلال والاستقلال، وتكتشف خصائص لغة الصحافة لكل مرحلة وتلاحظ التغيير الذي حدث لها.

ثم تحاول تفسير سبب هذا التغيير، الذي قد نرجعه للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية على اللغة وكيفية استخدامها.

يمكنك الاستعانة بهذه المراجع:

زهيرة احدادن: الصحافة واللغة قبل الاستقلال

بالي وردة: تطور الصحافة الجزائرية قبل وبعد الاستقلال

عماد بن محمد بوزيد: الصحافة الجزائرية المكتوبة أثناء الاستدمار

خلاصة القول في المنهج التاريخي أنه المنهج الذي يسمح لنا بالتعرف على التغييرات التي تحدث للظاهرة اللغوية عبر أطوار زمنية مختلفة، في محاولة لتفسير أسباب هذا التغيير والعوامل التي أثرت فيها، بعد تجلي مختلف مظاهره.

إن دراسة مستويات اللغة بالمنهج التاريخي هو الذي اصطلح عليه علم اللغة التاريخي، وفيه نتعرف على مختلف التغيرات التي تطرأ على مستويات اللغة؛ الصوتي والصرفي، والتركيبي، والدلالي، وتختلف نسبة التغيرات من مستوى لآخر، فالمستوى الصرفي والتركيبي خاصة أقل المستويات تغيرا مقارنة بالمستوى الصوتي والدلالي الذي يتصدر الترتيب، لأن التطور الدلالي أظهر من غيره.

حاول علماء اللغة الغربيون معرفة أساب التطور اللغوي في جميع مستوياته وتوصلوا لنظريات مختلفة كما رأيناها مع التغيير الصوتي، بل طمحوا إلى وضع القوانين الصوتية تأسيا بعلوم المادة والطبيعة، لتفسير هذه التغيرات. لكن تبقى هذه النظريات مجرد وجهات نظر لا تصدق على كل اللغات، ولا كل التغيرات التي قد تتشابه بين اللغات، لأن لكل لغة خصوصيتها وظروفها التي تستخدم فيها، وانتقدت معظم هذه النظريات لوجود حالات في اللغة تبين صعوبة تعميم هذه التفسيرات.

وعلى خطى تطبيق المنهج التاريخي في الغرب طبقه الباحثون العرب، واستعاروا تلك التفسيرات والنظريات لتفسير التغيرات التي طرأت على اللغة العربية في مختلف مستوياتها، كما رأيناه مع إبراهيم أنيس ورمضان عبد التواب، وعلي عبد الواحد، وغيرهم من الباحثين الذين وجدناهم يختلفون في تفسير الظاهرة اللغوية ذاتها كما حدث مع لفظة قماش.

أما على مستوى المعاجم العربية فقد ظل حلم صناعة المعجم التاريخي للغة العربية معلقا بظروف العمل في هذا المشروع الضخم الذي لم يتحقق إلا بعضه كمعجم الدوحة التاريخي.

هذا بخصوص المنهج التاريخي حين يرصد التغيرات التي تطرأ على مستويات اللغة، أما حين نستخدمه كمنهج يطبق في البحث اللغوي الشامل كدراسة تاريخ ظاهرة اللحن مثلا، أو تاريخ المدارس النحوية أو تاريخ تعليمية اللغة العربية في مرحلة من مراحل التعليم وغيرها من الموضوعات، فإننا سنطبق خطوات المنهج التاريخي الصالحة لكل البحوث العلمية.

رغم انتقاد المنهج التاريخي فإنه يبقى منهجا علميا يطلعنا على الحقائق التاريخية ويسهم في تحديدها، ينقد كل ما يمكن أن يشوهها، وفي ظل وجود تزييف لحقائق التاريخ يصبح المنهج التاريخي أداة ضرورية يمكننا من خلالها معرفة الصحيح من الخاطئ والصادق من الكاذب في دراسة أية ظاهرة طبيعية أو إنسانية مادية أو بشرية.

المنهج المقارن

الكفاءات المستهدفة

- ✓ تستوعب مفهوم المنهج المقارن وكيفية توظيفه في البحث اللغوي وأهميته في دراسة اللغة العربية.
- ✓ تتعرف على نشأة المنهج المقارن في الدرس اللساني الغربي.
- ✓ تتعرف على نشأة المنهج المقارن في التراث العربي.
- ✓ تكتشف أسس تصنيف الأسر اللغوية، وتُحدد موقع اللغة العربية في هذه التصنيفات.
- ✓ تتعرف على الحركة الاستشراقية في اللغة والأدب وامتداداتها الحديثة.
- ✓ تكتشف أهداف الحركة الاستشراقية في دراستها اللغة العربية.
- ✓ تتدرب على توظيف المنهج المقارن في البحث اللغوي من خلال إنجاز بحوث متنوعة.
- ✓ تُحدد مدى نجاح المنهج المقارن في دراسة اللغات وتصنيفها إلى أسر لغوية.

المحاضرة العاشرة: مفهوم المنهج المقارن

1-مفهوم المنهج المقارن:

قد تكون المقارنة كمفهوم لغوي واضحة المعنى لأنها تعني الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بين شيئين أو ظاهرتين، ولكن المقارنة كمنهج استخدمه البحث اللغوي لها خصوصيتها، بخاصة ونحن نعلم أن المقارنة كانت موجودة مع المنهج التاريخي. فأثناء متابعة تطور اللغة كانت تنشأ نوع من المقارنة بين مراحلها الزمنية لذا كان المنهج المقارن مقترن النشأة مع المنهج التاريخي حتى عدّه بعض الباحثين جزءا منه.

لكنه يتميز عن المنهج التاريخي بدراسته الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة تنتمي إلى أصل واحد كاللغات السامية أو الحامية أو الهندية الأوربية والهدف من ذلك التأصيل التاريخي لمعرفة الظاهرة اللغوية بالتماسها في أخواتها أو حداثتها بتفرد لغة معينة.[1] عن أخواتها في القرابة، ومع اكتشاف اللغة السنكريتية أصبح المنهج المقارن منهجا قائما بذاته.

يعتمد المنهج المقارن على ما يتوصل إليه المنهج التاريخي بشأن تاريخ اللغات، فكان من أهم نتائج المنهج المقارن تصنيف اللغات في تسع عائلات تتشابه كل عائلة في الملامح العامة سواء أكانت صوتية أو صرفية أو نحوية أو دلالية.[2] وعليه فالمنهج المقارن يعمل على المقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى عائلة واحدة لوجود قرابة بينها، ومن ثمة تصنيفها في أسر لغوية.

حين نتحدث عن تطبيق المنهج المقارن في دراسة عدة لغات فإن " نتاج هذه الدراسة علم اللغة المقارن، أو ما يسمى بالفلولوجي المقارن، وسمي بهذا الاسم لأن أقدم النماذج والكلمات والصيغ والتركيبات الثابتة انحدرت كلها من وثائق لغوية مكتوبة".[3] وهذا لاهتمامها بدراسة النصوص القديمة حتى سميت علم النصوص القديمة، فهي تعتمد على ما هو مكتوب بالدرجة الأولى، وتبحث في العلاقات القائمة بين مختلف اللغات بهدف تصنيفها في أسر أو

---

[1] إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون ومناهج اللغة، مرجع سابق، ص 41.

[2] صلاح الدين صالح حسنين: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، مرجع سابق، 215.

[3] ماريو باي: أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص 233.

عائلات لغوية، نتيجة ما وجد بينها من تشابه في مختلف المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

ويمتزج البحث في منهج البحث التاريخي المقارن بالمنهج الوصفي حين يحتاج الدارس لدراسة لغة ما بين فترتين زمنيتين إلى وصف هذه اللغة على مستوى مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبة، حتى يتسنى المقارنة والوصول إلى التغييرات التي طرأت على الظواهر التي يدرسها.[4] وعليه، فإن استخدام المنهج المقارن في تصنيف اللغات إلى أسر لغوية هو اختصاص علم اللغة المقارن وهدفه معرفة اللغات القديمة وكيف تطورت إلى أن أصبحت على هذا النحو ومن ثمة معرفة العلاقة بينها، وما يمكن أن تقدمه لدراسة لغة ما تنتمي للعائلة نفسها مثلما حدث مع العبرية القديمة فقد كانت العربية طريقا لدراستها لأنها من عائلة اللغات السامية.

أما المنهج المقارن كمنهج تستفيد منه كل العلوم في مختلف أنواع البحث من بينها البحث اللغوي بمفهومه الشامل الذي لا يقتصر على التصنيف اللغات إلى أسر، وإنما يمكن استخدامه في مختلف قضايا اللغة القديمة منها والحديثة مثل: **الدراسات الصوتية بين العرب والمستشرقين الألمان –دراسة مقارنة – لعبد القدر علي زروقي** و **دراسة مقارنة بين كتب اللغة العربية للصف السادس الابتدائي في العراق ومصر**. فهذا النوع من البحوث الذي يستخدم المنهج المقارن لأهداف تختلف عن علم اللغة المقارن وبخطوات غير ما يطبق في دراسة اللغات، وسنأتي على ذكرها لاحقا.

نعود إلى أهمية المنهج المقارنة في دراسة اللغة العربية ونوجزها فيما يأتي:[5]

–التمييز بين العربي الخالص بالعربية والعربي المشترك بين اللغات الجزرية كالأكدية والعبرية والسريانية والعربية الجنوبية.

[4] ما ريو باي: أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص 59.

[5] أحمد خليل عمايرة: المستشرقون ومنهاج البحث، مرجع سابق، ص 61–64.

-التمييز بين العربي الأصيل والدخيل الذي وفد إلى العربية من اللغات الأخرى، التي احتكت بها العربية مثل : الفارسية والتركية والإغريقية واللّغات الأوروبية.

-الإفادة في مجال الدلالة من مقارنة العربية باللغات السامية لتصحيح ما وقع فيه من أوهام.

-توّقع مستقبل الألفاظ العربية أو الدخيلة، ومدى نجاعتها وبقائها من عدمه ومن خلال ذلك وضع قاعدة لوضع المصطلحات في العربية، فقد قدّم الدرس المقارن تطورا مهما في لغويات القرن التاسع عشر.

-دراسة العربية من داخل اللغات التي تنتمي إليها يساعد في التحقق من بعض المسائل التي لم يحسم فيها ،أو ترجيح بعض الآراء ،أو الوصول إلى وجهات نظر جديدة. مثل تفسير وجود الميم المشددة في لفظة "اللهم"؛ فقد عدّها المعياريون عوضا عن ياء النداء المحذوفة، أما المنهج المقارن فيردها إلى بقايا تأثر العرب قديما باليهود الذين يخاطبون الله سبحانه بصيغة الجمع (إلوهيم- ومفرده إلُوَّه).[6] وكذلك ظاهرة الاعراب فليست خاصية للغة العربية ولكنها وجدت في اللغة الاكادية والأغارتية، ووحدها العربية تحتفظ بها إلى يومنا هذا.

2-خطوات المنهج المقارن في تصنيف الأسر:

ويتضمن المنهج المقارن أساسا وضع الصيغ المبكرة المؤكدة، المأخوذة من لغات يشك في وجود صلة بينها جنبا إلى جنب لإصدار حكم فيما بعد الفحص والمقارنة لنستنتج شيئين:[7]

1-درجة الصلة بين عدة لغات وضعت تحت الفحص لمعرفة وجود هذه الصلة

2-التوصل إلى اللغة الأم من خلال الشكل الذي يبدو أقرب إليها والذي منها تشعبت جميعا

---

[6] أحمد خليل عمايرة: المستشرقون ومناهج البحث اللغوي، ص 70.

[7] ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 168.

ويطمئن الباحث إلى نتائجه إذا وجد أن اللغات المشتركة في الأصل بينها تماثلا كافيا في تركيباتها النحوية ومفردتها الأساسية، وإذا لاحظ ازدياد قربها بعضها من بعض كلما اتجهنا إلى الزمن الماضي.

–وفي بعض الأحيان تستخدم إعادة بناء الداخلي للغة بطريقة بارعة للكشف حتى عن بعض النقاط الغامضة في بعض اللغات المعروفة. [8] كمعرفة أن الإعراب لا تختص به اللغة العربية فقط

هذا فيما يتعلق بالمنهج المقارن حين يكون أداة للمقارنة بين اللغات من أصل واحد بهدف تصنيف اللغات ضمن أسر لغوية. ولكن حين نستخدم المنهج المقارن لدارسة مختلف الظواهر فإنه سيختلف تعريفه والهدف منه وخطواته الإجرائية.

ويعرف المنهج المقارن كمنهج تستخدمه مختلف التخصصات" هو اصطلاح عام يشير إلى إجراءات تهدف إلى توضيح وتصنيف عوامل السببية في ظهور ظواهر معينه وتطورها، وكذلك أنماط العلاقة المتبادلة في داخل هذه الظواهر بينها وبين بعضها البعض وذلك بواسطة توضيح التشابهات والاختلافات التي تبينها الظواهر التي تعد من نواح مختلفة قابلة للمقارنة"[9] يقوم المنهج المقارن في البحث العلمي على معرفة كيفية وأسباب حدوث الظواهر وذلك من خلال مقارنتها مع بعضها البعض من حيث أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها. وذلك من أجل التعرف على العوامل المسببة للحادثة أو الظاهرة المعينة والظروف المصاحبة لذلك، ومن ثم الكشف عن الروابط والعلاقات أو أوجه التشابه والاختلاف بين الظواهر.[10] في البيئات المختلفة.

---

[8] ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 177.

[9] عاطف علبي: المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط3، 2006، ص 132.

[10] ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم: مناهج وأساليب البحث العلمي –النظرية والتطبيق، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ،2000، ص 56.

وفي هذه الحالة فإن خطوات المنهج المقارن تختلف نسبيا عما رأيناه في دراسة مستويات اللغة لأن الهدف يختلف، كما هو واضح في التعاريف السابقة، وإن كان أساس العمل واحد وهو الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف. وعليه تتمثل خطوات المنهج المقارن فيما يأتي:

1. **تحديد موضوع المقارنة:** باختيار الظاهرة أو المشكلة التي تريد دراستها ومقارنتها بظواهر أو مشكلات أخرى مشابهة أو مختلفة، كتحديد المقارنة بين مناهج التعليم.
2. **تحديد عينة البحث:** وتتمثل في اختيار مجموعة من الأدوات أو العناصر التي تمثل الموضوع المقارن وتكون متاحة للباحث لجمع البيانات والمعلومات عنها.كتحديد منهج التدريس الأهداف ومنهج التدريس بالكفاءات.
3. **تحديد متغيرات البحث:** وتتمثل في تحديد الصفات أو الجوانب التي تريد مقارنتها بين عينة البحث، وتكون مرتبطة بالمشكلة أو الظاهرة المدروسة. كأن تقارن بين طريقة التدريس لكل من المنهجين، وطريقة التقويم، مكانة المعلم والمتعلم ....
4. **جمع البيانات والمعلومات:** من خلال استخدام طرق مناسبة لجمع البيانات والمعلومات عن متغيرات البحث من مصادر مختلفة، سواء كانت كمية أو نوعية.
5. **تحليل البيانات والمعلومات:** باستخدام طرق إحصائية أو نظرية لتحليل البيانات والمعلومات التي جُمِعَتْ عن متغيرات البحث، وإبراز أوجه التشابه والاختلاف بينها.
6. **استخلاص النتائج والاستنتاجات:** وتتمثل في تقديم نظرة عامة على نتائج التحليل، وإبراز الملاحظات والإشكاليات والإسهامات التي خرج بها البحث، وصولاً إلى استنتاجات علمية تفسر المشكلة أو الظاهرة المقارنة

خلاصة القول في مفهوم المنهج المقارن، رغم أنه يعتمد على آلية يمارسها العقل البشري بشكل طبيعي، فهي حركة تلقائية تدفعنا إلى مقارنة ما نراه، ولا تشمل إجراءات تقنية خاصة. لكن المنهج المقارن يضعها في إطار منظم لهدف محدد، ضمن خطوات إجرائية متسلسلة تفضي إلى نتائج علمية.

وتقتضي المقارنة وجود سمات مشتركة بين الظواهر محل المقارنة أي وجود قدر من التشابه والاختلاف، إذ لا مقارنة بين الظواهر تامة الاختلاف، ولا الظواهر تامة التشابه.

في حالة استخدام المنهج المقارن في دراسة اللغات التي تنتمي إلى عائلة واحدة فإن هدف الدراسة هي اثبات وجود قرابة بين هذه اللغات التي يفترض أنها تعود إلى لغة واحدة هي اللغة الأم، والنتيجة المنتظرة من البحث هي تصنيف اللغات ضمن أسر لغوية حسب معايير تصنيفية مختلفة سنطلع عليها في المحاضرة الثالثة عشرة.

أما حين نوظف المنهج المقارن لدراسة أي موضوع من موضوعات البحث اللغوي كالمقارنة بين التدريس بالأهداف والتدريس بالكفاءات فإن الخطوات الإجرائية للمنهج ستتغير لأن الهدف قد تغير، لكن آلية المقارنة القائمة على رصد أوجه الشبه والاخلاف ثابتة في كلتا الحالتين، وعلى أساسها نتوصل إلى نتائج علمية في مجال البحث.

-الأعمال الموجهة : أدوات العطف بين اللغة العربية والعبرية

يستلزم منا هذا الموضوع تطبيق المنهج المقارن بحيث نقارن بين أدوات العطف في اللغة العربية ونظريتها العبرية، لنخلص إلى أوجه التشابه والاختلاف بينهما ومن ثمة نحن نرصد العلاقة بين هاتين اللغتين، ووجه القرابة، لنصل إلى نتيجة أن اللغة العربية والعبرية تنتميان إلى أسرة واحدة.

وبما أن هذا بحث ينجزه الطالب ليتدرب على استخدام المنهج المقارن في دراسة اللغات فإن ما نقدمه هو أساسيات ينبغي أن ينبني عليها البحث أما بحث الطالب فيمكن أن يثريه بعناصر كثيرة تخدم الموضوع. وبما أن اللغة العبرية ليست من اللغات التي تدرس في الجزائر ولا نعرف عنها شيئا، فإننا جميعا (الأستاذ والطالب) سنعتمد على المراجع التي درست الموضوع، وهي متوفرة على الشبكة العنكبوتية، لنجمع منها المادة المعرفية والمعلومات العلمية، ونرتبها بالشكل الذي يُظهر استيعاب الطالب لكيفية تطبيق المنهج. وذلك بتقديم وصف لأدوات

العطف لكل من اللغة العربية والعبرية أولا، ثم استنتاج أوجه التشابه والاختلاف، والتي من خلالها سنعرف وجه من أوجه القرابة بين اللغتين.

1.أدوات العطف في اللغة العربية:

عطف النسق: وهو العطف بحرف من حروفه المعروفة وسمي بذلك لأنه ينسق الكلام بعضه على بعض، بحيث يأخذ المعطوف نسق المعطوف عليه في أحكام معينة.[11] والعطف إتباعُ لفظٍ بآخرَ بواسطة حرفِ عطف، لتأديةِ معنىً مُعيَّنا. وحروف العَطْفِ تسعة وهي: (الواو، الفاء، ثمّ، حتّى، بل، لكن، أو، لا، أم).

-معاني حروفِ العطْفِ واستعمالاتُها:

يختص كل حرف بمعنى معين يفيده ضمن السياق نكتفي بذكر معانيها الأساسية، وهي:[12]

1-الواو: تفيد مطلق المشاركة أي أن المعطوف يشارك المعطوف عليه في الحكم دون النظر إلى ترتيب زمني أو غيره مثل: حضر زيد وعمرو.

2-الفاء: للعطفِ مع الترتيب والتعقيب ومثالُه أن تقول: (دخل الحارس فالمديرُ). أي أن الحارس هو من دخل أولا ثم تبعَه المدير. والتعقيب هنا هو أنَّ دخولَ المدير جاء مباشرة بعد دخولِ الحارسِ ولم يكن بين دخولِهما فارقٌ زمنيٌّ كبير.

3-ثُمّ: للترتيب والمهلة أو التراخي، كأن تقول: (حضر زيدٌ ثُمَّ عمرو). أفادت حضور زيد أولا وبعده بفترة عمرو

وكل من (و، ف، ثم) على استئناف الكلام وتدل على العطف إذا اشترك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الاعرابي.

[11] عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، 1998، ص 384.

[12] عبده الراجحي: التطبيق النحوي، مرجع سابق، ص 384.

4-حتى: يُستعمل حرف جر وتدل على العطف إذا أفادت الاشتراك في الحكم، وهي تفيد تحقيق الغاية، مثل: (أكلت السمكة حتى ذيلها). ولِـ "حتى" شروطٌ ثلاثةٌ لاستخدامِها في العطف وهي:[13]

- أن يكون المعطوف اسماً صريحاً وليس ضميراً.
- أَن يكون من أحدِ أجزاءِ المعطوفِ عليه.
- أَن يكون غاية للمعطوف عليه سواء في الرفعة أَو الضعة.

5-**أَو**: يُستعمل حرف العطف لمعاني كثيرة نكتفي ببعضها:[14]

- للتَّخْيِيرِ بين أمْرَيْن أو أكثر ومثالُه قولُك: تزوج هندا أو أختها.
- للشك؛ ويأتي بعد الاستفهام؛ كقوله تعالى:﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾سورة المؤمنين الأية113.
- للإباحة ومنه قولُك: خذ عنزةً أو كبشا.
- للتقسيم مثل: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، والمراد أنها تشمل الأنواع الثلاثة.

6-**أَمْ**: يُستعمل حرف العطف "أَمْ": [15]

- للإضراب؛ مثل: أخير هذا أم شر والمعنى بل هو شر
- وتأتي لطلب التعيين إذا سبقتها همزة الاستفهام ومنه قولُهُ تعالى:﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾سورة النازعات الآية (27)
- وتأتي للتسوية مثل: لست أبالي صديقا كان أم عدوا

[13] نادية رمضان محمد النجار: الواضح في النحو وتطبيقاته، ط1، 2000، ص 149-150.

[14] المرجع نفسه، ص 152.

[15] المرجع نفسه، ص 150 -151.

7-**بَل**: يُستعمل حرف العطف "بَل":[16]

- للإضراب إذا كان ما قبلها كلاما موجبا مثل: الإسكندرية عاصمة القاهرة بل القاهرة
- الإقرار ثم المخالفة وذلك إن كان ما قبلها منفيا، مثل: لم ينجح زيد بل عمرو

8-**لكنْ**: يُفيد الاستدراك، ومن شروط العطف بـ"لكن" أَن يأتي قبلَها نفيٌ أَو نهيٌ، وأَلا تتصل بالواو، وأَن يكون المعطوف مفردا، مثل: (لمْ يَغْنَم الخادمُ لكنْ سيّدُهُ).

9-**لا**: يُفيد النفي والعطف، ومثالُه: (سافر زيدٌ لا عمرو)، (اجمع أقلامَكَ لا كتبَكَ). ومن شروط العطف بـ "لا" أَن يسبقها خبرٌ غيرُ منفيٍّ أَو فعلُ أَمرٍ. وتشير "لا" إلى إثبات الحكم لما جاء قبلَها ونفيِهِ عمَّا جاءَ بعدها.

2.العطف في اللغة العبرية:

ويتفق العطف في اللغة العبرية مع نظيره في العربية في أنه يتم بواسطة الواو، ويختلف عنه في كون واو العطف العبرية تعدد حسب الوسائط التي ترد فيها، واستخدام الواو حرف أساسي للعطف فهي تعمل ما تعمله حرف الواو في العربية ومعظم حروف العطف. وهذا ما يدعم أصالة هذا الحرف في باب العطف، فهي أم الحروف.[17]

واذا كانت العبرية تتفق مع العربية في شكل أسلوب العطف، باستخدام أداة تعطف ما بعدها على ما قبلها، مفردا على مفرد أو جملة على جملة أو شبه جملة على أخرى، فإن العبرية تختلف عن العربية في أمرين؛ أولهما انعدام الرابطة الإعرابية بين المعطوف والمعطوف عليه في اللغة العبرية، لاختفاء ظاهرة الإعراب فيها ، وثانيها هو ضبط حرف العطف بعلامة السكون أو الفتح أو الضم أو الكسر، خلاف واو العطف في العربية التي تلزم حركة واحدة هي حركة الفتح، أما في العبرية فإن واو العطف تختلف علامة ضبطها حسب حالة ما يليها

---

[16] عبده الراجحي: التطبيق النحوي، مرجع سابق، ص 387.

[17] محمود أحمد حسن عبد السلام: واو العطف بين العربية والعبرية، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، م3، العدد 11، 1992، ص 4-5.

من حيث نوع الحرف الأول أو علامة ضبطه في الكلمة التي تليها، أو من حيث موقف الوقف للكلمة التالية لواو العطف، أو علاقة المعطوف بالمعطوف عليه في معنى معين، وما إلى ذلك من اعتبارات معنوية أو صوتية.[18]

واو العطف (فابا خبون): تسبق واو العطف الأسماء والأدوات في اللغتين، فتعطف ما بعدها على ما قبلها، وتربط بين الكلمات والجمل على السواء. وتشكيلها في العربية بالفتح دائما "و" ويتغير تشكيل واو العطف وفقا للحرف الأول الذي تدخل عليه في الكلمة في العبرية على النحو الاتي:[19]

التشكيل الأساسي وتنطق مثل: أنى في أتا أي أنا وأنت ve

– أمام حرف الياء الساكن، مع حذف السكون، وتصبح الياء مدا للكسر قبلها وينطقان معا مثل: vi

–أمام أية كلمة تبدأ بحرف من الحروف الشفوية: (ب، و، م، ف) مثل: تلميذ ومعلم تنطق تلميد **أو** موري تحولت من **في** إلى **أو**، ولد وبنت: يليد أو بت ولا نقول يليد فبيت، كوف أو فيل أي قرد وفيل، برخف أوفيري أي زهرة ووردة

– أمام أي كلمة تبدأ بحرف ساكن بسيط بسكون بسيط ما عدا الياء، مثل: زخار أو نكيفا والتي تعني أقلام وكتب

–تنطق va–تنطق **فا** أمام الكلمة التي تبدأ بحرف حلقي محرك بالحاطف باتح مثل: حصان وحمار سوس فاخمور

– أمام الكلمة التي تبدأ بحرف حلقي محرك بالسيجول مثل: مسلمين في هوديم، مسلمون ويهود

[18] محمود أحمد حسن عبد السلام: واو العطف بين العربية والعبرية، ص 5.

[19] سيد سليمان عليان: في النحو المقارن بين العربية والعبرية، دار الثقافة للنشر، مصر، ط1، 2000، ص 84–85.

-أوجه التشابه بين العطف في العربية والعبرية:[20]

1.الواو العاطفة أو الرابطة في كل من اللغتين سامية الأصل.

2.تفيد الواو الجمع في المفرد

3.تعطف اسما على اسم أو فعلا على فعل أو اسما على فعل أو العكس.

4.تؤدي وظيفة أكثر من أداة من أدوات العطف الأخرى وتختص بوظائف لا يشركها فيها غيرها.

5.لا تدخل على الضمير المتصل.

6.يجوز حذفها كما يجوز اعتبارها زائدة

-أوجه الاختلاف بين الواو في العربية والعبرية:[21]

1. للواو في العربية الفصحى صورة صوتية واحدة، أما في العبرية فلها أكثر من صورة صوتية تضبطها جملة من الشروط.

2.في الجانب الصوتي لا تؤثر الواو العربية في المعطوف ولا تتأثر به عكس العبرية.

3.تنفرد الواو العبرية بمجيئها في جملة الشرط لتقوم بعمل أداة الشرط.

4.تنفرد الواو في العربية في صورة إعراب ما بعدها، أما العبرية فقد اختفت فيها ظاهرة الإعراب.

5.لا يوجد في العربية واو عاطفة قالبة تغير زمن الفعل وشكل بنيته كما في العبرية.

بناء على ما جاء في أوجه التشابه والاختلاف نصل إلى نتيجة مفادها؛ أن واو العطف أصل حروف العطف في اللغة العربية والعبرية، والتشابه بين اللغتين في العطف هو مؤشر على العلاقة الموجودة بين اللغتين وصلة القرابة بينهما مما يجعلهما تنضويان في أسرة واحدة، ليس بسبب هذا المؤشر فقط بل لمؤشرات أخرى كثيرة في جميع مستويات اللغتين.

[20] محمود أحمد حسن عبد السلام: واو العطف بين العربية والعبرية، مرجع سابق، ص 84.

[21] المرجع نفسه، ص 85.

نشأة المنهج المقارن في أوروبا:

يعود الفضل في ظهور المنهج المقارن إلى السير وليم جونز في بداية القرن الثامن عشر من خلال ما قدمه من أراء لغوية تكشف عن العلاقة القوية بين السنسكريتية والفارسية القديمة، وبين اللاتينية واليونانية والجرمانية والكلتية، وقد كانت هذه الدراسة بمثابة الدليل على المنهج المقارن الذي أخذ يحتل عالم الدراسات اللغوية طوال المائة العام التالية. ولم يكن جونز نفسه هو الذي وضع المنهج المقارن، وإن كان هو الذي اقترحه.

ولكن تبعه مباشرة علماء عملوا على تطبيق أفكاره مثل شليجل، ورسك، وبوب، جريم، وفرنز ، وقد كان المنهج بسيطا، فبمجرد الحصول على أقدم الكلمات لكل فرع من فروع اللغات الهندية الأوربية، توضع بجانب بعضها بعضا، لتوصف التشابهات والاختلافات التي بينها، لتبدأ محاولة التركيب عن طريق استخلاص الأشياء المشتركة الغالبة لاستنتاج الصيغة المحتملة للغة الأم، ولم يعترف بهذا المنهج إلا بعد إثبات العلاقة بين اللاتينية واليونانية، والسنسكريتية والسلافية القديمة والكلتية القديمة ...الخ وانتمائها جميعا إلى عائلة واحدة.[1]

لقد استمر التفكير الجدي والبحوث الحقيقية عن العلاقات التاريخية بين اللغات وعن الأسر اللغوية التي يمكن اكتشافها منذ عصر النهضة، وظل الاهتمام الرئيسي مركزا في مقارنة مفردات وتراكيب اللغات الأوروبية الحديثة بمفردات وتراكيب اللاتينية.[2]فقد كانت دراسة السنسكريتية هي الحافز الأساسي للأعمال التاريخية والمقارنة في بداية القرن التاسع عشر.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر كان هدف البحث المقارن التوصل إلى اللغة الأقدم ولذا كان البحث مرتبطًا بالنصوص المدونة، حاول الباحثون بحث النصوص المختلفة التي وصلت إليهم باللغات الهندية الأوربية عبر التاريخ للوصول عبر أقدم هذه النصوص إلى اللغة الهندية الأوربية الأولى، ولم يكن هناك اهتمام جاد بدراسة اللهجات الحية –أول الأمر–

[1] ماريو باي: أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص233.

[2] ر–هـ–روبنيز: موجز تاريخ علم اللغة، مرجع سابق، ص 275.

ولكن الباحثين تبينوا بعد ذلك أهمية بحث اللهجات الحديثة في إطار علم اللغة المقارن، أي أنهم بحثوا اللهجات لا باعتبارها هدفا في ذاتها أو موضوعا متكاملا في ذاته، بل باعتبارها أداة توضح جوانب من التاريخ اللغوي القديم أي أنها كانت وسيلة لفهم الماضي.[3]

كان فرانز بوب F. Bopp أول من ألف كتاب في (نظام التصريف في اللغة السنسكريتية) عام 1816 م قارن فيه السنسكريتية باليونانية واللاتينية والفرنسية والجرمانية، أهلّه هذا الكتاب أن يكون المؤسس الحقيقي للنحو المقارن، وفي عام 1833م ظهر كتابه (النحو المقارن للسنسكريتية والزندية والإغريقية واللاتينية واللتوانية والقوطية والجرمانية) واكتمل هذا الكتاب بعد أن أضاف له اللغة الكلتية والألبانية والسلافية القديمة سنة 1852.[4]

ومن الجهود التي أسهمت في تأسيس المنهج المقارن ما قم به "راسموس راسك " Rasmus Rask 1787 -**1832** في كتابه" مباحث حول أصل اللغة النرويجية القديمة أو الأيسلندية"، وجاكوب غريم Jacop Grimm 1785 -1863 في" كتاب نحو الجرمانية "صدر عام 1819، وقد قسّمه إلى حقب تاريخية مما لفت الأنظار إلى النحو التاريخي وفي عام 1822م عدّل هذا الجزء وأضاف إليه تغير الأصوات في اللغات التي قارن بينها، واستنتج من ذلك قوانين ثابتة لهذا التغير عرفت فيما بعد باسم (قوانين جريم). [5]

ودخل علم اللغة المقارن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرحلة جديدة خبت فيها الروح الرومانتيكية، ونزع فيها البحث اللغوي إلى العلمية وتطوير المناهج الدقيقة في التصنيف والتفسير واستخراج القوانين الدقيقة على نحو ما فعل الباحثون في العلوم الطبيعية.

وإذا كان علماء النبات قد نجحوا في تصنيف النباتات إلى أسرات اعتمادا على بنيتها ومكوناتها ووضعوا بذلك مجموعة من قوانين التغير التاريخي –فإن شلايشر حاول أن يتوسل

[3] محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص130.

[4] أحمد مؤمن: اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص 89

[5] صلاح الدين صالح حسين: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، مرجع سابق، ص 59-60.

بهذا المنهج في بحث اللغات. ويعد كتاب شلايشر في النحو المقارن عام 1861م عنوانه (تركيب النحو المقارن في اللغات الهندوجرمانية) من أهم الكتب التي جعلت من علم اللغة علما دقيقا يحاول تفسير التغير بقوانين واضحة، وكان لهذا الكتاب أثر مباشر في قيام مدرسة النحاة الشبان Junggrammariker وينتمي إلى هذه المدرسة أهم اللغويين الألمان في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. و من بين أعلام هذه المدرسة؛ أليكس لسكين A.Leskien ، وبروجمان K. Brugmann في مجال علم اللغة الهندية – الأوربية، أما في مجال اللغات السامية نجد المستشرق الألماني ثيودور نولدكه Theodor Noldeke (1836 –1930) ، وتلميذه كارل بروكلمان C. Brockelman (1868–1956).[6] ومن أهم كتبه " تاريخ الشعوب الإسلامية" وكتاب "فقه اللغات السامية".

فقد ألف بروجمان عدة كتب من بينها كتابه المشترك مع "دلبروك" بعنوان " موجز النحو المقارن في اللغات الهندو أوربية"، أما لسيكين فقد تخصص في اللغات البلطية السلافية.[7]

إن مدرسة النحويين الشبان أفادت من التقدم المنهجي في العلوم الطبيعية وحاولت استخراج القوانين المفسرة للتغير اللغوي، وعرفت بالتزامها الصارم بفكرة القوانين الصوتية، وأفادت في مجال اللغات الشرقية أيضا، ومن الكشوف الأثرية التي تمت في القرن التاسع عشر وأماطت اللثام عن لغات قديمة بائدة، كاللغات المصرية القديمة. وتوسلوا في هذا البحث بمنهج دقيق يهدف عن طريق القوانين التاريخية إلى تفسير العلاقات بين اللغات والمستويات اللغوية المختلفة القديمة والحديثة في إطار الأسرة اللغوية الواحدة، وفي ظل هذه الظروف نشأ علم اللغة المقارن في اللغات الهندية الأوربية ثم في باقي الأسرات اللغوية.[8]

---

[6] محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص 131.

[7] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص 94.

[8] المرجع السابق، ص 132.

ومن الجهود المهمة في القرن العشرين ما قدّمه أنطوان ميّي Antione Meillet في دراسته اللغات الهندو أوربية، فكان أشهر مؤلفاته "مقدمة في الدراسة المقارنة للغات الهندو أوربية" عام 1937، وكتاب " المنهج المقارن في اللسانيات التاريخية". وهكذا استمرت الدراسات التاريخية والمقارنة في القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين، ومن أشهر اللسانيين الذين عملوا على تطوير اللسانيات التاريخية، إدوارد سابير الذي اهتم بدراسة لغات مجتمعات الأرومية الأمريكية الهندية، وليونارد بلومفيلد الذي عني بالدراسات المقارنة، وأعاد بناء اللغة الألغونكوية (Algonquian) حسب المنهج العلمي.[9]

أما في الوطن العربي فقد كان علم اللغة المقارن أول فروع الدراسات اللغوية التي عرفها الباحثون ويعود إلى فترة إنشاء الجامعة الأهلية في مصر سنة 1908، وزاد الاهتمام به سنة 1925 حين أصبح علم اللغة المقارن من المقررات الأساسية في قسم اللغة العربية واللغات الشرقية في كلية الآداب بالجامعة المصرية. ويعود السبب إلى أن عمالقة الدراسات السامية في أوربا مثل: جوتهلف برجشترايسر(1886 – 1933) ، وإنو ليتمانEnno Littmann (1875 – 1958).[10] وغيرهما أساتذة في الجامعة المصرية.

وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين، حدث تحول جذري في اللسانيات المقارنة من حيث مجال المقارنة ومعيارها حيث عُدل عن القرابة السلالية إلى القرابة البنيوية، التي تسمح بمعرفة التشابه والاختلاف من حيث البنية التركيبية للغات بعيدا عن علاقة النسب.

من هذا المنظور، أصبحت اللغات تصنف "أنماطا" على أساس تآلفها من حيث خصائصها البنيوية، بغض النظر عن انتمائها السلالي. في هذا التوجه الذي يطلق عليه "اللسانيات النمطية "، لم يعد هناك تقاطع بالضرورة بين الانتماء السلالي والانتماء النمطي.

[9] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص 96-97.

[10] محمود سليمان ياقوت: منهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص 108

دليل ذلك إمكان إدراج لغتين مختلفتين سلاليا في نفس الخانة النمطية كالجمع بين اللغة العربية ولغات أوربية باعتبارها لغات "فاعلية" في مقابل اللغات اللغات المبتدئية مثلا.[11]

وبهذا تكون اللسانيات المقارنة قد تحررت من هدف يصعب تحقيقه؛ وهو الوصول إلى معرفة اللغة الأم التي انحدرت منها اللغات المنضوية في عائلة واحد، إلى البحث في البنية اللغوية للغات من أجل تنميط اللغات وفقا لخصائص البنية المشتركة بينها.

الأعمال الموجهة:

الأفعال بين العربية والعبرية – دراسة مقارنة

لا يختلف هذا البحث عن سابقه من حيث منهجية إعداده التي تستلزم الإحاطة بالفعل في العربية ثم الفعل في العبرية، لنرصد أوجه الاختلاف، وأوجه الشبه التي من خلالها نستطيع أن نتعرف على وجه القرابة بين اللغتين ليتأكد لدينا أنهما تنتميان إلى أسرة واحدة.

يمكنك الاستعانة بالمراجع الآتية:

سيد سليمان عليان: في النحو المقارن بين العربية والعبرية

سباتينو موسكاتي وآخرون: مدخل إلى نحو اللغات السامية

كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية

محمود خياري: الفعل بين العربية والعبرية.

هذه بعض المعلومات عن الفعل في اللغة العبرية، يمكنك بعد الاطلاع عليها تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين العربية والعربية بخصوص موضوع الفعل، والاستفادة من المراجع التي نقلت منها لإنجاز البحث.

[11] أحمد متوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة – دراسة في التنميط والتطور، دار الأمان، المغرب، ط1، 2012، ص 18.

الفعل في اللغة العبرية:

يعرف الفعل في اللغة العبرية הַפּעַל بأنه ما دل على حدث قام به فاعل–ظاهر أو مستتر– في زمن معين، وينقسم زمن الفعل في العبرية إلى أربعة أقسم هي:[12]

1–**الماضي זְמַן עָבָר:** وهو ما دل على حدث تم فيما مضى، أي قبل زمن التكلم، مثل:

כָּתַב كتب، לָקַח أخذ ، שָׁמַר حرس

2–**المستقبل זְמַן עָתִיד:** وهو ما دل على حدث سيقع بعد زمن التكلم، مثل: יִכְתּוֹב سيكتب

3–**الحال أو المضارع זְמַן הוֹוֶה:** وهو ما دل على وقوع حدث أثناء التكلم–أي أنه زمن المضارعة–ويستخدم اسم الفاعل للتعبير عن هذا الحدث، مثل: כּוֹתֵב كاتب–يكتب.ويجب ألا يسبق اسم الفاعل–المعبر عن زمن المضارع–فعل الكينونة، سواء في الماضي أو المستقبل أو الأمر حتى لا تمحو زمن المضارع، إلا أن العبرية الحديثة صارت تسقط هذه القاعدة، وأصبحت تستخدم فعل الكينونة قبل اسم الفاعل.

4–**الأمر צִוּוּי:** وهو ما يطلب به حدوث شيء بعد زمن التكلم، مثل: כְּתוֹב أكتب

الفعل اللازم والمتعدي في اللغة العبرية פֹּעַל עוֹמֵד וּפֹעַל יוֹצֵא:

ينقسم الفعل إلى لازم ومتعد؛ فاللازم هو ما لا يحتاج إلى مفعول به (كما في العربية)، مثل: חָדַל كف، שָׁכַב رقد–نام، יוֹסֵף שָׁכַב نام يوسف، أما المتعدي فيحتاج إلى مفعول به،[13] مثل: שָׁמַר حرس، הַשּׁוֹמֵר שָׁמַר אֶת הַגַּן الحارس حرس الحديقة. وقد يحتاج الفعل المتعدي إلى أكثر من مفعول به، مثل: הָעָשִׁיר הָאֲכִיל אֶת הֶעָנִי לֶחֶם الغني أطعم الفقير خبزًا، ففي الجملة السابقة مفعولان هما: הֶעָנִי الفقير، ولֶחֶם خبزا.

---

[12] محمود خياري: الفعل بين العربية والعبرية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، م3، العدد 2، 2001، ص 147 وما بعدها، والفعل في اللغة العبرية، 5–11–2023،

[13] سيد سليمان عليان: في النحو المقارن بين العربية والعبرية، مرجع سابق، ص 105.

الفعل المجرد والمزيد في العبرية הַפְּעָלִים הַפָּשׁוּט וְהַמְּסוֹפָּח

الفعل المجرد هو ما كانت جميع حروفه أصلية، والمزيد ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية. وينقسم الفعل المجرد في العبرية إلى نوعين، هما:[14]

1-**ثلاثي مجرد:** وهو الفعل المكون من ثلاثة حروف أصلية، مثل: יָשַׁב جلس

2-**رباعي مجرد:** وهو الفعل المكون من أربعة حروف أصلية، وينقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ- أفعال يتكرر فيها المقطع الأول مرتين، مثل: בִּלְבֵּל بلبل، גִּלְגֵּל دحرج، כִּלְכֵּל أعال،

ب- أفعال يتكرر فيها الحرف الأخير (لام الفعل)، مثل: שִׁחְרֵר حرر.

ج-أفعال لا تتكرر حروفها على اعتبار أنها كلها أصلية، مثل: תִּרְגֵּם ترجم، עִדְכֵּן استكمل-استحدث.

وينقسم المزيد كذلك إلى قسمين:[15]

1-مزيد ثلاثي: وهو ما زيد فيه حرف على أصله الثلاثي، مثل: נִשְׁבַּר انكسر (الحرف الزائد هنا هو النون)، לִמֵּד علَّم (الحرف الزائد هنا هو تضعيف الميم للتعدية) . أو حرفين، مثل: הֶעֱבִיד شغَّل (الحرف الزائد هنا هو الهاء والياء)، أو ثلاثة حروف، مثل: הִתְלַמֵּד تعلم (والحروف الزائدة هنا هي الهاء والتاء وتضعيف الميم).

2-مزيد الرباعي: وهو ما زيد فيه حرفان على أصله الرباعي، مثل: הִשְׁתַּחְרֵר تحرر

وليس بالضرورة أن يكون لكل مجرد مزيد، بل يمكن أن يكون هناك فعل مجرد ولا يستعمل منه المزيد أو العكس.

[14] الفعل في اللغة العبرية ، 5-11-2023، https://www.mitsraim.com

[15] المرجع نفسه

أوزان الفعل בִּנְיְנֵי הַפּוֹעַל: للفعل في اللغة العبرية سبعة أوزان، وهي:[16]

1. **الوزن الأول (בִּנְיָן רִאשׁוֹן):** هو פָּעַל ويقابل في اللغة العربية وزن فَعَلَ، أي أنه ثلاثي، باستثناء أن فاء فَعَلَ في العبرية طال تشكيله وأصبح بالفتحة الطويلة القاماتس.مثل: כָּתַבְתִּי אֶת הַשִּׁעוּר: كَتَبْتُ الدرسَ –יָדַעְתִּי אֶת הַדֶּרֶךְ: عَرَفْتُ الطريقَ.

2. **الوزن الثاني נִפְעַל:** أي بزيادة حرف النون في أول الجذر (פ.ע.ל)، ويستعمل للدلالة على البناء للمجهول من مجرد الوزن السابق ذكره، أمثلة: נ + כָּתַב، נִכְתַּב كُتِبَ/انكتب. وهذا الوزن يقابل وزن انفعل في العربية الدال على المطاوعة.

3. **الوزن الثالث פִּעֵל:** يتشكل هذا الوزن بتضعيف عين الوزن القياسي فينتج פִּעֵל. ويدل في الغالب على الشدّة، والتضعيف، والمبالغة، أو التعدِّي، مثل: שָׁבַר: كَسَرَ، وشִבֵּר: كَسَّرَ.

4. **الوزن الرابع פֻּעַל:** وهذا وزن ما لم يُسمَّ فاعله (مبني للمجهول) من الوزن السابق، ونحصل عليه كما في العربية، بتغيير حركات بِنْيَة الفعل؛ مثل: שִׁבַּר –לְמַדأي كُسِّرَ – عُلِّمَ.

5. **الوزن الخامس הפעיל:** وهو مزيد بالهاء ويقابل تمامًا (وزن أَفْعَلَ) في اللغة العربية، وله الوزن نفس دلالة (أفعل) في العربية فإذا كان المجرد (פָּעַל)، لازمًا مثل: יָצָא: خرج، صار في הִפְעִיל متعديًا הוֹצִיא أخرج. وإذا كان المجرد متعديًا مثل: לָבַשׁ لبِسَ، أصبح متعديًا لمفعولين، مثل: הִלְבַּשְׁתִּי אֶת הַיֶּלֶד אֶת הַבֶּגֶד ألبستُ الولدَ الثوبَ.

6. **الوزن السادس הופעל:** هُوفْعَل: הָפְעַל/הופעל؛ وهو وزن للمبني للمجهول من الوزن السابق (הִפְעִיל)، مثل أُفْعِلَ في اللغة العربية، ويكون ما بعده نائب فاعل. مثل: הַכּוֹס הָשְׁבַּר: أُكْسِرَ الكوب، הַכֶּסֶף הָוצָא : أُخْرِجَت النقود.

محمود خياري: الفعل بين العربية والعبرية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، م3، العدد 2، 2001، ص 158 فما بعدها، وسامي إمام: الفعل في اللغة العبرية، 5-11-2023، http://hebrewfromatozbydrsamyalemam.blogspot.com/2014/12/blog-post.html[16]

7. **الوزن السابع התפעל:** ونحصل عليه بإضافة المقطع הִתְ إلى الوزن الثالث פִּעֵל، مثل: הִתְכַּתֵּב – הִתְקַדֵּש – הִתְאַמֵּץ أي تراسل – تقدَّس – تشجّع.

مما تقدم يبدو واضحا وجه الشبه بين الأفعال في اللغة العربية والعبرية، وهذا مؤشر ينضاف إلى بقية المؤشرات الدالة على أن اللغة العربية والعبرية تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة.

1-علم اللغة المقارن في التراث اللغويّ العربيّ:

في الوقت الذي يزعم علماء الغرب أسبقيتهم في تأسيس المنهج المقارن وخطواته الإجرائية، نجد من الباحثين العرب من يفند هذا الزعم ليثبت خلافه بأدلة من الكتب التراثية، سواء كانت هذه الأدلة مجرد إشارات وتلميحات، كما فعل رمضان عبد التواب، أو دليلا قطعيا على الممارسة الفعلية للمنهج المقارن كما برّهن عليه أحمد مختار عمر.

فالأول أشار إلى ملاحظات بسيطة وردت في كتاب العين للخليل بن أحمد حين قارن بين العربية والكنعانية، فذكر أنّهما متضارعتان لأن الكنعانيون يتكلمون بلغة تضارع العربية.[1] وكذلك ما ساقه من رأي ابن حزم الأندلسي في علاقة القربى بين العربية والعبرية والسريانية، فرغم اختلافها فهي تنتمي إلى أصل واحد، تغير مع تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم.[2] لكن هذه النتيجة التي توصل إليها لم تكن نتاج دراسة معمقة لمستويات اللغة، وإنما هو مجرد استنتاج قائم على معرفة وعلم ابن حزم بهذه اللغات.

أما أحمد مختار عمر فإنه أثبت سبق العرب إلى المنهج المقارن من خلال أعمال ابن بارون وجودة ابن قريش التاهرتي. فقد ترك هذا الأخير "عملا مكتوبا بالعربية قسمه إلى ثلاثة أقسام، وعالج في قسم منه العلاقة بين العبرية والآرامية، وفي قسم آخر العلاقة بين العبرية والعربية. وشبه العلاقة بين العبرية والعربية (بفروع الشجرة الواحدة أو بعروق الجسد الواحد). كما صرح بأن العربية والآرامية ليسا أجنبيين. وذكر أن العربية والعبرية نتجا عن أصل واحد وتفرعا نتيجة الخروج إلى أماكن مختلفة والاختلاط بلغات أخرى، والاقتراض منها."[3] ليخلص إلى أن اللغات الثلاثة (العبرية والآرامية والعربية) من طبيعة واحدة.

---

[1] رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص 201.

[2] المرجع نفسه، ص 202.

[3] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، مرجع سابق، ص 336.

فعمل كهذا يستحق التأسيس للمنهج المقارن وإن لم يهتد صاحبه للتنظير له، فإنه قد طبقه ومارسه في عمل متكامل.

أما" ابن بارون فقد كان يهوديا إسبانيا، واسمه بالكامل أبو إبراهيم إسحاق بن بارون كتب في أواخر القرن الحادي عشر كتابه العظيم (كتاب الموازنة بين اللغة العبرية والعربية). وقد خصّص الكتاب للدراسة المقارنة بين اللغتين من جانبي اللغة والنحو، واهتم ببيان أوجه الشبه والخلاف."[4] وعمله هذا مما لا يدع مجالا للشك في الجهد الذي بذله العرب في هذا المجال.

2-توظيف المنهج المقارن في التراث العربي:

وسنكتفي هنا أيضا بمثالين لا يبتعدان عن البحث اللغوي بمفهومه الواسع حين يتناول قضايا اللغة في مجالاتها التطبيقية بعيدا عن معالجة مستويات اللغة كما مر بنا، ونبدأ بالمثال الأول وهو أبو البيان العربي الجاحظ (ت 253هـ) حين تحدث في كتاب "البيان والتبيين" عن بلاغة الفرس والروم ويقصد الإغريق، والهند، فساق خبر من سُئل عن البلاغة من كل أمة فأجاب بما يأتي:[5]

قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل

وقيل لليوناني ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام

وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإلمالة.

وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وهذا المثال الذي سقناه ذكره الجاحظ كتقديم يعرض من خلاله مفهوم البلاغة عند هذه الشعوب المختلفة من أجل أن يبدأ في الرد على مذهب الشعوبية ومطاعنهم في خطباء العرب، فعرض أقوالهم خاصة ما تعلق بحياتهم وحربهم ورد على أقوالهم وما قدموه من أدلة على

[4] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 333.

[5] الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1998، ج1، ص 88

بلاغتهم التي اعتقدوا أنها قد فاقت بلاغة العربيّ. وفي عمله هذا وظّف المنهج المقارن وهو يقارن بين بلاغة العربي وبلاغة بقية الشعوب.

وفي هذا السياق يخص العرب والفرس بالخطابة،" وأما الهند فإنما لهم معان مدونة، وكتب مخلدة، لا تضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف، وإنما هي كتب متوارثه، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة، ولليونانيين فلسفة، وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه (أي أرسطو) بكيَّ اللسان غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وخصائصه. وهم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة."[6] وكما هو واضح يقارن الجاحظ بين مختلف الشعوب بناء على اطلاعه على بلاغتهم، محاولا تقديم حججه فيما يذهب إليه.

ورغم خطابة الفرس عند الجاحظ إلا أنهم دون العرب لأن كل كلامهم، وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب، وطول التفكر ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفِكَر.[7] فالبلاغة عند الفرس وليدة طول اجتهاد، وميراث تشارك فيه أفراد، وليست بلاغة فرد حاضر البديهة يرتجل بها متى شاء.

لأن العربي وحده عند الجاحظ من امتاز بـ"بديهة وارتجال وكأنه إلهام، وليست هناك مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهْمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحذو ببعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالا، وتنهال عليه الألفاظ انهيالا، ثم لا يقيده على نفسه، ولا يدْرُسه

[6] الجاحظ: البيان والتبيين، ج 3، ص 26-27.

[7] المرجع نفسه، ص 28.

أحد من ولده."[8] ويؤكد ما ذهب إليه بالحجج والأدلة التي يشهد بها كلام العرب على فصاحتهم وبلاغتهم ولا يعتبر هذا موقفا ذاتيا كما ظن به بعض الباحثين المعاصرين، وإنما دراسة قامت على المنهج المقارن وما يستلزمه من خطوات.

ويندرج ضمن المقارنات الكثير من الكتب التراثية ككتب الموازنات في الأدب العربي ككتاب "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري" للآمدي (ت 370هـ).

-ابن خلدون والمنهج المقارن:

استخدم ابن خلدون المنهج المقارن في مقدمته لأن المنهج التاريخي الذي نضج عنده في كتابه "المقدمة" أساسا يحتاج إلى المقارنة، وكما رأينا في نشأة المنهج المقارن في أوربا فإنه لصيق بالمنهج التاريخي حتى أن بعض الباحثين يعده منهجا واحدا هو المنهج التاريخي المقارن.

وبما أننا تحدثنا عن اسهام ابن خلدون في التنظير للمنهج التاريخي فإننا في المنهج المقارن سنقف عند توظيفه للمنهج المقارن في سياق المقارنة بين طرائق التعليم في أماكن مختلفة من البلاد العربية، فوقف عند كل بلد مبينا طريقة تعليمه للصبيان، ليخلص إلى الطريقة النافعة في تعليم الملكة اللغوية.

فأهل **المغرب** كما ينقل لنا خبرهم ابن خلدون "مذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله، واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه. فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعًا عن العلم بالجملة."[9]فأساس التعليم في المغرب هو تعليم القرآن حتى يتقنه حفظه المتعلم، أو ينقطع عنه.

[8] المرجع السابق، ص 28.

[9] ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص 556.

"وأمَّا **أهل الأندلس** فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب ، من حيث هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه، ومنبع الدين والعلوم، جعلوه أصلًا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسُّل، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب، ولا تختص عنايتهم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة، وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما، وبرز في الخط والكتابة، وتعلَّق بأذيال العلم على الجملة."[10] نلاحظ أن أهل الأندلس خلاف أهل المغرب، لا يقتصرون على تعليم القرآن فقط، بل يعلمون الصبيان إضافة إلى ذلك الشعر وقواعد اللغة والكتابة، لذلك هم أحسن اكتسابا لملكة اللغة العربية.

"وأمَّا **أهل إفريقية والمغرب** فأفادهم الاقتصار على القصور القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة، وذلك أن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصروفون عن الإتيان بمثله، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لهم مَلَكة في اللسان العربي حظه الجمود في العبارات وقلة التصرُّف في الكلام وربما كان أهل إفريقية في ذلك أخف من أهل المغرب."[11]

وهنا يظهر جليا لما كان أهل الأندلس أكثر تحصيل لملكة اللغة، لأن الاكتفاء بالقرآن لوحده لا يكفي لتحصيل الملكة اللغوية لصعوبة محاكاته، بل يحتاج المتعلم إلى كلام العرب ليتمكن من محاكاتهم.

"وأمَّا **أهل المشرق** فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا، ولا أدري بِمَ عنايتهم منها، والذي يُنْقَل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطون بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده، كما نتعلَّم سائر الصنائع،

[10] المرجع السابق، ص 556.

[11] المرجع نفسه، ص 557.

ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر على الإجادة، ومن أراد تعلُّم الخط، فعلى قدر ما يسمح له بعد ذلك من الهمة في طلبه." [12]

يظهر وجه الشبه بين مذاهب التعليم في البلاد العربية في اعتماد جميعها على حفظ القرآن، غير أنهم يختلفون في مقدار العلوم التي تضاف إلى التعليم القرآني؛ أما وجه الاختلاف هو الذي اهتدى به ابن خلدون لمعرفة أي المذاهب أفضل في تكوين مَلَكة اللسان العربي.

فكان أهل الأندلس أفضل جرَّاء تفنُّنهم في التعليم، واشتغالهم برواية الشعر والترسُّل، ومدارسة العربية من أول العمر. ولكن أهل المغرب بقوا قاصرين في مَلَكة اللسان جملة؛ لاقتصارهم على تعلُّم القرآن في صغرهم؛ لأن القرآن لا ينشأ عنه في الغالب مَلَكة. أما الطريقة الأفضل عند ابن خلدون فقد وجدها عند القاضي أبي بكر العربي وهي لا تختلف عما توصل إليه؛ القائل:" إن تعليم العربية والشعر يجب أن يتقدَّم على القرآن وسائر العلوم كما هو مذهب الاندلس لان الشعر ديوان العرب، ثم ينتقل الى تعليم الحساب، ثم ينتقل الى درس القرآن فانه يتيسر عليه بهذه لمقدمة"[13] فهذا الذي استحسنه ابن خلدون في تعلم الملكة اللغوية.

نخلص مما تقدم أن التراث العربي بمختلف مشاربه زاخر بتوظيف المنهج المقارن وإن لم ينظر له العلماء، لأن زمنهم كان زمن العمل بالمنهج لتطوير العلوم، وما ذكرناه غيض من فيض، واقتصرنا فقط على ما تعلق بالبحث اللغوي بمفهومه العام فقدمنا نماذج بينا من خلالها تطبيق المنهج في المقارنة بين اللغة العربية والعبرية والتوصل إلى وجود علاقة القرابة بينهما.

كما شهدنا من خلال هذه النماذج فطنة بعض العلماء العرب وإن لم يدرسوا جميع اللغات فإنهم لمحوا حقيقة أن اللغة العربية تجمعها علاقة قربى مع لغات أخرى كرأي ابن حزم الذي انتهى إلى أن العربية والعبرية والسريانية تنتمي إلى لغة واحدة في الأصل.

---

[12] ابن خلدون: المقدمة، مرجع سابق، ص 557.

[13] المرجع نفسه، ص 558.

أما ما قدمناه من عمل الجاحظ وابن خلدون فهي نماذج ممثلة لتوظيف المنهج المقارن في البحث اللغوي بشكل عام. وبهذا تظهر أهمية هذا المنهج في مختلف المجالات لأنه يقود إلى نتائج يستفيد منها أهل الاختصاص في العلم، والمجتمعات ككل لتحسين أحوالها، كالحل الذي قدّمه ابن خلدون في الطريقة الأفضل لتعليم الملكة اللغوية.

الأعمال الموجهة:

حروف الجر بين اللغة العربية والعبرية–دراسة مقارنة

على منوال ما رأيت في البحوث السابقة المتعلقة بالمقارنة بين العربية والعبرية أنجز هذا البحث مبينا أوجه التشابه والاختلاف بين اللغتين فيما يتعلق بحروف الجر، لتخلص إلى إحدى المؤشرات الدالة على علاقة القرابة بين اللغتين.

1 -أسس الدراسة المقارنة للغات:

تقتضي المقارنة وجود سمات مشتركة بين الظواهر محل المقارنة أي وجود قدر من التشابه والاختلاف، إذ لا مقارنة بين الظواهر تامة الاختلاف، ولا الظواهر تامة التشابه.

ويسعى المنهج المقارن كما سبقت الإشارة إليه إلى وضع الصيغ المبكرة المؤكدة، المأخوذة من لغات يُشك في وجود صلة بينها، لإصدار حكم بعد الفحص والمقارنة واستنتاج؛ درجة الصلة بين هذه اللغات، والتوصل إلى اللغة الأم من خلال الشكل الذي يبدو أقرب إليها والذي منه تشعبت جميعا. وتتم هذه العملية على مستوى الأصوات والتراكيب النحوية لهذه اللغات، ونمط تصريفها، ومفردتها الأساسية، ويلاحظ ازدياد قربها بعضها من بعض كلما اتجهنا إلى الزمن الماضي.

ولقد اعتمد الدارسون في معالجتهم اللغات بالمنهج المقارن على مبادئ وأسس مختلفة لتصنيف اللغات، جمعها الباحث أحمد مومن ضمن نوعين من التصنيف؛[1] النوعي والنسبيّ وتتفرع حسب الأسس التي قام عليها كل تصنيف.

2. أسس تصنيف اللغات:

سنعتمد في تقديم هذه الأسس على ما قدّمه الباحث أحمد مومن من تصنيفات في كتابه "اللسانيات النشأة والتطور."

2. 1.التصنيف النوعي للغات:

يقوم التصنيف النوعي على تنميط اللغات على أساس الخصائص اللغوية الشكلية والصورية التي تمتاز بها اللغات البشرية، ويبنى هذا التصنيف على مميزات الشبه الموجودة بين الصوت والصرف التركيب، أو بعبارة أخرى يبنى على الغرافيمات والأصوات والمفردات والصرف والتركيب.[2] وظهر هذا النوع من التصنيف في القرن التاسع عشر، ومن اللسانيين

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، مرجع سابق، ص 97 فما بعدها

[2] المرجع نفسه، ص 97.

الذين قدموا جهودا ذات أهمية في التصنيف النوعي نجد" أوغست شليجل August " Schlegelالذي صنّف اللغات إلى ثلاثة أصناف هي:[3]

1. **اللغات التصريفية: inflectlonal** وهي التي تدل على العلاقات النحوية عن طريق السوابق واللواحق والتغييرات الداخلية في بنية الكلمة وإذا استعملنا مصطلحات أكثر تحديدا، نقول عن طريق الجمع بين مورفيمات حرة ومتصلة على سبيل المثال: الكلمات الإنجليزية walk و walk–s و walk–ing .وخير مثال هي اللغة العربية

2. **اللغات اللاصقة agglutinative:** التي تضيف لواحق منفصلة تختلف عن النهايات التصريفية في أنها من الممكن أن تتمتع باستقلالها وانفصالها في بعض المواقف كمورفيم حر، وذلك مثل العبارة المجرية ha z–ak – ban " haz معناها منزل، و ak علامة الجمع و ban بمعنى في" التي معناها "في المنازل". ولكن الحدود بين هذا النوع السابق ليست واضحة المعالم دائما.

3. **اللغات العازلة isolating:** وهي التي تستعمل فقط المورفيمات الحرة وتدل على العلاقات النحوية بنظام الجملة المعين. ومثال ذلك الكلمة الصينية wo التي تحتمل بناء على موقعها في الجملة معنى ضمير المتكلم في حالاتها الاعرابية المختلفة (mine–my–me–i).

2.2. المبدأ النوعي لتصنيف اللغات المبني على السمات السطحية:

وهو تصنيف اللساني فينك F.N. Finck ويرى أن الفعل الكلامي يتكون من عمليتين: تحليل الموقف الكلامي إلى مكوناته وعناصره المبنية له، وتركيب الموقف من كل متكامل باستعمال بعض المفردات. وقد خلص" فينك "إلى أن اللغات ثمانية أصناف[4]:

عازلة الجذر Root–isolating مثل الصينية

[3] ماريو باي: أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص 56–57.

[4] أحمد مومن: مرجع سابق، ص 98.

عازلة الساق Stem-isolating الساموائية

مصرفة الجذر Root-inflected العربية

مصرفة الساق Stem-inflectedالإغريقية

مصرفة جمعية Group-inflected الجورجية

سابقية Juxtaposing السوبية

لاصقة Agglutinative التركية

إندماجيةIncorporating الإسكيمو

3.2. التصنيف النوعي المبني على أساس الفونولوجية وترتيبها:

وهذا الشكل من التصنيف يقوم على وصف الأنظمة الفونولوجية للغات واستنباط العناصر الصوتية الباطنية المشتركة بين الأنظمة ثم تصنيفها تصاعديا من أقل الأنظمة صوائت إلى أكثرها صوائت وجاء تصنيفها كما يلي[5]:

النظام الصائتي الثلاثي تمثله الصوائت القصيرة في العربية وتمثيلها في اللغات الأجنبية a. e. u

الرباعي التونكاويةTonkawa o.e.a.i

الخماسي اللاتينية القديمة u.e.o.a.i

السباعي الإيطالية المعاصرة u.e.o.a.i

الثماني التركية i.ù.l.u.e.a.o.

التساعي الإنجليزية i.t.u.e.a.o.ae.a

[5] أحمد مومن، مرجع سابق، ص 99.

4.2 .تصنيف اللغات على أساس الخصائص التركيبية:

يقوم هذا التصنيف على أساس البنية التركيبية أي حسب ترتيب عناصر الجملة، ومن بكورة هذه الأعمال ما قدّمه إدوارد سابير في كتابه " اللغة" حين تحدث عن أنواع التراكيب اللغوية، وقد حدد اللسانيون أنماط التراكيب في كافة اللغات في ثلاث أنماط هي:[6]

النمط الأول: فاعل (مبتدأ) +فعل + مفعول به

النمط الثاني: فاعل (مبتدأ) + مفعول به + الفعل

النمط الثالث: فعل + فاعل+ مفعول به

2.2. التصنيف النَسبي:Relative classification

أو التصنيف الوراثيGenitic classification ويقوم على تصنيف اللغات إلى عائلات لغوية على أسس القرابة الجينية ثم تقسيم لغات العائلة الواحدة إلى مجموعات لغوية ولغات المجموعة الواحدة إلى فروع لغوية والفرع الواحد إلى لغات واللغة إلى لهجات.[7] وهذا الشكل يمثل عائلة اللغات الهندوأوربية، والتي تجمعها علاقة قرابة.

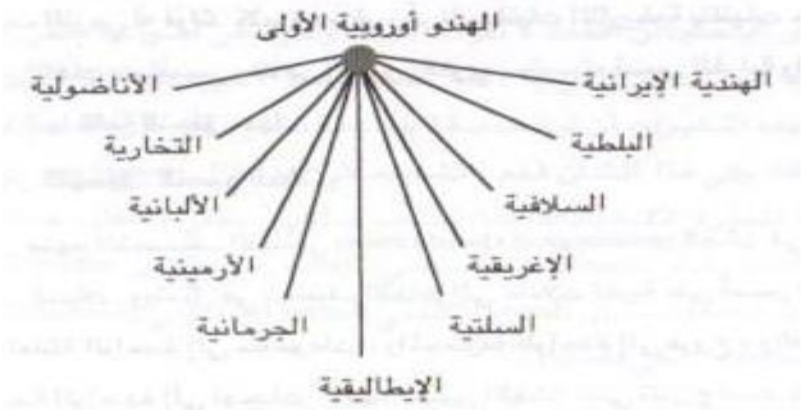

ويعد اللساني "شليشر" رائد هذا النوع من التصنيفات وذلك من خلال وضع خطاطة شجرة النسب والتي أسماها بالشجرة السلالية Strambau للغات الأروبية، وذلك بهدف

[6] أحمد مومن، مرجع سابق، ص 100.

[7] المرجع نفسه، ص 101 فما بعدها لمزيد من التفصيل

توضيح علاقة القرابة بين اللغة الأصلية أو الأم ولغات المتفرعة عنها من اللغات الهندوأروبية.[8] وهذا الشكل يمثل تفرع هذه العلاقات

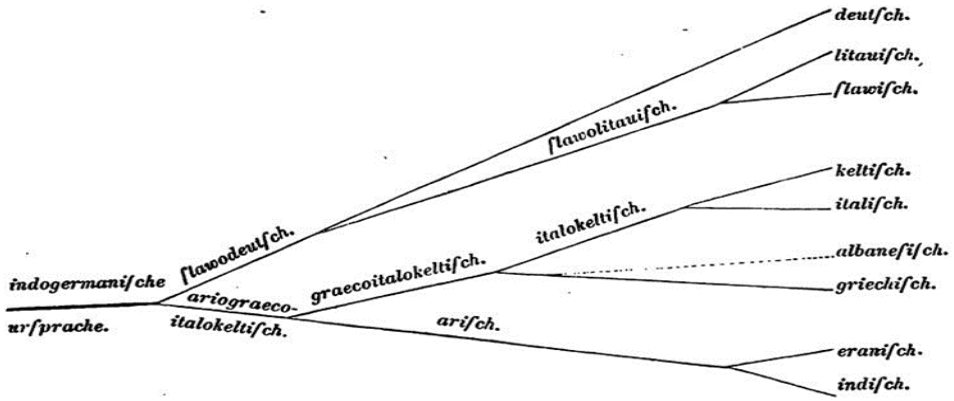

كما تمكّن "أوغست فيك" August Vic 1976- 1833 لأول مرة من تطبيق نظرية شجرة الأسر اللغوية لشليشر وقسم لغات العالم إلى مجموعتين :المجموعة الهندوإيرانية، والمجموعة الأروبية، ثم قسم المجموعة الثانية إلى مجموعة اللغات الأروبية الجنوبية (كالإغريقية واللاتينية) ومجموعة اللغات الأروبية الشمالية (كالجرمانية والسلافية)، وقسم المجموعة الأوربية الشمالية إلى المجموعة الجرمانية والمجموعة البلطية السلافية.[9]

صنّف العلماء اللغات الحية التي تزيد عن 4000 أربعة ألاف لغة إلى ما يقرب من ثلاثين أسرة لغوية رئيسية، وأكبر هذه الأسر وأهمها، هي:[10]

1. أسرة اللغات الهندو أوروبية
2. أسرة اللغات الأفروآسيوية
3. أسرة اللغات الأورالية الألتائية، نسبة للجبال (أورال – ألطاي)

[8] مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص 156.

[9] أحمد مومن، مرجع سابق، ص 91-92.

[10] محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار الغريب للطباعة والنشر، مصر، 2001، ص 234.

اللغات الأورالية عائلة لغوية تمتد من سيبيريا شرقاً إلى أوروبا غرباً، وتتألف من فرعين رئيسيين اللغات الفينية الأوغرية واللغات الساموديّة، تضم هذه العائلة اللغوية 39 لغة من بينها المجرية والفنلندية والإستونية...

الألتائية (التركية والمنغولية) ويقطن الناطقون بهذه المجموعة في المناطق الشمالية الشرقية لقارة آسيا وفي المقاطعات الشمالية، والشمالية الشرقية للصين وفي منغولية وآسيا الوسطى وجنوب سيبرية وتركية والشرق الأدنى وشبه جزيرة البلقان.

تُعرف أسرة اللغات الأفروآسيوية باسم الحاسامية Semitic Hamito وهي أكبر أسرة موجودة في شمال إفريقيا وفي جنوب غرب أسيا وتحتوي على أكثر من 200 لغة ولهجة وهي تضم خمسة فروع هي: الفرع السامي–الفرع المصري القديم – الفرع البربري – الفرع التشادي – الفرع الكوشي.[11]وإلى هذه الأسرة تنتمي اللغة العربية في الفرع السامي.

2.2. 1. التعريف باللغات السامية:

يطلق اسم (السامية)، عادة على مجموعة من اللغات يتكلم بها في آسيا الغربية أو أنها نشأت بوجه عام في ذلك المكان، وتتسم هذه اللغات بسمات كثيرة مشتركة؛ في الأصوات والمفردات والصرف والنحو؛ وتشترك في اتجاهات تطورها، وأطلق شولوتسر A L Schlozer صفة السامية على اللغات التي تكلم بها الأراميون والعبريون والعرب وأقوام أخرى بناء على ما جاء في سفر التكوين.[12]

ولا توجد في الحقيقة أمة تسمى السامية أو الساميون حتى تُنسب لها اللغات السامية وإنما هو مصطلح –كما سبق ذكره– أطلقه المستشرق النمساوي شولتزر عام 1781 على الشعوب التي زعموا أنها من سلالة ابن نوح سام ، وهو مصطلح غير علمي من جهة الوضع لكنه شاع بين الباحثين، وانبنى هذا المصطلح على شجرة الأنساب الواردة في التواراة التي

[11] محمد داوود: العربية وعلم اللغة الحديث، ص 235–236.

[12] سباتينوموسكاتي وآخرون: مدخل الى نحو اللغات السامية المقارنة، تر: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1993، ص 13.

ذكرت أبناء نوح عليه السلام (سام وحام ويافث) وقد جاء هذا التوجه في التسمية من أجل طمس حقيقة أن الكنعانيين هم من سكن فلسطين أولا، وقد تم اقصاءهم من العائلة السامية في اللغة وإن كان المستشرق بروكلمان قد أثبتها، والغاية من ذلك تأصيل الوجود اليهودي في أرض فلسطين.[13] وتضييع الحق العربي بتزييف الحقائق مادام هناك من يصدقها في ظل غياب البحث العلمي الصحيح والدقيق.

ومن الباحثين من قال بأن العربية أصل اللغات السامية كالمستشرق "أولمستد" الذي قال بأن البدو العرب أول من تكلم باللغة السامية، وكذلك المستشرق "فيليبي" الذي أكد أن العربية أقرب من جميع اللغات السامية إلى اللغة الأم الأصلية، وإنها أقدم لغة في العالم مازالت حية ليومنا هذا.[14] ومع ذلك توجد كتابات تزعم أن العبرية أصل اللغات السامية، بل الأصل الذي تعود إليه كل اللغات، مع أنه لا توجد أدلة تثبت ذلك، وإنما تعصب لتحقيق بعض المكاسب.

بناء على ما تقدم، فإن ما قدّمه المنهج المقارن في دراسة اللغات تم استغلاله لأهداف غير علمية، فاخترعت التسميات من غير أدلة قطعية، ففي الوقت الذي سميت الأسرة الهندية الأوربية وغيرها من الأسر باسم البقعة الجغرافية التي تنتمي إليها الشعوب الناطقة بها، سميت الأسرة السامية والحامية بأسماء أبناء نبي الله نوح.

فظهرت على إثر ذلك فكرة اللغة الأم لكل اللغات فتضاربت الآراء بشأنها فيوجد من ردها للغة العبرية، وآخرون للغة العربية، كل اتجاه يبحث له عن دليل، مثلما فعل الباحث جاسم علي جاسم في محاولته لتصنيف اللغات إلى فصليتين فقط: العربية وهي أم اللغات المقدسة والسومرية وهي أم اللغات الأعجمية أو اللغات غير المقدسة.[15] وليس هذا مقام مناقشة

---

[13] محمد صالح توفيق: اللغة العربية تطبيقات في المنهج المقارن، دار الهاني للطباعة والنشر، مصر، دط، دت، ص 121-122.

[14] المرجع نفسه، ص 124.

15 جاسم علي جاسم: عالمية اللغة العربية وهيمنتها على اللغات-قراءة ناقدة في تقسيم اللغات، مجلة أبحاث في اللغة والأدب، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 12، 2016، ص 493

هذا الموضوع، لما يتطلبه من تشعب حديث يفضي بنا إلى الابتعاد عن صلب الموضوع وهو التعريف بأسس الدراسة المقارنة للغات. لذا نكتفي بما قدمناه.

وهذا مخطط يمثل شجرة اللغات السامية كما شاعت تسميتها:[16]

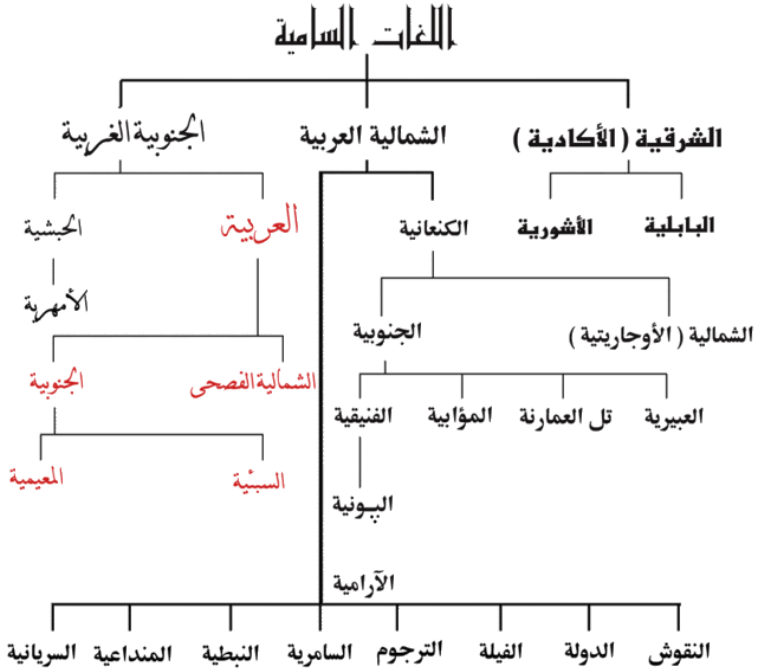

هذه الأسس التي قدمناها بإيجاز تتعلق بدراسة اللغات بواسطة المنهج المقارن لأنه ينبغي أن يكون الباحث على علم بما ينبغي مقارنته بين اللغات والذي على أساسه سيتميز هذا النوع من النوع من المقارنة عن غيره.

أما حين يتعلق الأمر بدراسة موضوع لا يتعلق بمستويات اللغة، ويندرج أيضا ضمن البحث اللغوي، كالمقارنة بين مناهج التدريس بالأهداف والتدريس بالكفاءات، فينبغي على الباحث أيضا أن يحدد الأسس التي على أساسها تجري المقارنة لأنها هي التي ستحدد لنا النتائج التي سنصل إليها، ففي مثل هكذا موضوع قد يكون التركيز على طريقة التدريس وطريقة

[16] https://dorar.net/arabia موقع الدر السنية 14-11-2023.

التقويم والنتائج المترتبة عنهما لنتمكن من معرفة المنهاج الأفضل في التدريس، ومعرفة الإيجابيات والسلبيات لكل منهما وبالتالي يصبح لدينا خيارات متعددة مفتوحة أمام أفضل المناهج.

3-صعوبات تطبيق المنهج المقارن:

لعلّ من أظهر العقبات التي تظل قائمة في وجه الباحث الذي يستخدم هذا المنهج في دراسة اللغات ما يأتي:[17]

-مشكلة الاعتماد على الكتابة دون النطق، وما يزيد الأمر صعوبة أنَّ كثير من اللغات قد اندثرت من واقع الاستعمال اللغوي، ولذا كان من الصعب معرفة كيف كان نطق العرب الجنوبيّون لكلمة مكتوبة، نحو(:كتب ، فهل هي: كَتَبَ أم كُتِبَ أم كَتُبَ

-انقراض اللغة الساميةُ الأم :وعدم الوقوف على تاريخ دقيق للفترة الزمنية التي عاشت فيها هذه اللغة قبل أن تتفرع عنها بناتها، ولذا فقد تطرّق الشك في أذهان بعض الباحثين إلى وجود هذه اللغة أصلا.

-انقراض الكثير من اللغات السامية، ولعلّ بعضها لم يكتشف بعد وحتى اللغات التي اكتشفت منها مؤخرًا كالأوكارية (سنة1928)، والأكادية (اكتشفت حوالي منتصف القرن التاسع عشر) فإن الدراسات التي أجريت حولها ما تزال في حاجة إلى مزيد من التمحيص والإضافة .

-الجهل بالحقب التاريخية للغات السامية، كالعربية مثلا، فإن كثيراً من حقبها التاريخية ما تزال مجهولة، وبالتالي عدم القدرة على تحديد الأصيل من الدخيل في اللغات السامية. فمن المعلوم أنّ لكل لغة جوانب ذاتية في التطور والنمو، وثمَّة جوانب أخرى تعتمد فيها على سواها من اللغات، فتستعيرٌ منها، أو تتأثر بها وهنا تكمن

[17] إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، مرجع سابق، 50

الصعوبة في معرفة ما هو دخيلٌ، وبخاصة في مجال اللغات المتقاربة أصلا .ولعلّ هذا ما فسر لنا صعوبة التعرف على الكلمات التي تبادلتها اللغات[18].

-صعوبة الوصول إلى ترتيب يبين تدّرج هذه اللغات زمنيا في انفصالها عن اللغة الأم، لنعرف بالتالي اللغة الأقدم أو الأكثر تمثيلا للأصل، فإن يكن معلوم أن الآرامية أصل لكل من المندعية (لغة المجوس) والسريانية (لغة النصارى)، فإنه غير معلوم إنْ كانت العربية أقدم اللغات السامية أم الأكادية أم العربية الجنوبية (التي منها الحبشية).[19] وقد اختلفت الآراء بهذا الشأن، والتفسيرات التي يمكنها أن تثبت ذلك.

-صعوبة معرفة الأصيل من الدخيل في اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة، لأنه توجد ظواهر لغوية مشتركة بين هذه اللغات أخذتها عن الأصل الذي تفرعت منه، وهو أصل لم نعد نعرفه، ومعلوم أن لكل لغة جوانب ذاتية في التطور والنمو، وجوانب تعتمد فيها على غيرها من اللغات فتقترض منها أو تتأثر بها، وبالتالي يصعب معرفة ما هو ذاتي مما هو دخيل، بخاصة عند اللغات المتقاربة، فإنه يصعب تحديد إن كان تأثر اللغتين ببعضهما بعضا أم أنهما تعودان للأصل الذي أخذت منه.[20]

-وقد اعترضت العلماء عوارض فيما يتعلق بتقسيم حياة اللغة الواحدة إلى مراحل فقد قرروا أن الأكادية انقسمت إلى الأشورية والبابلية قبل 2000 ق م وانقسم هذين الفرعين إلى مراحل مختلفة، فللبابلية مراحلها القديمة والمتوسطة والحديثة حددت بفترات زمنية تخلو من الدقة، فضلا عن مشكلة تداخل بين المراحل. [21]

وما نقوله بخصوص الصعوبات التي تعترض دراسة اللغات السامية ينطبق أيضا على باقي الأسر اللغوية.

---

[18] المرجع السابق، ص 52.

[19] إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، مرجع سابق، ص 52

[20] المرجع نفسه، ص 54-55.

[21] المرجع نفسه، ص 53 -54.

ومن المآخذ التي ذكرها مصطفى غلفان بشأن اللسانيات المقارنة كونها مقاربة ناقصة منهجيا من عدة أوجه أهمها:[22]

1-اقتصار المقارنة على اللغات المتقاربة جغرافيا.

2-إقحام عدة اعتبارات لا علاقة لها بالمقاربة اللغوية في ذاتها، وهي اعتبارات إما دينية، كالقول إن العبرية هي أم اللغات الإنسانية، أو فلسفية (الخلط بين الإشكالات المتعلقة بتكوين اللغات والإشكالات الفلسفية المتعلقة بأصل اللغات)، أو ثقافية (التعسف في رد اللاتينية إلى اللغة الإغريقية.)

3-غياب المعايير المنهجية للربط بين اللغات في مجال المقارنة والتاريخ والاقتصار على مفهوم المشابهة من دون تحديد مضمون هذا التشابه ومعايير تحديده

4-استحالة تحويل نتائج المقارنة إلى تنميط نسقي له أسسه ومناهجه المضبوطة تسمح في النهاية بتمحيص المقارنة ذاتها.

5 -لم يكن البعد التاريخي عند المقارنين واضحا بما فيه الكفاية ولا مُمَنهجا فالإطار التاريخي الذي كان يحتوي المقارنة بين اللغات كان إطارا عاما. ولم يضع أصحاب المنهج المقارن معيارا زمنيا لتحديد الفترة التاريخية التي يفترض أن تدور فيها المقارنة بين اللغات. كان أتباع المنهج المقارن يقارنون بين سنسكريتية الألف سنة الأولى ويونانية القرن الثامن ولاتينية القرن الخامس قبل الميلاد وقوطية القرن الثامن وسلافية القرن التاسع وفارسية القرن السادس أو الثامن عشر بعد الميلاد.

وكما نلاحظ لقد كشف لنا مصطفى غلفان سلبيات المنهج المقارن في دراسة اللغات وبعده عن العلمية التي يفترض التزامها بالموضوعية، رغم وجود معايير وأسس اعتمدت في التصنيف لكنها لم تكن كافية، لصعوبة التوصل إلى تاريخ كامل للغات يمكّننا بالفعل مقارنته.

[22] مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص 167-168.

لكن هذا لا يقلل من أهمية الدراسة المقارنة في دراسة اللغات وتصنيفها مهما اختلفت التصنيفات، ومهما كانت النقائص لأنها قد فتحت أفقا جديدا لدراسة اللغة وهو اللسانيات النمطية، فما توصل إليه علماء اللغة في دراسة تصنيف اللغات قد استثمر في علم أكثر دقة يبحث في خصائص البنية المشتركة للغات بدل البحث عن علاقة القرابة التي يصعب اثباتها. وهذا ما يثبت أهمية الدراسة المقارنة للغات.

خلاصة القول في أسس المنهج المقارن الخاصة بتصنيف اللغات أنها معايير نسبية تختلف من باحث لآخر وعلى أساسها سيختلف التصنيف، ويعتبر التصنيف النسبي القائم على علاقة القرابة هو التصنيف الذي اهتم به الباحثون للوصول إلى تصنيف الأسر اللغوية. وإن كان هذا التصنيف قد طاله النقد أيضا لصعوبة إثبات هذه العلاقات ومعرفة اللغة الأم أو الأصل، الذي انحدرت منه مجوع اللغات في الأسرة الواحدة.

وقد سبق وأن أشرنا إلى الصعوبات التي يواجهها المنهج المقارن في دراسته للغات القديمة، والتي لا نعرف جميع أطوارها ومعرفتنا بها محدودة. كما أن المقارنة بين لغات غير متزامنة تاريخيا يطرح إشكالات منهجية بشأن النتائج التي يصل إليها البحث.

الأعمال الموجهة:

الجملة بين اللسانيات الوصفية واللسانيات الوظيفية – دراسة مقارنة

أنجز هذا البحث متبعا خطوات المنهج المقارن. ويمكنك الاستعانة بمختلف المراجع التي تناولت اللسانيات الوصفية واللسانيات الوظيفية، وإليك هذه المراجع التي ستساعدك في إنجاز هذا البحث:

- فطيمة داود: مفهوم الجملة العربية من المنظور الوصفي إلى المنظور الوظيفي
- رضا بابا أحمد: مفهوم الجملة في الدرسين القديم والحديث
- الزايدي بودرامة: النحو الوظيفي والدرس اللغوي العربي – دراسة في نحو الجملة.

الاستشراف ودوافع البحث اللغوي

1-مفهوم الاستشراق:

جاءت لفظة" استشراق "على وزن استفعال، وهي مأخوذة من كلمة شرق بإضافة حروف الزيادة والتي تعني طلب الشيء وهنا هي طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه وثقافاته...لأغراض معينة.

إن مفهوم الاستشراف **orientalism** يعني: "دراسة علوم الشرق، وأحواله وتاريخه، ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي، فلكل أمة مشخصاتها، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها."[1]وقد كانت البداية مع المنصّرين والرهبان، ثم بعدها اتصل بالمحتل.

ويبتدئ تاريخ الاستشراق منذ أن بدأت الدول الغربية تهتم بالحضارة الإسلامية بعد انتشار الإسلام كحضارة إثْر انتصاره على المسيحية، وهدد عواصمها التاريخية وحصونها الثقافية وقلاعها الدينية. وتظهر البوادر الأولى في اهتمام الكنيسة المسيحية بالدراسات الإسلامية خاصة ما تعلق بقضايا العقيدة في القرآن، ثم تطورت الظاهرة من حوار ديني إلى منهج استشراقي أخذ يبرز في الأندلس، من خلال اتصال الكنيسة بالحضارة الإسلامية، واهتمامها بمراكز العلم، وانصرافها إلى ترجمة الكتب العربية، وإقرار تدريسها بمراكزهم العلمية.[2] فالاهتمام بحضارة الشرق واقعا فرضته الحضارة الإسلامية وهي تمتد في أوربا، وتشع بنور الهداية إلى الله من جهة، ونور العلم الذي غيّر حياة الناس من جهة أخرى، وصنع المدن والحواضر

[1] عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه الاستعمار الفِكرى، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1995، ص 13.

[2] محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه –مدارسه أثاره، منشورة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المغرب، 2012، ص 16.

المتقدمة، فكان من الغرب أن اهتموا بهذه المرجعية التي استطاع من خلالها المسلمون أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه، بما فيها اللغة العربية، التي أقبلوا على تعلمها وكانت يومئذ تحتل المرتبة التي تحتلها الإنجليزية اليوم.

وبناء عليه فإن انطلاقة الغرب في معرفة الشرق لها أسبابها ودوافعها التي تجعلها غير محايدة أو موضوعية، وهذا ما يؤكده رأي الباحث ضياء الدين الذي اعتبر مبحث الاستشراق متحيزا، ذلك أن كل من يقبل عليه يأتي محملا بخلفيته ومرجعيته الخاصة. وعليه فإن الاستشراق إنشاء زائف، ولا علاقة له بالشرق من الداخل وكما يفهم هذا الشرف نفسه، وهذا ما جعله عاجزا عن تضييق الخلاف بين العالمين، بل إنه عقبة في سبيل التفاهم بين الشرق والغرب.[3] ولو صحت حقيقة أن الاستشراق طلب المعرفة بالشرق وعلومه دون المقاصد الخفية من وراء ذلك، لأسهم في التقريب بينهما (الشرق والغرب).

إن الاستشراق في صورته الحديثة، "هو نتاج زعم وادعاء البحث والاستقصاء العلمي بدعوى أن الشرق موضوع يستحق الدراسة، لكنه زعم باطل لأن أسانيده وافتراضاته مجرد توهمات، ذلك أن الشرق بالنسبة للغرب ليس موضوعا ثابتا محددا، إنه شكل من التأمل الداخلي مشغول بالاهتمامات والمشاكل والمخاوف والرغبات الخاصة بالغرب، والذي عمل على تفقدها باستخدام موضوع جرى اصطناعه، يدعى الاستشراق".[4] لأجل أهداف استراتيجية تخدم مصالح الغرب وتعزز من سيطرته.

هذا ما أكده إدوارد سعيد حين وصف الاستشراق بالمؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، فهو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه، وامتلاك السيادة عليه، لأن الغرب استطاع أن ينتجه سياسيا واجتماعيا وعسكريا

---

[3] ضياء الدين ساردار: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، تر: فخرى صالح، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات المتحدة العربية، ط1، 2012، ص 17-18.

[4] المرجع نفسه، ص 39.

وعقائديا وعلميا، وقد اكتسبت الثقافة الغربية المزيد من القوة ووضوح الهوية بوضع نفسها موضع التضاد مع الشرق باعتباره ذاتا بديلة.[5] استطاع من خلالها الغرب أن يضع نفسه في موقع التفوق والتسلط.

وخلاصة القول في حقيقة الاستشراق أنه ليس معرفة حقيقية لما كان عليه الشرق في حضارته بقدر ما يمثل الصورة التي رسمها الغرب ليسوقها إلى مجتمعه والعالم، بما فيه الشرق نفسه، لأغراض تخدم مصالحه.

وعليه "يتكون الاستشراق مما رغب الغرب في معرفته، لا فيما كان بالإمكان معرفته."[6] لذلك لم يتوقف الاستشراق عند حدود القرون الماضية، بل إنه ينمو طبيعيا ويمتد، وتتغير وسائله تبعا للتغيرات التي حدثت للعالم.

"ويمكن أن نشهد فاعلية الاستشراق العملية في عدد من السلع الرائجة في زمن ما بعد الحداثة، وخصوصا في ألعاب الحاسوب والأجهزة الالكترونية، والكثير منها صمم استنادا إلى أفلام هوليوود. إن ألعاب الحاسوب، مثل: إنشاء المستعمراتColonization، والمستعمرة التجاريةMerchant Colony، الإمبراطورية Empire، والمستوطنونThe Settlers ، هي مستودع ما بعد حداثي لتقاليد عتيقة متوارثة في تمثيل العالم غير الغربي؛ إنها ببساطة تجتر الرؤية الأوربية في القرن التاسع عشر، معيدة تغليفها لتكون صالحة للعب والمتعة في البيوت."[7] وعليه فإن الاستشراق لم يتغير في حقيقته بل تطور مع التطور والتقدم التكنولوجي، ليوظف منجزه في خدمة الفكرة الاستشراقية القائمة على أن الشرق دون الغرب إنسانيا وحضاريا. ولا يتوقف في حدود الحضارة الإسلامية بل امتد وتوسع، بعد أن أصبحت أمريكا هي حاملة مشعله ليضم اليبان والصين وحتى أوربا، لتصبح الهيمنة الأمريكية تمثل لوحدها الإنسانية

[5] إدوارد سعيد: الاستشراق–المفاهيم الغربية للشرق، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2006، ص 45–46.

[6] ضياء الدين ساردار: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، ص48.

[7] المرجع نفسه، ص 188.

المتحضرة والراعية للديمقراطية والحقوق، ودونها العالم يتخبط في صراعاته مع هوياته ومرجعياتها القديمة.

لتبقى صورة الشرق كما يريد الغرب تصديرها، فظهر " الإرهاب العربي" كتمثيل للإسلام ونتاج مباشر للتهديدات والتخوفات التي شكلها الإسلام بالنسبة لأمريكا، "أصبح الاستشراق كبحث متخصص وممارسة اجتماعية شريكا متواطئا في جولة جديدة من شيطنة الإسلام والأصولية الإسلامية، من خلال ضخ الحياة في الصور النمطية."[8] التي تعمل على تشويه الشرق وإخراجه في صورة المتوحش، والخطر الدائم على القيم الحضارية الغربية الزائفة. لأن واقع اليوم فضح الكثير من هذا الزيف.

" الاستشراق عمل ذو طبيعة داخلية، فطري ومتنوع لقد كان هناك منذ زمن طويل، فهو استعداد وميل يشكل معنى الواقع نفسه بالنسبة للغرب. كما أنه الإصرار الذي يمثل جزءا لا يتجزأ من عملية القبول غير الواعي الذي يجعل الاستشراق عقبة وطريقا مسدودا. لا يستطيع أي من شعوب الشرق المتنوعة المشاركة في النقاش، أو اسماع صوتها إذ يتوصل إلى فهم نفسه، من خلال الضجة التي تشكل خلفية شروط استقبال هذه الشعوب والتعرف على حساسيتها من قبل الشعوب الغربية".[9]

ليبقى الشرق كما يريده الغرب لدرجة أصبح أهل الشرق يستوعبون ذواتهم من خلال ما يريده الغرب، لا كما ينبغي للشرقيّ أن يكون متصلا بقيمه ومرجعيته الدينية والثقافية، فتعالت الأصوات تنقد العقل العربي والإسلامي بمناهج الغرب، جلدا لهذا العقل المتخلف في نظرهم نتيجة ارتباطه بماضيه، مما دعاهم إلى الدعوة إلى التحرر من قيود الانتماء خاصة الديني كما فعل أدونيس.

[8] ضياء الدين ساردار: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، مرجع سابق، ص 193.

[9] المرجع نفسه، ص 204.

2-اهتمام المستشرقين بالدراسات اللغوية العربية: اعتنى المستشرقون بدراسة اللغات السامية مقدمين بذلك بعض المناهج والدراسات التي كانت محل جذب لعلماء العربية المحدثين الذين حذو حذوهم في إخراج دراسات مقارنة تخص اللغات السامية، ومن هذه الدراسات:

- تاريخ اللغات السامية، لإسرائيل ولفنسون (نُشر عام 1914م بمصر)

- اللغات السامية، للمستشرق الألماني نولدكه (ترجمه د. رمضان عبد التواب إلى العربية عام 1963 في القاهرة)

- فقه اللغة السامية، للمستشرق الألماني بروكلمان (ترجمه من الألمانية إلى العربية د. رمضان عبد التواب، ونشره سنة 1977 في جامعة الرياض).

ومن بين الأسباب التي دفعت المستشرقين للاهتمام بالدراسات اللغوية ما ذكره الباحث إسماعيل أحمد عمايرة:[10]

1- لأهمية الدرس اللغوي عند العرب في كونه حلقة تتوسط بين النظام اليوناني في الغرب، والنظام الهندي في الشرق، يؤدي البحث عنها وكشفها إلى بيان العلاقة بين هذه المدارس المختلفة.

2- تعتبر الدراسات اللغوية العربية جزءا مهم في منظومة العلوم الإسلامية وسبيلا لتقويم الحضارة العربية الإسلامية كما صرح بذلك "فايس Weiss "، بل نوه بأهميتها التي تتجاوز دورها الكبير في تاريخ الدرس اللغوي بعامة إلى مكانتها في دراسة تاريخ الفكر الإنساني على الإطلاق.

3- اهتموا بالدراسات اللغوية لأنها الطريق إلى تعلم العربية، وبالتالي تتحقق الأسباب السابقة.

[10] اسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، مرجع سابق، ص 13-14.

لكن الأسباب الحقيقة هي خلاف ذلك لأنها نابعة من رغبة هدم مقومات العربي الذي جعلته يحكم العالم وينشر حضارته الإسلامية، التي ظلت لقرون تتعايش في ظلها كل الأجناس والديانات في سلام وأمان.

ومن المستشرقين الأوائل الذين عملوا على هدم التراث العربي مرجوليوث، الذي سعى إلى التشكيك في أصالة الشعر الجاهلي واعتباره إسلاميا نصا وروحا وأسلوبا وموسيقى، وكل ما فيه من تصوير وتخييل وفصاحة مخترع منسوب إلى العصر الجاهلي، وكذلك التشكيك في النثر الجاهلي فهو عنده مجهول والاستدلال عليه صعب، بل تعدى إلى اعتبار القرآن ضعيف في ألفاظه، ولم يغير حياة العرب لأنه لا يختلف عن حماسة أبي تمام. وغايته من كل هذا النيل من قيمة القرآن واللغة العربية وبث أكاذيبه التي وجدت من يصدقها من العرب.[11]

مثل جورجي زيدان الذي صرّح في مقدمة كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية " بالكتب الألمانية والإنجليزية والفرنسية التي رجع إليها، جعلت هذا الكتاب محل نقد، إلا أن صاحبه استطاع فتح الطريق أمام جماعة من الأساتذة يقتفون أثره. كما ظهر أثر الاستشراق في كتابات طه حسين خاصة كتابه "في الأدب الجاهلي" إذ بلغ تأثير الاستشراق ذروته جعلت طه حسين يشكك في أصالة الشعر الجاهلي ونسبته إلى عصره، واعتبره منتحل من عصر صدر الإسلام، مقتديا بمرجليوث، فكانت هذه الآراء محل جدل، أسال حبرا كثيرا على صفحات الجرائد والمجلات أو بتأليف كتب بأكملها للرد عليه.[12] بل رفع عدد من علماء الأزهر ضده دعوى قضائية برّأته المحكمة لعدم ثبوت قصد الإساءة المتعمدة للدين أو للقرآن. ليتم تعديل الكتاب من "في الشعر الجاهلي" إلى " في الأدب الجاهلي" بعد أن حذف منه المقاطع الأربعة التي أُخذت عليه.

[11] أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مطابع دار المعارف، 2001، ص 205.

[12] المرجع نفسه، ص 611-612.

ولمعرفة الاستشراق بقوة تأثير العربية في حياة الناس وحركة تقدم المجتمعات وبما له من خبرة بعلومها وآدابها وفنونها ولدرايته بالقرآن وعروبة التراث، أراد هدم كل هذا متخذا في ذلك صور ثقافية مختلفة، منها الدعوة إلى التحرر من قيود الماضي واطراح أعباء القديم للحاق بركب التحضر، أما الحقيقة فهي إشاعة الشك والاضطراب في مفاهيم الأمة ومقوماتها حتى يضيع منها معالم تراثها الروحي والقصد من وراء ذلك التمكين للنفوذ الأجنبي من نواحيها متى نام وعيها ، ونسيت تاريخها، وتفرقت كلمتها.

وقد تحقق له ذلك بعد تأثيره في أبناء اللغة العربية فحملوا اللواء بدلا عنه في حملات التغريب للقضاء على التراث العربي بوجه عام واللغة العربية على وجه الخصوص.[13]سواء بوعي منهم واقتناعا بأفكارهم، أو بغير وعي ظنا منهم أن في هذا منفعة للشعوب العربية.

ويمكن تلخيص أهداف المستشرقين فيما يأتي:[14]

-الدعوة إلى رسمية اللهجات المختلفة

-الدعوة إلى كتابة العربية بالأحرف اللاتينية

-الدعوى بأن العربية الفصحى تقضي على قوة العرب الاختراعية

ولقد انتشر تعليم اللهجات العربية والعامية في مدارس أوربا وجامعاتها، مما أدى إلى ظهور كتب كثيرة في اللهجات العربية العامية "منها ما ألفها أبناء العربية بإيعاز منهم سواء في العربية مثل كتاب "أحسن النخب في معرفة لسان العرب" لمحمد عياد الطنطاوي، وكتاب "الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في أحوال الكلام الدارج " لمخائيل الصباغ ، أما في لغاتهم مثل كتاب "أصول اللغة العربية المحكية " لأحمد فارس الشدياق، ومنها ما قاموا هم

[13] أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 668.

[14]المرجع نفسه، ص 668

بأنفسهم بتأليفها وهي كثرة اختص كل منها بدراسة لهجة من لهجات الأقطار العربية مثل اللهجة المصرية والسورية والعراقية والتونسية والمراكشية."[15]

"فهذا الاهتمام لم يكن من أجل البحث العلمي كما يزعمون، ولا من أجل حاجتهم إلى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم أن يعيشوا فيها ويتعاملون مع أهلها، وإنما من أجل القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها"[16]وقد تحقق الكثير من أهدافهم ، فإن لم يستطيعوا أن يجعلوا اللهجات العامية محل اللغة العربية في التعليم فإنهم استطاعوا فرض اللغات الأجنبية في التعليم حتى أصبحت تنافس العربية منذ المراحل الأولى للتعليم، فأصبح المتعلم يتخرج من الجامعة وهو لا يحسن التحدث لا بالعربية الفصحى ولا باللغات الأجنبية.

3-أهداف الاستشراق في مجال اللغة:

تعتبر أهداف الاستشراق الحقيقية هي الدوافع الأساسية التي دفعت المستشرقون إلى الاهتمام باللغة العربية، وقد حددها الباحث عمايرة فيما يأتي:

أ . أهداف حضارية.

ب . أهداف اقتصادية وسياسية.

ج . أهداف تنصيرية.

د . أهداف لاهوتية.

هـ . أهداف علمية وثقافية.

[15] فنوسة زكريا سعيد: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار المعارف، ط1، 1964، ص 11

[16]المرجع نفسه، ص 12.

3. 1.الأهداف الحضارية: والقصد من وراءها القضاء على حضارة الإسلام، بعد أن أيقن الغرب أن ذلك لن يتأتى إلا بالقضاء على الدين الذي هو حصنها ودعامة حضارتها، ومن مستلزمات ذلك دراسة لغة العدو لتكون مفتاحاً لفهمه والدخول إليه حضاريا والقضاء عليه ثقافيا، ولذا كثرت المراكز والمعاهد التي عنيت بجمع المخطوطات وأمهات الكتب وعقد الدراسات والبحوث في كل جانب من جوانب الحضارة الإسلامية وأحوال أهلها.[17] وفي مقدمة ذلك الدراسات المستفيضة في الجوانب اللغوية المختلفة.

لأن اللغة العربية كانت آن ذاك هي لغة العلم والتحضر التي ينبغي على الأوربيين تعلمها إنْ أرادوا أن يعرفوا أحدث العلوم في زمنهم والتي كانت نتاج الحضارة العربية الإسلامية، " فقد أحس الأوربيون مبدئيا بالحاجة إلى ملء الفراغ الذي شغله المسلمون بوصفهم أوصياء على التراث اليوناني في مجالات الطب، والفلسفة، والعلوم الطبيعية."[18] مما دفعهم لضرورة تعلم اللغة العربية حتى يتمكنوا من هذه العلوم.

3. 2.الأهداف الاقتصادية والسياسية:

ومما يذكر في هذا المجال أن الشركات التجارية الكبيرة كان لها دور في دعم المشروعات الاستشرافية؛ ومن أمثلة ذلك تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية كلية Haileyburyليدرس موظفوها لغات البلاد التي يتعاملون معها، وكانت العربية من بين هذه اللغات، لذلك انتشرت المعاهد والكليات التي تفتح أبوابها بغرض تعليم العربية للسياسيين، والمستشارين الاقتصاديين، والعسكريين...وغيرهم، فضلا عن الجامعات والمعاهد الموجودة في الداخل.[19]

---

[17] ينظر: إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون ونظرياتهم في الدراسات اللغوية، ص 16-17.

[18] يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق – الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط2، 2001، ص 16

[19] المرجع نفسه، ص 22-23.

وفي عام 1265 كُتبت باللغة العربية المعاهدة التجارية التي أبرمت بين تونس وبيزا، ومنذ الحملة الصليبية الرابعة انفردت إيطاليا في أعمالها عن بقية الصليبيين واهتمت بتحسين علاقاتها التجارية مع الشرق الإسلامي، فكانت البندقية همزة الوصل بين الشرق والغرب، وتكلم أهلها العربية حتى سقوط القسطنطينية في قبضة محمد الثاني 1435، وفي سنة 1797 تألفت حملة نابليون إلى مصر ،وفيها بعثته العلمية التي كان قوامها المستشرقين والمترجمين الشاميين، (وعلماء أعلاما) في كل فن من فنون الثقافة في ذلك العصر، لتَمكُن من الاستلاء على خيرات البلاد والسيطرة على كل شيء فيه.[20] فاتخذ تعلم اللغة العربية وسيلة لتحقيق هذه الأغراض.

3. 3.التنصير: فهو ذو علاقة وثيقة بالاستشراق، يصعب الفصل بينهما وبخاصة في بداية نشأتهما، فقد كان علماء الكنيسة المسيحية هم أول من اعتنى بدراسة اللغة العربية وتعلمها .فأول مؤسس لكرسي الاستشراق في جامعة أكسفورد هو رئيس الأساقفة "لود" سنة (1636). بهدف الرد على الإسلام وتنصير المسلمين بواسطة تراجم عربية للإنجيل.[21] وعليه فإن الاهتمام بالعربية طريق لنشر المسيحية وليس لأغراض علمية، بل كان هدفهم الرد على الإسلام وإثارة الشبهات والاختلافات في الأمور الدينية.

وقد نسبت أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم إلى بطرس رئيس دير كلاني."ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية. فكلما تلاشى الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوة السلاح، بدا واضحا أن احتلال البقاع المقدسة لم يؤد إلى ثني المسلمين عن دينهم، بقدر ما أدى إلى عكس ذلك، وهو تأثر المقاتلين الصليبيين بحضارة المسلمين وتقاليدهم ومعيشتهم في حلبات الفكر."[22] مما دفع الغرب إلى استغلال كل السبل لصد المسلم عن دينه.

---

[20] عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه الاستعمار الفِكرى، مرجع سابق، ص 76-77.

[21] ينظر، المرجع السابق، ص24-26

[22] يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق – الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن، ص 16.

3. 4.الأهداف اللاهوتية: تمثلت في رغبة المسحين في فهم كتابهم المقدس وما يدور حوله من تحريفات اضطرتهم لضرورة التعرف على اللغات السامية لأنها قد كُتبت بها النصوص النصرانية القديمة مثل العبرية والسريانية والحبشية، ولأن بعض هذه اللغات مندثر وغامض استعانوا باللغة العربية لأنها أخت لهم.[23] لقد تبوأت اللغة العربية في ذلك الزمن أهمية كبيرة من هذه الناحية تتمثل في أنها ببقائها حية وبأصلها السامي تساعد على فك ما أشكل من نصوص العهدين القديم والجديد وفهمها؛ لأن لغتيهما (العبرية القديمة للعهد القديم والآرامية للعهد الجديد) قد ماتتا، بل لم يبق من سائر اللغات السامية إلا العربية، وقد تمكن علماء اليهود والنصارى من خلال هذا الجسر اللغوي الماثل في الشبه والعلاقة بين العربية وغيرها من الساميات المنقرضة من فهم كثير من النصوص الدينية اليهودية والنصرانية.

يؤكد هذا قول يوهان فوك عن المستشرقين الذين معظمهم من اللاهوتيين:" لم يدرسوا اللغة العربية لقيمتها الأدبية أو للتعمق في تاريخ الإسلام أو لدرس تطور الأدب عند المسلمين، بل لاستعمالها وسيلة لدرس العهد القديم واللغة العبرانية".[24] فاللغة العربية هنا استعملت كوسيلة لتحقيق هدف اللاهوتيين، ولم تُطلب لذاتها، أو لأنها لغة العلم.

3. 5.الدوافع العلمية والثقافية:

كان الغرض الأول من الاهتمام بالشرق هو استفادة الغرب من علومه وآدابه. فقد رأت أوربا أنها لا تستطيع أن تنهض وتتخلص من الحكم العربي المسيطر على أوروبا إلا بالعلم الذي أقام عليه المسلون فتوحهم وحُكمهم.[25] ولم يخل الاستشراق والاهتمام باللغة العربية من أهداف علمية وثقافية خالصة؛ لأن المسلمين ظلوا متقدمين وأساتذة العالم من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الرابع عشر، فقد كان من يرغب من الغربيين في العلم أو الفن أو الأدب

[23] اسماعيل أحمد عمايرة: بحوث في الاستشراق واللغة، ص378-380.

[24] إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون ونظرياتهم في الدراسات اللغوية، ص30.

[25] ضياء الدين ساردار: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، مرجع سابق، ص 16.

أو الفلسفة يمم شطر الشرق مستخفا بالجامعات الغربية آنذاك، مثال ذلك "إدلارد" الذي درس في الأندلس وسوريا في الربع الأول من القرن الثاني عشر وترجم إلى اللاتينية كثيراً من كتب الفلك والرياضة عن العربية.[26]

لقد فرضت اللغة العربية وجودها بقوة الحضارة الإسلامية التي علت بعلوها، وحين انهارت هذه الحضارة كثرت السهام الموجهة إلى اللغة العربية تبحث لها عن مقتل، وهيهات أن يتحقق ذلك لأنها لغة القرآن وقد حُفظت بحفظه من المولى عز وجلّ.

الأعمال الموجهة:

قارن بين المقاربة بالأهداف والمقاربة بالكفاءات

كثيرة هي الدراسات حول هذا الموضوع ومتوفرة المراجع في الانترنت. والغرض منه هو تطبيق المنهج المقارن والتدرب عليه من خلال هذا البحث، ولأجل الاستفادة منه في مجال تخصصك.

خلاصة:

يقوم المنهج المقارن في دراسة اللغات على معرفة أوجه الشبه والاختلاف بينها، بهدف الوصول إلى صلة القرابة بين هذه اللغات بناء على وجود تشابه بين مختلف مستوياتها (الصوتية – الصرفية – التركيبية – الدلالية)، ثم تصنيفها في أسر لغوية، على اعتبار أنها تنتمي إلى لغة واحد تفرعت عنها وتغيرت عبر الزمن والمكان.

ظهرت المقارنة مع المنهج التاريخي كطريقة للمقارنة بين الفترات الزمنية المختلفة للغة الواحدة والمقارنة أيضا بين مختلف اللغات، مما جعل بعض الباحثين يعتبرونه منهجا واحدا هو المنهج التاريخي المقارن. ليستقل المنهج المقارن بذاته ويحدد هدفه الخاص الذي يختلف

[26] المرجع السابق، ص 32.

عن المنهج التاريخي الذي سعى إلى تتبع تغيرات اللغة الواحدة عبر فترات زمنية مختلفة ومحاولة معرفة أسباب هذا التغيير وتفسيره، أما المنهج المقارن فإنه يرصد أوجه الشبه والاختلاف من أجل معرفة علاقة القرابة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة وتصنيفها.

ولئن كان الاهتمام في البداية باللغات الهندو أوربية، فقد توسعت دائرة تصنيف اللغات ضمن أسر لغوية لتشمل اللغات الشرقية، على أيدي ثلة من الباحثين الأوربيين الذين عملوا على تصيف هذه اللغات حسب درجة الصلة بينها فجاءت تسمية اللغات السامية لتضم اللغة العربية مع أخواتها الأكادية والأجارتية والعبرية.

تندرج دراسة اللغات الشرقية على أيدي المستشرقين ضمن حركة واسعة هي حركة الاستشراق التي بدأت بوادرها منذ اتجه الباحثون الأوربيون إلى دراسة اللغة العربية وتعلمها لأجل الاستفادة من علوم الحضارة الإسلامية حين كانت في أوج قوتها، لتتوسع هذه الحركة إلى أهداف حضارية ودينية وسياسية واقتصادية، غرضها السيطرة على الشعوب، وتسويق صورة الشرق التي يريدها الغرب عنهم لا كما هي في حقيقتها.

انتقد هذا المنهج كغيره من المناهج لصعوبة تطبيقه في تصنيف اللغات على معايير علمية دقيقة وثابتة، وبالتالي صعوبة إثبات وجه القرابة بينها لأسباب سبق ذكرها. وعليه فإن نتائج المنهج المقارن في تصنيف اللغات ليست حقائق مطلقة بل نسبية مقيدة، لا تزال تُراجع في محاولة لتصحيح ما يراه بعض الباحثين أخطاء خاصة ما تعلق بالأسرة السامية.

حدث تحول جذري في اللسانيات المقارنة من حيث مجال المقارنة ومعيارها حيث عُدل عن القرابة السلالية إلى القرابة البنيوية، التي تسمح بمعرفة التشابه والاختلاف من حيث البنية التركيبية للغات فأصبحت اللغات تصنف "أنماطا" على أساس تآلفها من حيث خصائصها البنيوية، بغض النظر عن انتمائها السلالي. في هذا التوجه الذي يطلق عليه "اللسانيات النمطية "، لم يعد هناك تقاطع بالضرورة بين الانتماء السلالي والانتماء النمطي.

المنهج المقارن هو منهج كل العلوم والتخصصات وفي هذه الحالة نحن لا نطبق الخطوات الإجرائية التي اعتمدناها في دراسة اللغات وإنما خطوات إجرائية تختلف عنها نسبيا، وإن اشتركت معها في جوهر العمل وهو تحديد أوجه التشابه والاختلاف، إلا أنها تختلف من حيث كيفية التطبيق والهدف المنشود من المقارنة، وهنا سيختلف الهدف من بحث لآخر حسب طبيعة الموضوع.

خـــاتمـــة

بناء على ما قدمناه من محاضرات في مادة مناهج البحث اللغوي، فإننا يمكننا في نهاية هذه المطبوعة البيداغوجية أن نجمل أهم ما تضمنته من نتائج، متمثلة فيما يأتي:

- ✓ المنهج طريقة منظمة يلتزمها الباحث أثناء إعداد بحثه تشتمل على عمليات حسية كالملاحظة مثلا وأخرى ذهنية كالاستنباط والاستنتاج، غايته في ذلك أن يضيف معرفة جديدة لمجال البحث.
- ✓ المنهجية هي مجموعة الخطوات التي يتبعها الباحث لدراسة ظاهرة ما، بما فيها اختيار المناهج المناسبة لهذه الدراسة، فهي دليل الباحث لإنجاز بحثه بشكل منظم يتقدم فيه خطوة بعد الأخرى إلى أن يصل إلى نتائج البحث، وإعداده في شكله النهائي وإخراجه في صورته المتكاملة.
- ✓ الفرق بين المنهج والمنهجية أن هذه الأخيرة خطواتها ثابتة مع جميع أنواع البحوث باختلافات بسيطة بين التخصصات، أما المناهج فتختلف من تخصص لأخر فعلوم المادة والطبيعة تعتمد على المناهج الكمية بالدرجة الأولى والعلوم الإنسانية على المناهج الكيفية. والمناهج قابلة لتغيير والتعديل لارتباطها بالمنطق وطرق الاستدلال والاستنتاج، لذلك هي محل للنقد والتقويم، فلكل منهج إيجابياته وسلبياته، أما المنهجية فخطوات إجرائية وتقنيات ثابتة.
- ✓ لا يوجد فرق كبير بين تعريف المنهج بشكل عام والمنهج العلمي أو اللغوي سوى هذه الإضافة الدالة على نوع من الخصوصية التي تلحق الطرق والقواعد المستخدمة في كل نوع من أنواع المنهج، فالمنهج العلمي يعتمد على التجربة الحية بالدرجة الأولى أما مناهج العلوم الإنسانية بشكل عام ومنها المنهج اللغوي فيتعذر استخدامه بالدقة التامة
- ✓ لا يستطيع أن ينكر أي منصف أن هذا التراث العظيم هو نتاج ممارسة لمختلف المناهج التي عرفها العلم الحديث، بل إن بوادر التنظير للمناهج وكيفية تطبيقها قد

ثبت وجودها في كتب الأولين مثال ما ذكرناه عند ابن الهيثم وهو يشرح في كتابه خطوات المنهج التجريبي، وقد أخذ الغرب الكثير من تراثنا العظيم، حتى استطاع أن يعرف للنهضة سبيلا، فكان منهم من اعترف بذلك، وآخرون نهلوا منتحلين ناسبين كشف غيرهم إليهم.

- ✓ المعيارية وصف وسمت به الأنحاء القديمة الغربية لأنها اتجهت في دراستها للغة بالاهتمام بوضع قواعد تحدد الصواب اللغوي عند المتكلم، ونقل هذا الوصف بعض اللسانيون العرب ليجعلوه منهجا للنحو العربي، فحددوا مفهومه بناء على مخالفته للمنهج الوصفي، وهو تعريف سلبي لم يستطع تحديد خطوات المنهج، وكيفية الاستفادة منه في دراسة أي بحث لغوي كما هو الحال مع بقية المناهج.
- ✓ لقد اكتفى اللسانيون العرب الذين جعلوا من المعيارية منهجا بالبحث عن مظاهر المعيارية في النحو العربي وعجزوا عن تحديد الخطوات الإجرائية لما سُمي بالمنهج المعياري، وعليه لا يمكن استخدام هذا المنهج المزعوم مثل باقي المناهج في البحث اللغوي، لأن المعيارية في النحو العربي كانت غاية الدراسة النحوية أو كما ذكر بعض الباحثين هي اتجاه سار عليه النحاة العرب.
- ✓ ما اعتبره اللسانيون المحدثون مظاهر للمعيارية (القياس، الاعراب، التقدير والتعليل، نظرية العامل...) لا يعني أن النحو العربي ابتعد عن العلمية نتيجة تأثره بالمنطق والفلسفة اليونانية كما زعموا، بل هو علمية بمنهج آخر لم يكن لهم معرفة به إلى أن ظهرت النظرية التوليدية التحويلية فتقاسمت مفاهيم كثيرة مع النحو العربي، تلك التي وصفوها بالمعيارية، لكنها عند التحوليين أسس نظرية جديد غيرت اتجاه البحث اللساني برمته.
- ✓ المعيارية في الدرس اللغوي الحديث تظهر جلية في النظرية التوليدية التحويلية لأنها تقاسمت كثير من المفاهيم مع النحو العربي كنظرية الربط العاملي والتقدير والعليل

والأصل والفرع ...، ولكن منهجها هو منهج الفرض والاستنباط، كما استفادت مما أتاحته الرياضيات والمنطق في كيفية بناء الاستدلال على صحة النظرية. ومع ذلك لم يلحقها وصف المعيارية كما لحق النحو العربي.

- ✓ المنهج التاريخي هو المنهج الذي يسمح لنا بالتعرف على التغييرات التي تحدث للظاهرة اللغوية عبر أطوار زمنية مختلفة، في محاولة لتفسير أسباب هذا التغيير والعوامل التي أثرت فيها، بعد تجلي مختلف مظاهره.
- ✓ إن دراسة مستويات اللغة بالمنهج التاريخي هو الذي اصطلح عليه علم اللغة التاريخي، وفيه نتعرف على مختلف التغيرات التي تطرأ على مستويات اللغة؛ الصوتي والصرفي، والتركيبي، والدلالي، وتختلف نسبة التغيرات من مستوى لآخر، فالمستوى الصرفي والتركيبي خاصة أقل المستويات تغيرا مقارنة بالمستوى الصوتي والدلالي الذي يتصدر الترتيب، لأن التطور الدلالي أظهر من غيره.
- ✓ حاول علماء اللغة الغربيون معرفة أساب التطور اللغوي في جميع مستوياته وتوصلوا لنظريات مختلفة كما رأيناها مع التغيير الصوتي، بل طمحوا إلى وضع القوانين الصوتية تأسيا بعلوم المادة والطبيعة، لتفسير هذه التغيرات. لكن تبقى هذه النظريات مجرد وجهات نظر لا تصدق على كل اللغات، ولا كل التغيرات التي قد تتشابه بين اللغات، لأن لكل لغة خصوصيتها وظروفها التي تستخدم فيها، وانتقدت معظم هذه النظريات لوجود حالات في اللغة تبين صعوبة تعميم هذه التفسيرات.
- ✓ وعلى خطى تطبيق المنهج التاريخي في الغرب طبقه الباحثون العرب، واستعاروا تلك التفسيرات والنظريات لتفسير التغيرات التي طرأت على اللغة العربية في مختلف مستوياتها، كما رأيناه مع إبراهيم أنيس ورمضان عبد التواب، وعلي عبد الواحد، وغيرهم من الباحثين الذين وجدناهم يختلفون في تفسير الظاهرة اللغوية ذاتها كما حدث مع لفظة قماش.
- ✓ رغم انتقاد المنهج التاريخي فإنه يبقى منهجا علميا يطلعنا على الحقائق التاريخية ويسهم في تحديدها، ينقد كل ما يمكن أن يشوهها، وفي ظل وجود تزييف لحقائق التاريخ

خـــاتمـــة

يصبح المنهج التاريخي أداة ضرورية يمكننا من خلالها معرفة الصحيح من الخاطئ والصادق من الكاذب في دراسة أية ظاهرة طبيعية مادية أو إنسانية اجتماعية.

- ✓ يقوم المنهج المقارن في دراسة اللغات على معرفة أوجه الشبه والاختلاف بينها، بهدف الوصول إلى صلة القرابة بين هذه اللغات بناء على وجود تشابه بين مختلف مستوياتها (الصوتية – الصرفية – التركيبية – الدلالية)، ثم تصنيفها في أسر لغوية، على اعتبار أنها تنتمي إلى لغة واحد تفرعت عنها وتغيرت عبر الزمان والمكان.
- ✓ ظهرت المقارنة مع المنهج التاريخي كطريقة للمقارنة بين الفترات الزمنية المختلفة للغة الواحدة والمقارنة أيضا بين مختلف اللغات، مما جعل بعض الباحثين يعتبرونه منهجا واحدا هو المنهج التاريخي المقارن. ليستقل المنهج المقارن بذاته ويحدد هدفه الخاص الذي يختلف عن المنهج التاريخي الذي سعى إلى تتبع تغيرات اللغة الواحدة عبر فترات زمنية مختلفة ومحاولة معرفة أسباب هذا التغيير وتفسيره، أما المنهج المقارن فإنه يرصد أوجه الشبه والاختلاف من أجل معرفة علاقة القرابة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة وتصنيفها.
- ✓ ولئن كان الاهتمام في البداية باللغات الهندو أوربية، فقد توسعت دائرة تصنيف اللغات ضمن أسر لغوية لتشمل اللغات الشرقية، على أيدي ثلة من الباحثين الأوربيين الذين عملوا على تصيف هذه اللغات حسب درجة الصلة بينها فجاءت تسمية اللغات السامية لتضم اللغة العربية مع أخواتها الأكادية والأجارتية والعبرية.
- ✓ تندرج دراسة اللغات الشرقية على أيدي المستشرقين ضمن حركة واسعة هي حركة الاستشراق التي بدأت بوادرها منذ اتجه الباحثون الأوربيون إلى دراسة اللغة العربية وتعلمها لأجل الاستفادة من علوم الحضارة الإسلامية حين كانت في أوج قوتها، لتتوسع هذه الحركة إلى أهداف حضارية ودينية وسياسية واقتصادية، غرضها السيطرة على الشعوب، وتسويق صورة الشرق التي يريدها الغرب عنهم لا كما هي في حقيقتها.

خـــاتمـــة

- ✓ انتقد هذا المنهج كغيره من المناهج لصعوبة تطبيقه في تصنيف اللغات على معايير علمية دقيقة وثابتة، وبالتالي صعوبة إثبات وجه القرابة بينها لأسباب سبق ذكرها. وعليه فإن نتائج المنهج المقارن في تصنيف اللغات ليست حقائق مطلقة بل نسبية مقيدة، لا تزال تُراجع في محاولة لتصحيح ما يراه بعض الباحثين أخطاء خاصة ما تعلق بالأسرة السامية.
- ✓ حدث تحول جذري في اللسانيات المقارنة من حيث مجال المقارنة ومعيارها حيث عُدل عن القرابة السلالية إلى القرابة البنيوية، التي تسمح بمعرفة التشابه والاختلاف من حيث البنية التركيبية للغات فأصبحت اللغات تصنف "أنماطا" على أساس تآلفها من حيث خصائصها البنيوية، بغض النظر عن انتمائها السلالي. في هذا التوجه الذي يطلق عليه "اللسانيات النمطية "، لم يعد هناك تقاطع بالضرورة بين الانتماء السلالي والانتماء النمطي.
- ✓ المنهج المقارن هو منهج كل العلوم والتخصصات وفي هذه الحالة نحن لا نطبق الخطوات الإجرائية التي اعتمدناها في دراسة اللغات وإنما خطوات إجرائية تختلف عنها نسبيا، وإن اشتركت معها في جوهر العمل وهو تحديد أوجه التشابه والاختلاف، إلا أنها تختلف من حيث كيفية التطبيق والهدف المنشود من المقارنة، وهنا سيختلف الهدف من بحث لآخر حسب طبيعة الموضوع.
- ✓ كل المناهج لها إيجابياتها وسلبياتها لأنها لا تستطيع أن تحيط بكل جوانب الموضوع أو الظاهرة المدروسة، وإنما تعالج جانبا منها، لذلك نحتاج إلى تضافر المناهج.
- ✓ يتم اختيار المنهج المناسب للبحث حسب طبيعة الموضوع والأهداف المتوخاة منه، لذا قد تتعدد المناهج في دارسة الموضوع أو الظاهرة قيد الدراسة.

قائمة المراجع

1.إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر، مصر، دط، دت.

2.إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط5 ،1984.

3.ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب العلمية، دت، ج 1.

4.ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر، لبنان ط1، 2003.

5.ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تح: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1964.

6.ابن مضاء القرطبي: كتاب الرد على النحاة، تح: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1 ،1948.

7.ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دت، دط.

8.ابن هشام الأنصاري: مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، 1991.

9.أبو أحمد القلقشندي: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط،1992.

10.أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن أحمد الأنباري: الإغراب في جدل ولُمَعُ الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، لبنان، ط2، 1971.

11.أبو الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر،1979، ج5 .

12.أبو الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار العرب الإسلامي، ط3، 1986.

13.أبو الحسين أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية، تح: عمر فاروق الصباغ، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 1993.

14.أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تح: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البايس الحلبي وأولاده، مصر، دط، 1939.

15.أبو محمد عبد الله بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، تح: منذر محمد سعيد أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت –عمان، ط1 ،2008.

16.أحمد بن خليل الفراهيدي: كتاب العين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ج3.

17.أحمد جاسم النجدي: منهج البحث الأدبي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق،1978.

18.أحمد جميل شامي: النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره، جار الحضارة للطباعة والنشر، لبنان، 1997.

19.أحمد سمايلوقتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، مطابع دار المعارف، 2001.

20.أحمد متوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة – دراسة في التنميط والتطور، دار الأمان، المغرب، ط1، 2012.

21.أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، مصر، ط6، 1988.

22.أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007، م1.

23.أحمد مؤمن: اللسانيات –النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005.

24.إسماعيل أحمد عمايرة: المستشرقون والمناهج اللغوية، دار حنين، عمان، الأردن، ط2، 1992.

25.أنيس فريحة: نحو عربية ميسرة، مطابع الوطن، بيروت، دط، دت.

26. بريجتيه بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004.

27.تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 2000.

28.تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1990.

29.الجاحظ، أبى عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1998، ج1.

30.جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، مصر، ط1، 2003.

31.جلال الدين السيوطي: الاقتراح في أصول النحو، دار البيروني، لبنان، ط2، 2006

32.جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998.

33.جونز ليونز: تشومسكي، تر: محمد زياد كبة، النادي الادبي، المملكة العربية السعودية، دط،1987.

34.الحسن بن الهيثم: كتاب المناظر في الإبصار على الاستقامة، تح: عبد المجيد صبره، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، دط،1983.

35.حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء–دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

36.خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها–منهج وتطبيق، عالم المعرفة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1984.

37.ذوقان عبيدات وآخرون: البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر، عمان، ط7، 2015.

38.ر، هـ، روبينز: موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997.

39.راي داكندوف: علم الدلالة والعرفانية، تر:عبد الرزاق بنور، دار سيناترا، تونس، 2010.

40. ربحي مصطفى عليان وعثمان محمد غنيم: مناهج وأساليب البحث العلمي –النظرية والتطبيق، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 ،2000.

41.ربحي مصطفى عليان: البحث العلمي –أسسه–مناهجه–أساليبه –إجراءاته، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، دط، دت.

42.رجاء وحيد دويدري: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية، دار الفكر المعاصر، سورية، ط1، 2000.

43.رمضان عبد التواب: التطور اللغوي – مظاهره وعلله وأسبابه، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1997.

44.رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997.

45.سامي عوض: معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.

46.سباتينوموسكاتي وآخرون: مدخل الى نحو اللغات السامية المقارنة، تر: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي، عالم الكتب، لبنان، ط1، 1993.

47.سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1.

48.سيد سليمان عليان: في النحو المقارن بين العربية والعبرية، دار الثقافة للنشر، مصر، ط1، 2000.

49.الشريف الجرجاني علي بن محمد: معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، دت.

50.صلاح الدين صالح حسين: دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1984.

51.ضياء الدين ساردار: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، تر: فخرى صالح، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الامارات المتحدة العربية، ط1، 2012.

52.عاطف علبي: المنهج المقارن مع دراسات تطبيقية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط3، 2006.

53. عبد الرحمان سليمان: مناهج البحث، عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، 2014.

54.عبد الرحمن الحاج صالح: البنى النحوية العربية، من منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2016.

55.عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلة مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز –مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد 4، 2007.

56.عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012.

57.عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977.

58.عبد السلام المسدّي: مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2010.

59.عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه الاستعمار الفِكرى، مكتبة وهبة، مصر، ط1، 1995.

60.عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط4، 1983.

61.عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط2، 1998.

62.عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980.

63.عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1972.

64.عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مدبولي، نسخة pdf https://ebook.univeyes.com/178416

65.علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1986.

66.علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام–ونقد المسلمين للمنطق الأرسطي طاليس، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1948.

67.علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2004.

68.فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ايتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2004.

69. فاطمة عوض صابر وميرقت على خفاجة: أسس ومبادئ البحث العلمي، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية، مصر، ط1، 2002.

70.فرانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين غي البحث العلمي، تر: أنيس فريحة، دار الثقافة، لبنان، 1961.

71.فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، تر: يوسف عزيز، دار آفاق العربية، بغداد، 1985.

72.فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، مصر، دط، 2014.

73. فنوسة زكريا سعيد: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار المعارف، ط1، 1964.

74.ليونارد جاكوسن: بؤس البنيوية–الأدب والنظرية البنيوية، تر: ثائر ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2008.

75.ماريو باي: أسس علم اللغة، تر: أحمد عمر مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998.

76.مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984

77.محمد الأوراغى: الوسائط اللغوية–أفول اللسانيات الكلية، دار الآمان للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2001.

78.محمد الأوراغي: نظرية اللسانيات النسبية، دار الأمان، المغرب، ط1، 2010.

79.محمد البدوي: المنهجية في البحوث والدراسات الأدبية، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1998.

80.محمد العمري: الأسس الابستمولوجية للنظرية اللسانية–البنيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012.

81.محمد سرحان على المحمودي: مناج البحث العلمي، دار الكتب، صنعاء، ط 3، 2019.

82.محمد صادق: البحث العلمي بين المشرق والعالم الغربي–كيف نهضوا ولم تراجعنا، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ط1، 2014.

83.محمد صالح توفيق: اللغة العربية تطبيقات في المنهج المقارن، دار الهاني للطباعة والنشر، مصر، دط، دت.

84.محمد عبد الكريم الوافي: منهج البحث في التاريخ والتدوين عند العرب، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط3، 2008.

85.محمد علي التهناوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996، ج1.

86.محمد فاروق النبهان: الاستشراق تعريفه –مدارسه أثاره، منشورة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المغرب، 2012.

87.محمد محمد يونس: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004.

88.محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار الغريب للطباعة والنشر، مصر، 2001.

89.محمود فهمي حجازي: أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر، 2003.

90.مشتاق عباس معن: المعجم المفصل في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2001.

91.مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، دار العلم للملايين، لبنان، ط 6، 1991.

92.مهدي المخزومي: في النحو العربي –نقد وتوجيه، دار الرائد العربية، لبنان، ط2، 1986.

93.موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية–تدريبات عملية، ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2 ،2006.

94.ميلكا إفيتش: اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد مصلوح ووفاء فايد، المجلس الأعلى للثقافة، لبنان، 2000.

95.نادية رمضان محمد النجار: الواضح في النحو وتطبيقاته، ط1، 2000.

96.ناظم خليل حسين اللوقة: ألفاظ القتال في الشعر الجاهلي – دراسة دلالية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب –قسم اللغة العربية، جامعة الازهر، غزة، 2011.

97.نجلاء محمد إبراهيم بكر: أساسيات في التفكير المنطقي والبحث العلمي، 6-10-2023. https://www.noor-book.com

98.نعمة رحيم العزاوي: مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، مطبعة المجمع العلمي، العراق، دط ،2001.

99.نعوم تشومسكي: المعرفة اللغوية –طبيعتها وأصولها واستخداماتها، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1993.

100.هادي نهر: البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات والمناهج – الإجراءات)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009، ط1.

101.وجيه كوثراني: تاريخ التأريخ–اتجاهات – مدارس–مناهج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط3، 2013.

102.ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت،1977، م1.

103.يمنى طريف الخولي: مفهوم المنهج العلمي، مؤسسة هنداوي، مصر، 2020.

104.يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق – الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط2، 2001،

-المقالات العلمية:

1.جاسم علي جاسم: عالمية اللغة العربية وهيمنتها على اللغات–قراءة ناقدة في تقسيم اللغات، مجلة أبحاث في اللغة والأدب، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 12، 2016.

2.رهان عبد المحسن منصور: المنهج المعياري وأثره في الدراسات النحوية – دراسة وصفية، المجلة العلمية لكلية الآداب – جامعة أسيوط، مصر، م 19، العدد 64، 2017.

3.عز الدين اليوشيخي: واقعية المبادئ الأساسية لوضع المصطلح توليده، مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، العدد 1، 2001، ص 103.

4.لحسن دحو: اغتراب المصطلح: أزمة مفهوم وتغريب هوية، مجلة مقاليد، جامعة ورقلة، العدد 1، جوان 2011.

5.محمود أحمد حسن عبد السلام: واو العطف بين العربية والعبرية، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، م3، العدد 11، 1992.

6.محمود خياري: الفعل بين العربية والعبرية، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، م3، العدد 2، 2001

7.يمنى طريف الخولي: نحو توطين المنهجية الإسلامية في العالم الإسلامي، مجلة عالم الفكر، الكويت، م 43، العدد 2.

-المواقع الإلكترونية:

1.الفعل في اللغة العبرية، 5-11-2023، https://www.mitsraim.com

2.سامي إمام: الفعل في اللغة العبرية، 5-11-2023،
http://hebrewfromatozbydrsamyalemam.blogspot.com

3.موقع الدر السنية 14-11-2023 https://dorar.net/arabia

الفهـــــــرس

	عنوان المحاضرة	الصفحة
	مقـــدمة	أ-هـ
1	مدخل لتحديد المفاهيم وضبط المصطلحات	6
	المنهج المعيـــــاري	
2	مفهوم المعيارية في النحو العربي	30
3	أسس المعيارية في التراث اللغوي	43
4	مظاهر المعيارية في التراث اللغوي	50
5	مظاهر المنهج المعياري في الدرس اللغوي الحديث	64
	المنهج التاريـــــخي	
6	المنهج التاريخي (المفهوم، والنشأة)	79
7	أسس المنهج التاريخي	101
8	المنهج التاريخي وقضايا اللغة	106
9	نقد المنهج التاريخي	124
	المنهج المقـــــارن	
10	مفهوم المنهج المقارن	128
11	نشأة المنهج المقارن في أوربا	139
12	اللغويون العرب القدامى والبحث المقارن	148
13	أسس الدراسة المقارنة للغات	155
14	الاستشراق ودو افع البحث اللغوي المقارن	167
	خـــــــاتمة	181
	قـــائمة المـــــراجع	186
	الفـــــــهرس	197